المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

التَّصويرُ البيانيُ في شعرِ جِرانِ العودِ النُّمَيْرِي

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالب
جمال بن حمد الحِمِدَّاء
الرقم الجامعي : ٤٢٥٨٨٠٧٣

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد علي فرغلي الشافعي

١٤٣٠/ ١٤٣١هـ

٢٠٠٩/٢٠١٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي حفظه الله ، ووالدتي رحمها الله .

إلى زوجتي رفيقة دربي ، وأبنائي وبناتي .

إلى إخواني وأخواتي وكل من أحبني وأخلص لي دعوة في ظهر الغيب .

إلى كل محب للغة العربية الفصحى وآدابها وبلاغتها وجمالها وروعتها .

أهدي هذا العمل المتواضع

سائلاً المولى الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين .

جمال

شكر وتقدير

أتوجه بعد شكر الله الكريم ،بالشكر والتقدير إلى كل من أنار لي الدرب بفكره وعلمه وتوجيهه وإرشاده . وأخص بذلك أستاذي المشرف على هذا البحث سعادة الأستاذ الدكتور محمد علي فرغلي الشافعي ؛ فقد كان لأسلوبه الإشرافي الجميل الذي جمع بين الجدية في المتابعة ، والتعامل الإنساني الرفيع ، أكبر الأثر في إنجازي لهذا العمل .

وأتوجه بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور صالح بن سعيد الزهراني الذي أعانني وسددني بتوجيهاته في تدريسه لي في السنة المنهجية ، ثم وقف معي وأرشدني لهذا الموضوع الجميل الذي استفدت منه واستمتعت به . وكانت كلماته وتوجيهاته خير زاد دفعني للمواصلة .

كما أتوجه بأجمل عبارات الشكر لسعادة الأستاذ الدكتور دخيل الله بن محمد الصحفي على توجيهاته وإرشاداته العلمية التي كانت كالمنارات في الطريق .

وإلى أسرة جامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة تحصيل العلم ومواصلة دراستي العليا ، خاصاً أسرة كلية اللغة العربية ، وأساتذتي الكرام الذين شرفت بالدراسة على أيديهم في السنة المنهجية ، وكانوا بتوجيهاتهم وصبرهم علينا كقول الطفيل الغنوي:

هُمُ خَلَطونا بِالنُفوسِ وَأَلجَأوا ... إِلى حُجُراتٍ أَدفَأَت وَأَظَلَّتِ

أَبَوا أَن يَمَلّونا وَلَو أَنَّ أُمَّنا ... تُلاقي الَّذي لاقَوهُ مِنّا لَمَلَّتِ

سائلاً المولى الكريم أن يحفظهم ويرعاهم وأن يتغمد من مات منهم بواسع رحماته .

كما أشكر إخوتي وزملائي الذين رافقوني في الدراسة فكانوا خير معين .

ولن يفوتني أن أخص بالشكر من أعانني على الدراسة وكان لتوجيهاته ومساندته أكبر الأثر في دراستي واستمراري فيها وهم :

سعادة الدكتور محمد بن عبدالله التميم مدير التربية والتعليم للبنات بمحافظة الخرج .

وسعادة الأستاذ عبدالرحمن بن عثمان السماري رئيس قسم النشاط الطلابي بإدارة التربية والتعليم للبنين بمحافظة الخرج .

والشكر موصول لكل من كان له دور صغر أم كبر ، ولكل إخواني وأخواتي الذين ساندوني بدعواتهم الصادقة ، وإلى كل صديق صدوق ، وأخ محب .

ملخص البحث

اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول هي :

المقدمة : وتحتوي على أسباب اختيار الموضوع وأهميته ، وصعوبات واجهت الباحث ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث .

التمهيد : ويحتوي على نبذة مختصرة عن جران العود النميري ، اسمه ونسبه ، وزمانه ، والاختلاف في ذلك ، وشاعريته والوقوف على منزلته في كتب الأدب ، وما نقل من آراء النقاد القدماء فيه . ثم دراسة مختصرة عن الشعر والصورة البيانية .

الفصل الأول : تحدث عن مصادر التصوير البياني في شعر جران العود لمعرفة المصادر التي استقى منها صوره ، ومدى تأثره بها .

الفصل الثاني : تحدث عن التشبيهات في شعره ،واحتوى على عرض مختصر للتشبيه ومفهومه وأقسامه ، ثم عن التشبيه في شعر جران العود في وكيف صاغها صوراً بيانية جميلة مؤثرة ، وكانت دراستها حسب الموضوعات التي جاء فيها التشبيه في شعره وهي : المرأة ، والطلل ، والحيوان والطير ، وحديثه عن نفسه .

الفصل الثالث : تحدث عن المجاز في شعره واحتوى على عرض مختصر للمجاز ومفهومه وأقسامه ثم عن المجاز في شعر جران العود ، وكانت الدراسة حسب الموضوعات التي جاء فيها المجاز وهي ذات الموضوعات التي جاء فيها التشبيه إضافة إلى مظاهر الطبيعة والحياة .

الفصل الرابع : تحدث عن الكناية في شعره واحتوى على عرض عن الكناية ومفهومها وأقسامها ، ثم عن الكناية في شعر جران العود ، وكانت الدراسة حسب الموضوعات التي جاءت فيها الكناية ؛ وهي: المرأة ، وجران العود وحديثه عن نفسه، ومظاهر الطبيعة والحياة .

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

١ – جران العود اسمه عامر بن الحارث بن كُلْفة أو ابن كَلَدَة من بني ضبة بن نمير بن عامر بن صعصعة،وهو أموي بدوي،وشاعر مبدع مغمور في الدراسات البحثية رغم كثرة أبياته التي تناقلتها كتب الأدب .

٢ – اختلفت تعريفات الصورة في النقد العربي الحديث وتناقضت أحياناً .غير أن كل من تحدث منهم عن الصورة أقر بأهميتها الجمالية المؤثرة ومكانتها العالية في الشعر العربي .

٣ – المصادر المؤثرة في جران العود متداخلة ، وبينها ارتباط وثيق ، والمرأة أكثرها تأثيراً فيه .

٤ – أكثر الصور البيانية التي رسمها الشاعر هي صور تشبيهية ، وكانت الصور المجازية والكنائية مع جمالها أقل بكثير من الصور التشبيهية أيضاً ، والوصف العام للصور في شعر جران العود أنها صور جميلة مؤثرة تخالط النفس ، وتحرك الوجدان .رسمها بشاعريته المرهفة وثقافته البدوية الأصيلة ولغته العربية القوية ، وله صور تفرد بها و لم يُسبق إليها .

عميد الكلية	المشرف	الطالب
أ.د صالح بن سعيد الزهراني	أ.د محمد علي فرغلي الشافعي	جمال بن حمد الحمداء

Abstract

The study included an introduction and a preface, four chapters are:
Introduction: containing the reasons for selecting the topic and its importance, and difficulties experienced researcher, and previous studies, and research methodology.
Boot: and contains a brief summary of Gran Nimeiri lute, his name and lineage, and his time, and the difference in that, and Haarath and stand on his status in the literature, and the transfer of the views of the ancient critics. Then a brief study of poetry and picture graphs.
CHAPTER I: talked about the sources of graphic imaging in the poetry of Gran to go back to find out the sources that drew pictures of them, and how it influenced.
Chapter II: talked about the analogies in his hair, and contained a brief overview of the metaphor, its meaning and its divisions, then the metaphor in the poetry of Gran oud and how drawn images graphic pretty impressive, and were studied according to the topics that came the metaphor in his poetry: the women, and quader, animal and bird , and talking about himself.
Chapter III: talked about the metaphor in his poetry and contained a brief overview of the metaphor, its meaning and its divisions and then the metaphor in the poetry of Gran lute, was according to the study subjects according to which the metaphor of the topics that came the metaphor as well as the manifestations of nature and life.
Chapter IV: talked about the metaphor in his poetry and included a presentation on the metaphor and concept and components, then the metaphor in the poetry of Gran lute, and the study by topics that came the metaphor;: the women, and Gran lute and talking about himself, and manifestations of nature and life.
The study found the following results:
I - Gran lute named Amer ibn al-Harith bin Caldh the cost or the son of Bani Namir Illh Ben Ben Ben Amer Sasap, the Umayyad Badawi, the creator and poet immersed in research studies, despite the large number of verses reported by literature.
II - different definitions of the image in the Arab Monetary modern and sometimes conflicted. But all of them spoke about its importance is recognized and influential aesthetic high ground in Arabic poetry.
III - sources affecting the Gran lute overlapping, including the closely related, and most influential women in it.
IV - more profiles drawn by the poet are images of simulated, and the imagery and Alknaúah with beauty, much lower than the image simulation as well, and general description of the images in the poetry of Gran lute as pretty pictures influential associates itself with the soul, and the movement of conscience. Painted Bashaarath delicate and culture of nomadic indigenous and language of the Arab strong, with the uniqueness of the images has never been to

Student	Supervisor	Dean
Jamal Bin Hamad Alhemdda	**Prof. Muhammad Ali Farghali Shafei**	**Prof . Saleh bin Saeed Al-Zahrani**

المُقَـــدِّمَـــةُ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن تراثنا الأدبي تراث أصيل مليء بالنفائس المخبوءة التي تنتظر من أبناء هذه الأمـــة البحث عنها والاستفادة منها وإمتاع النفوس بها.

ومجال التصوير البياني في الشعر العربي من المجالات الخصبة التي تفتح للباحث المحـــب للبلاغة العربية ونقدها أبواباً جليلة من المعارف والعلوم .

فالصورة من الموضوعات التي شغلت النقاد قديماً وحديثاً .والاهتمام بها موغـــل في القدم لأهميتها وجلالة قدرها .

وبعد استشارة مجموعة من أساتذتي الكرام في هذه الكلية العامرة كلية اللغة العربية بجامعتنا العريقة جامعة أم القرى أحببت أن يكون بحثي التكميلي لنيل درجة الماجســتير بعنوان (**التصوير البياني في شعر جران العود النميري**) .

أولاً /أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

١ – عند قراءة ديوان جران العود النميري نلحظ تميز شعره وجماله وكثـــرة التشـــبيهات الجميلة فيه ؛ مما يجعل دراسته والبحث فيه أمراً مهما ؛ خاصة أنه رغم هذا التميز لم يحظ بالدراسة والعناية. فلم يَكتب عن جران العود إلا القليل من القدماء والمحـــدثين ؛ فهـــو شاعر مغمور لم يحظ بالدراسة والبحث .

٢ – أن له ذكراً جميلاً جاء في ما كتبه بعض المهتمين بالشعر والأدب السابقين؛ وهـــذه الأحكام النقدية التي صرح بها الأوائل تجعل الباحث يقف أمام شخصية جـــران العـــود ليبحث فيها ؛ فمن ذلك :

ما أورد الخالديان :"وقال جِران العَود النُّميري ، ولا يعرف في نسيب الأعراب وغـــزلهم أحسن ألفاظاً من هذه القصيدة ولا أملح معانٍ، والمختار منها قوله:

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ   وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كُنتَ تَعرِفُ

أما قوله: (فبتُّ كأنَّ العينَ أفنانُ) البيت، فمن أحسن ما قيل في الدمع وأجوده وأطرفه...وقوله: (أراقب لوحاً من سهيل) البيت، مليح التشبيه صحيحه لأنه من تأمّل رآه كأنَّه عين تطرِف...وقوله: (ويكفيك آثار لنا حين نلتقي) البيت، معنى مليح...وقوله: (فنصبح لم يشعر) البيت، كلام طريف وكذب مليح لأنه قال لا بدَّ من همة تلحقنا فنحلف أنَّا لم نفعل ويحلفون أنَّا قد فعلنا.

وقوله: (فأقبلن يمشين) البيت، من أحسن ما يكون في صفة المشي...وأما قوله في ذكر الحديث وحسنه: (ينازعننا لذّا) البيت، والَّذي بعده فهو حسن نادر..."[1]

وجاء في الأمالي للمرزوقي: "قالوا: ومن الغزليات المختارة المقدمة قصيدة جران العود النميري... وكان جران العود غزلا وصافا، يصف ويفرط في نسيبه... "[2]

وقال ابن قتيبة : " ومما يستحسن من شعره قوله:

بَانَ الأَنيسُ فما للقلْبِ معقولُ ... ولا على الجيرَة الغادِينَ تَعْويلُ

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ برَحْلِي قَبْلَ بَرْذَعَتِي ... والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بالبَيْنِ مَشْغُولُ

ثم اغْتَرَزْتُ على نِضْوى لأَرْفَعَهُ ... إِثْرَ الحُمُولِ الغَوَادِى وهْوَ مَعْقُولُ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

فلا تَأْمَنُوا مَكْرَ النِّسَاءِ وأَمْسِكُوا ... عُرَى المالِ عن أَبْنَائِهِنَّ الأَصاغِرِ

فَإِنَّكَ لَم يُنذِركَ أَمراً تَخافُهُ ... إِذا كُنتَ مِنهُ جاهِلاً مِثلُ خابِرِ"[3]

وقال أبو هلال العسكري في حديثه عن ذكر الشعراء لنجم سهيل :" وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه (يعني نجم سهيل) قول جران العود:

أراقبُ لمحاً من سهيلٍ كأنَّهُ ... إذا ما بدا من آخرِ الليلِ مطرفُ "[4]

٣- ورد لبعض النقاد والأدباء المعاصرين آراء في جران العود تدعونا للبحث في شعره فمن ذلك :

---

[1] الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، للخالديين ،تحقيق السيد يوسف ، القاهرة ، الطبعة الأولى١٩٥٨م ،١١/١.

[2] أمالي المرزوقي ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري ، دار العرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ٧٠/١

[3] الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ٢/٧٠٨ـ٧١٢

[4] ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ،شرحه وضبط نصه أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ،١/ ٣٢٦،٣٢٧.

يقول الدكتور نوري القيسي في مقدمة تحقيقه لديوانه : " ... إن مبادرته الشعرية في فن القصص الشعري كانت مرحلة من مراحل النضوج التي ازدهرت في عصر عمر بن أبي ربيعة وغيره ممن ولج هذا الباب من الغزلين... وقد حرص الشاعر على توظيف شعره للتعبير عن حالته الاجتماعية ... وجران العود الذي يمثل امتداداً لاتجاه قصصي عرفه الشعر العربي يقدم لنا لوحة جديدة من لوحات الشعر القصصي... فالقصة عند جران العود تأخذ امتداداً متميزاً من حيث التركيب والاتجاه وقد أعد لها الشاعر وسائلها المطلوبة وأصباغها المناسبة وحدد زواياها المثيرة وأجواءها الشعرية المهيئة ... "[1].

وتقول كارين صادر: " هو شاعر رقيق وجداني شديد الرومانسية ، تحتل عاطفته المساحة الأكبر من شخصه ... "[2]

ويقول إبراهيم أمين فوده : " جران العود شاعر خفيف الروح ، حلو التندر ، لطيف الدعابة ، في شعره سذاجة الفطرة ، ووداعة الطبيعة ، وروعة الأسلوب ، وفيه حلاوة النطق العربي الفصيح ... "[3]

٤ – عند قراءة ديوان الشاعر نجد أنه ميدان واسع للتصوير البياني فهو حافل بتشبيهات كثيرة مع بعض الكنايات والمجازات التي تجعل باحث البلاغة العربية يقف عنده فيجده كنزاً مخبوءاً ينتظر من يبحثه ويستخرج ما فيه ويدرسه ويحلله .

ثانياً / صعوبات واجهت الباحث :

١ –ندرة المؤلفات عن جران العود النميري .

٢ – ديوان جران العود الموجود يحتاج إلى خدمة ، بشرح كلماته وتحقيقه ، فالنسخ الموجودة مع جلالة قدرها لا تزال تحتاج إلى خدمة علمية ؛ خاصة أن هناك أبيات له لم تذكرها الدواوين الموجودة .

---

[1] ديوان جران العود النميري ، تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي ص١٢ـ ١٨ بتصرف .

[2] ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر ص ٨ .

[3] الشاعر المحسن ، إبراهيم أمين فوده ، مطبوعات نادي مكة الثقافي والأدبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٣٤

٣- شعر جران العود مليء بالكلمات التي تحتاج إلى شرح ورجوع للمعاجم العربية ، فشعره مع جماله ورقته يحتوي كلمات كثيرة ليست في متناولنا نحن المحرومين من العيش مع اللغة العربية في حياتنا ، وجران العود شاعر بدوي تفيض لغته قوة وفصاحة .

ثالثاً / الدراسات السابقة :

عند البحث عن دراسات سابقة في التصوير البياني عند جران العود بل عن جران العود عموما لا نجد إلا نزراً يسيراً من الكتابات وقد وقفت على مايلي :

١- ديوان جران العود النميري ، رواية أبي سعيد السكري ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .حيث جاء في المقدمة التي كتبها أحمد نسيم من دار الكتب المصرية ذكرا لشيء يسير من سيرة جران العود .

٢- ديوان جران العود النميري ، رواية أبي سعيد السكري ، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب . تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي ط ١٤٠٢هـ ؛ حيث تحدث في مقدمة الديوان عن سيرة جران العود وعن شعره وجوانب الإبداع التي تميز بها .

٣- ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتعليق كارين صادر ، دار صادر بيروت .وقد تحدثتْ في المقدمة عن الشاعر والخلاف الذي دار حول اسمه وعصره ، وعن صديقه الرحال .

٤- الشاعر المحسن كتيب من تأليف إبراهيم أمين فوده ، من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ. حاول فيها أن يحلل شخصية جران العود النميري ، ويستنبط كل ما يمكن أن يعد ذا أثر في تكوينها : النفسي ، والعقلي، والأدبي .

وصف إبراهيم أمين فوده ما كتبه عن جران العود بأنه رسالة بعث ونشور لشاعر فذ ، درست معالم حياته الأدبية .فهي أول رسالة تناولت الحديث عن هذا الشاعر في تاريخ الأدب العربي .

٤- ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري كتيب يقع في ١٠٠ مائة صفحة من تأليف الدكتور محمد علي الهرفي ١٤١٧هـ تحدث فيه عن شيء من سيرة جران العود و الظواهر التي انحرف فيها عن النمط الشعري القديم والنمط السائد في عصره . عد جران العود شاعراً مجدداً لم ينصفه الباحثون .

رابعاً / منهج الباحث :

حفل شعر جران العود بكثير من الصور البيانية الجميلة ؛ التي تدل على دقة ملاحظته، وحسن وصفه وارتباطه الوثيق بالبيئة حوله .

وسيكون تناول هذه الصور حسب الموضوعات التي وردت في شعره ؛ دراسة بلاغية موضوعية بهدف الحفاظ على الصورة .

والموضوعات التي وردت في شعره هي على النحو التالي :

المرأة ، الطلل، الحيوان والطير ، الطبيعة ومظاهر الحياة ، حديثه عن نفسه .

وسأحاول في كل موضوع من هذه الموضوعات استخراج كل معنى أجرى فيه تصويراً بيانياً ، ثم أجمع الصور في كل معنى ، وسأختار النماذج التي تدل على طريقته الشعرية .

ومما جعلني أختار هذا المنهج في دراسة شعر جران العود أن ذلك سيكون أدعى للوقوف على تميزه في هذا الباب . خاصة إذا لاحظنا أن الصورة البيانية تأتي في شعره أحيانا على هيئة صورة متكاملة تجعل التجزئة في دراستها تفقدها جمالها .

وقد اعتمدت في بحثي على ديوان جران العود النميري ، رواية أبي سعيد السكري ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . وأذكره في الحاشية بلفظ (الديوان) أو (ديوان جران العود) ، مع الرجوع إلى الدواوين الأخرى أحياناً .وذلك عندما لا أجد البيت في نسخة السكري .

وقسمت البحث إلى :

مقدمة وتمهيد ،وأربعة فصول ، حاولت خلالها أن أحلل الصور البيانية في شعر جران العود وأقف على إبداعه الشعري الجميل .

أسأل الله الكريم أن أكون قد قاربت الصواب ، وحققت شيئاً من المراد ، فإن يكن فتلك غاية المنى في بحثي ، وإن كان خلاف ذلك فحسبي أنني أشعلت شمعة للسالكين إلى جران العود .

والحمدلله أولاً وآخراً .

الطالب / جمال بن حمد الحمداء

التمهيد

المبحث الأول حول جران العود:

- اسمه ونسبه
- زمانه
- شاعريته

المبحث الثاني :

- الشعر والصورة البيانية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول حول جِرانِ العَوْد النُمَيري :

أولاً/ اسمه ونسبه :

اختُلف في اسمه ونسبه فقيل :

١- جران العود شاعر إسلامي من بنى عقيل[١] دون ذكر لاسمه .

٢- جِرَان ، بكسر الجيم : هو جِرَان العَوْد ، اسْمُه المستورد[٢] ، شاعر إسلامي من بني عقيل .

٣- عامر بن الحارث النميري[٣] .

٤- عامر بن الحارث الضبي[٤] .

٥- عامر بن الحارث بن كلفة وقيل كَلَدَة .من بني ضبة بن نمير بن عامر بن صعصعة[٥]

٦- عامر بن الحرث بن كلفة .

---

[١] المؤتلف والمختلف للدارقطني تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي١٣٨/١.

[٢] تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حَجَر العسقلاني تحقيق محمد علي النجار – مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية – بيروت — لبنان . (١/ ٢٤٨). نزهة الألباب في الألقاب لأحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد بالرياض طبعة ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م ١٦٩/١

[٣] ديوان الحماسة ، لأبي عبادة البحتري . تحقيق لويس شيخو ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧ ، ٦٤/٢ . الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ٢٥٠/٣.

[٤] توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٣م الطبعة : الأولى. ٨٣/٦

[٥] منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، تحقيق: د.محمد نبيل طريفي ،دار صادر. الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، ٥/٢ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبدالقادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ٥/ ٤٩٢

٧- جران العود العقيلي[١]

٨- وقال الوزير المغربي في الإيناس بعلم الأنساب[٢] وفي بني نُمَير: ضَنَّة بن عمرو بن نُمَير بن عامر بن صَعْصَعَة.ومن بني ضَنَّة، ثم من بني حَبَّة، جِرَّان العود .

والباحث بعد هذه الأقوال يميل لرأي من قال بتسميته عامر بن الحارث بن كُلْفة(بضم الكاف أو فتحها) أو ابن كَلَدَة[٣] من بني ضبة بن نمير بن عامر بن صعصعة ؛ لتكرر هذه التسمية في أكثر المصادر التي ذكرت جران العود ولأن صاحبه الرحال نميري كما ورد في المصادر التي ذكرته .

ولقب بجران العود ، ومعناه : عنق البعير ، ولقب بهذا اللقب لقوله[٤] :

خـــذا حـــذراً يـــا ضُـــرّتيّ فـــإنني رأيت جران العود قد كـــان يصـــلح

تميز عن غيره من الشعراء بحديثه عن زوجتيه وما لاقاه من بؤس معهما ؛ هجاهما بقصائد في ديوانه ، وهذه صورة نادرة في الشعر العربي القديم .[٥]

وقد اقترنت حياته بحياة شاعر مغمور هو الرحَّال وفي اسمه خلاف أيضاً ! وممن نقل هذا الخلاف كارين صادر في مقدمتها على ديوان جران العود : "عروة بن عتبة بن جعفر من بني كلاب . وقال آخرون :هو الرحال بن عزرة بن المختار من بني عقيل بن كعب .

وذكره صاحب منتهى الطلب باسم : الرحال بن مجدوع الـــنميري ، وأظنـــه الأقرب للحقيقة ، وهذا بدوره يوضح بجلاء أسباب صداقته لجران العود ابن قبيلته . وأما عروة بن عتبة الكلابي فهو شاعر جاهلي ؛ سمي رحالاً لأنه كان وفاداً علـــى

---

[١] المزهر في علوم اللغة العربية للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي مكتبة دار التراث ، الطبعة الثالثة ٣٧٧/٢ .

[٢] الإيناس بعلم الأنساب / الوزير المغربي ص ٢٨ .

[٣] ضبطه بهذا الضبط الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ، نقله للعربية الدكتور محمود فهمي حجازي ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـــ ١٩١/٢ .

[٤] ديوان جران العود النميري / رواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـــ ص ٩ .

[٥] مقدمة ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، ص ٧ .

الملوك كما ذكر الزمخشري في كتابه المستقصى ، ولا نعلم عن الرحال شيئاً سوى أنه كان تبع جران ورفيقه ، عانى مثله مع زوجته ، وقد صب معاناته في قصيدة شاءها أن تكون تبعة لقصائد جران العود كما كان هو تبعه "[1] .

ثانياً/ زمانه :

كما اختلف الباحثون في اسمه اختلفوا في زمانه على عدة آراء فقيل :

١ – هو جاهلي لم يدرك الإسلام :

يقول بروكلمان :(يقرر أدباء العرب أنه من الجاهليين ومما يدعو للعجب أن يتحدث شاعر جاهلي بدوي مثله عن حمامة نوح ...)٢

وضمه فؤاد سزكين إلى قافلة الشعراء الجاهليين وجعل أصله من نجد٣ .

ورجح هذا الرأي الدكتور عفيف عبدالرحمن في معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين[4].

٢ – وقيل جاهلي أدرك الإسلام وأسلم :

كما ذكر ذلك الزركلي : (أنه أدرك الإسلام واقتبس منه كلمات وردت في شعره)[5] وكذلك رجحت ذلك الدكتورة عزيزة فوال بابتي في معجم الشعراء المخضرمين والأمويين[6]، والدكتور حاكم حبيب الكريطي في معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين[7] . . والدكتور محمد الهرفي[8] الذي دعم رأيه بالأدلة التالية :

١ – حديثه عن الطواف حول البيت الحرام ، في قوله[9] :

---

[1] المصدر السابق ص ١٦ .

[2] تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ، نقله للعربية الدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور السيد يعقوب بكر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٧٤/١.

[3] تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين ١٩١/٢ .

[4] معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، الدكتور عفيف عبدالرحمن ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ص ٦٦

[5] الأعلام ٢٥٠/٣.

[6] معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، الدكتورة عزيزة فوال بابتي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م

[7] معجم الشعراء الجاهليين و المخضرمين،تأليف حاكم حبيب الكريطي،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان مكتبة لبنان،٢٠٠١. ص ٦٦.

[8] ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري ص ١٨

[9] الديوان ص ٣٣ .

إنّي وَرَبِّ رِجالٍ شَعبُهُم شُــعَبٌ		شَتّى يَطوفونَ حَــولَ البَيــتِ وَالحَجَــرِ
جاءَت بِهِم قُلُصٌ فُتــلٌ مَرافِقُهــا		قُبُّ البُطــــونِ مِــــنَ الإِدلاجِ وَالبُكَــرِ

ومن وجهة نظر الباحث أن هذا ليس بدليل مقنع لأن الطواف بالبيت معــروف في الجاهلية.

٢- ورود ذكر ليلة النفر وهو اليوم الثالث من أيام منى،حيث يقول[١] :

قَضَينَ حَجّاً وَحاجاتٍ عَلى عَجَــلٍ		ثُــمَّ اســتَدرَنَ إِلَينــا لَيلَــةَ النَفَــرِ

٣- أنه ذكر السلام وهو من المصطلحات الإسلامية ؛ حيث أكد على بذل السلام وإفشائه حيث يقول[٢] :

يُهدى السَلامُ لَنا مِن أَهلِ ناعِمَــةٍ		إِنَّ السَــلامَ لِأَهــلِ الــوُدِّ مَبــذولُ

٤- أنه أشار إلى استعمال السواك وهو سمة من سمات المسلمين فقد قال[٣] :

تُجرى السِواكَ عَلى عَذبٍ مُقَبَّلُــهُ		كَأَنَّــهُ مُنــهَلٌ بِــالراحِ مَعلــولُ

٥- ذكرالشاعر عبارة (بإذن الله) في شعره وهي من العبارات الإسلامية ؛ حيــث يقول[٤] :

تَفــرِيجُهُنَّ بِــإِذنِ اللَــهِ يَحفِــزُهُ		حَذفُ الزِمــاعِ وَجَســراتٌ مَراقيــلُ

٦- تحدث عن الحلف بالطلاق وهي من العبارات التي لم تكن في الجاهلية فقال[٥] :

---

[١] المصدر السابق ص ٤٨.

[٢] المصدر السابق ص ٥٤ .

[٣] المصدر السابق ص ٥٧ .

[٤] المصدر السابق ص ٥٧ .

[٥] نسب هذا البيت لجران العود في الأشباه والنظائر للخالديين من أشعار المتقدمين والجــاهليين والمخضــرمين ، تحقيــق الســيد يوسف ، القاهرة ، الطبعة الأولى١٩٥٨م ٢٩١/٢ ولأبي النحام التميمي في حماسة البحتــري ٣٨٥ رقــم ١٤٣٣ ، ولأعــرابي بلا تحديد في الحيوان للجاحظ ١٦٠/٧.

لـــو يعلـــمُ الغرمـــاءُ منزلتَيهِمـــا   مـــا حلّفـــوني بـــالطلاقِ العاجـــلِ

٣- وقيل هو إسلامي بلا تحديد واضح لزمنه من الإسلام:

وقد أورد هذا ابن ماكولا[١] و أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي[٢]وابن حجر العسقلاني[٣]وابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي[٤].

٤- وقيل هو أموي :

كما جزم بذلك الدكتور نوري حمودي القيسي[٥] حيث ذكر أدلة تدل على إنه إسلامي ثم جزم بأنه أموي وهذه الأدلة هي :

١-ذكره للطواف ، وليلة النفر :

وقد استدل الدكتور الهرفي[٦] بهذا الدليل في تأكيد أن جران العود أدرك الإســـلام وأسلم وفي نظر الباحث أن هذا الدليل لا تقوم به حجة فالطواف معـــروف في الجاهلية وليلة النفر كذلك[٧] !

٢-أنه ضمن بعض أبياته من معاني القرآن الكريم :

---

١ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب للأمير الحـــافظ ابـــن مـــاكولا دار الكتاب الإسلامي . ٦٩/٢ .

٢ المؤتلف والمختلف . ١٣٨/١ .

٣ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١/ ٢٤٨ .

٤ توضيح المشتبه ٨٣/٦ .

٥ ديوان جران العود النميري ، تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي ص ٩ .

٦ ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري ص ١٨

٧ ذكر ابن هشام في السيرة النبوية (أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر كان يلي الإجـــازة للنـــاس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفه... ثم نقل قول ابن إسحاق حدثني يحيى بن عبـــاد بـــن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة بالناس من عرفة وتجيز بهم إذا نفروا من منى فإذا كـــان يـــوم النفـــر أتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمـــي فكـــان ذوو الحاجـــات المتعجلـــون يأتونـــه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس ...)وهذا الخـــبر في الجاهليـــة (نقـــلا عـــن السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المشهور بابن هشام ،تحقيـــق طـــه عبـــد الـــرؤوف سعد ،دار الجيل سنة ١٤١١هـــ بيروت ٢٤٩/١) .

فَتَقضـــيني مَواعِـــدَ مُنسَـــآتٍ وَأَقضي مـــا عَلـــيَّ مِـــنَ النُـــذورِ

فالنسيئة تعني التأخير من قوله عز وجل (إنما النسيء زيادة في الكفر) إنمـــا هـــو تأخيرهم المحرم إلى صفر.

وفي نظر الباحث أن هذا الدليل لا تقوم به حجة أيضاً !لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وكانت العرب تستعمل كلمة النسيء في الجاهلية ، نقل ابن هشام : "قول ابن إسحاق وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ابن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجباً وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فإذا أراد أن يحل شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم فـــإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم إني قد أحللت لك أحد الصفرين الصفر الأول ونسأت الآخر للعام المقبل ، فقال في ذلك عمر بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة يفخر بالنسأة على العرب : قد علمت معدٌّ أن قومي ** كرامُ الناس أن لهم كراما ** ** فأي الناس فاتونا بوتر ** وأي الناس لم نعلك لجاما ** ** ألسنا الناسئين على معدٍّ ** شهورَ الحِل نجعلُها حراما ** "[1]

٣- قوله[2] :

مِلءُ السِوارَينِ وَالحِجلَينِ مِئزَرُهـــا بِمَتنِ أَعفَرَ ذي دِعصَـــينِ مَكفـــولُ

والمكفول المتربب من قوله عز وجل (وكفلها زكريا) وغير ذلك من العبارات القرآنية .

[1] المصدر السابق ١/٢٤٨،٢٤٩ .

[2] الديوان ص ٥٦ .

٣-الرقة التي تميز بها شعره رقة إسلامية لا تعبر عن مرحلة الشعر قبل الإسلام وإنما تمثل تحولاً واضحاً من حيث التراكيب الإسلامية والمعاني والصياغة وهي وجوه لم نجد لها ظلالاً إلا في بداية العصر الأموي .

٣-وقيل هو أموي .ولكنه عاش في البادية :

وقد رجحت هذا الرأي كارين صادر في مقدمة تحقيقها ديوان جران العود[١] ،

وساقت أدلة شبيهة بأدلة الدكتور نوري القيسي وزادت :

١- كونه لم يتبع نهج الجاهليين الذين يبكون على الأطلال ، ويصفون الحيوان والخمرة ، ويجعلون من هذه مدخلاً للنسيب .

وفي نظر الباحث أن جران العود بكى الأطلال في بعض قصائده غير أنه ليس كنهج الجاهليين ! ومن ذلك قصيدته الغزلية الفائية التي تذوب رقة وعذوبة[٢] :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ	وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ
وَكانَ فُؤادي قَد صَحا ثُمَّ هاجَني	حَمائِمُ وُرقٌ بِالمَدينَةِ هُتَّفُ
كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجلِ وَسطَها	مِنَ البَغي شِرّيبٌ يُغَرِّدُ مُتَرَفُ
يُذَكِّرنَنا أَيّامَنا بِعُوَيقَةٍ[٣]	وَهَضبِ قُساسٍ وَالتَذَكُّرُ يَشعَفُ

وقوله[٤] :

[١] ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر، ص ٧ .

[٢] الديوان ص ١٣ .

[٣] لم أجد ذكراً لعويقة إلا في بيت للقطامي في قوله:و لم يَحِلّوا بأحواسِ الغميسِ إلى شَطَّي عُويقةَ فالرَّوحاءِ من خِيَمَا ، وجاء في حاشية ديوان جران العود رواية أبي سعيد السكري أنها تروى (بسويقة) و (بعريضة) . وقال ياقوت الحموي : عريضة من بلاد بني نمير قال جران العود النميري : تذكرنا أيامنا بعريضة وهضب قساء والتذكر يشعف

(معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت ٤/١١٤)

[٤] الديوان ص ٢٤.

هَلَ انتُم واقِفونَ عَلـــى السُـــطورِ[1] فَنَنظُـــرَ مـــا لَقـــينَ مِـــنَ الـــدُهورِ
تُرِكنَ بِرِجلَـــةِ[2] الرَوحـــاءِ[3] حَتّـــى تَنَكَّـــرَتِ الـــدِيارُ عَلـــى البَصـــيرِ
كَـــوَحيٍ[4] بِالحِجـــارَةِ أَو وُشـــومٍ[5] بِأَيـــدي الـــرومِ باقِيَـــةِ النَـــؤورِ[6]

وقوله[7]وقد وقف متذكرا موضعاً يقال له (بُرَيْد[8]) :

نُبِّئتُ أَنَّ بُرَيداً خَـــفَّ حاضِـــرُهُ[9] مِنـــهُ وَزايَلَـــهُ المَرعِـــيُّ وَالهَمَـــلُ[10]
وَقَد رَأَيتُ بِها الأَصرامَ[11] يَجمَعُهُم سَهلُ الأَباطِحِ لا ضيقٌ وَلا جَـــرَلُ[12]

٢- واستدلت كارين صادر بوجود دلائل قرآنية أيضاً في شعر خدنه وتبعه الرحـــال كقوله[1] :

---

[1] السَّطْرُ والسَّطَرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها.... وتجمع على سطور ... اللسان مادة سطر .

[2] ...الرِّجْلة: مَنْبِت العَرْفج الكثير في روضة واحدة. والرِّجْلة: مَسِيل الماء من الحَرَّة إِلى السَّهلة. شمر: الرِّجَل مَســايِلُ الماء، واحدها رِجْلة... اللسان مادة رجل .

[3] الروحاء : جاء في اللسان : قصعة روحاء قريبة القعر فربما يكون المقصود أن الديار التي وقف عليها جران العـــود تقع على مسيل واد قريب القعر أي منبسط ، والروحاء أيضاً موضع قريب من المدينة وإذا نحن اعتبرنا أسماء الأماكن ، التي وردت في أشعار جران العود ، وجدنا أنه كان من أهل العالية في الشمال الغربي من نجد ، قريبا من الحجـــاز .فيكون هذا المكان الذي وقف عليه هو مكان يسيل فيه السيل وهو في الروحاء .

[4] الوَحْيُ: الإِشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك. .. اللسان مادة وحي .

[5] الوُسومُ والوُشومُ العلاماتُ. ابن سيده: الوَشْمُ ما تجعله المرأَة على ذراعِها بالإِبْرَةِ ثم تَحْشُوه بالنَّؤُور، وهو دُخـــان الشحم، والجمع وُشومٌ ووِشامٌ ... اللسان مادة وشم .

[6] دخان الشحم الذي يكتب به أو يحشى في الوشم . اللسان .

[7] الديوان ص ٣١ .

[8] ماء لبني ضبينة ، وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . حاشية ديوان جران العود بتحقيـــق كارين صادر .ص ٧٨

٩ من كان يحضره من الناس . اللسان مادة حضر .

[10] المرعي :الإبل التي تُرعى من الرعاية والاهتمام اللسان والهمل : ما أهمل فترك بلا راع . اللسان .مادة رعى ومادة همل.

[11] جماعات الناس

[12] الكثير الحجارة . الصحاح مادة جرل .

لقد أصبحَ الرحالُ عنـــهن صـــادفاً   إلى يومِ يلقـــى اللهَ أو آخـــرَ العمـــرِ

٣- تسمية جرانَ نجداً بالجلس ، وتهامة بالغور في قوله[٢] :

أَبِالغَورِ أَم بِالجَلسِ أَم حَيثُ تَلتَقـــي   أَماعِزُ مِـــن وادي بُرَيـــكٍ وَأَبطَـــحُ

وكان أول من أطلق هاتين التسميتين الرسول صلى الله عليه وسلم في خـــبر أورده ياقوت نقلاً عن الطبراني في معجمه الكبير .

ومن وجهة نظر الباحث أن هذا الاستدلال أيضاً لا نستطيع أن نقيم بـــه حجـــة ! فياقوت الحموي نقل الحديث و لم يصرح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من أطلق هذه التسمية ! بل ذكره في معرض حديثه عن الكلمة حيث قال:" الجَلْسُ بـــالفتح وهو الغليظ من الأرض ومنه جمل جلس وناقة جلس أي وثيق جسيم .

والجَلْسُ علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد قال ابن السكيت جلَس القوم إذا أتوا نجدا وهو الجلس وأنشد :

شَـــمالَ مَـــنْ غَـــارَ بـــه مُفرِعـــا   وعـــن يمـــين الجـــالس المنجـــد

وقال الهذلي:

إذا ما جلســـنا لا تكـــاد تزورنـــا   سُـــلَيمٌ لـــدى أبياتِنـــا وهـــوازنُ

أي إذا أتينا نجدا ، وورد الفرزدق المدينة مادحا لمروان بن الحكم فأنكر مروان منـــه شيئا فأمره بالخروج من المدينة عُنْفا بعد أن كتب له إلى بعض العمال بمال فقال الفرزدق :

يـــا مَـــرْوَ إن مطـــيتي محبوســـةٌ   ترجـــو الحبـــاء وربهـــا لم ييـــأسِ

فالتقاه رجل فأنشده هذه الأبيات :

قل للفرزدق والســـفاهة كاسمهـــا   إن كنت تارك ما أمرتـــك فـــاجلسِ

وأتيـــــتني بصـــــحيفة مختومـــــة   أخشى عليك بهـــا حبـــاء النقـــرسِ

ألقِ الصحيفةَ يا فـــرزدقُ لا تكـــن   نكـــداءَ مثـــلَ صـــحيفةِ المـــتلمِّسِ

قال الطبراني في معجمه قال حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ النَّضْرِ الْقُرَشِيُّ ، حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، حدثنا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ،

---

[١] ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر ص ٤٨ .

[٢] الديوان ص ٥ .

عَنْ بِلالِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ يُبْعِدُ ، فَأَتَيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَانْطَلَقَ ، فَسَمِعْتُ عِنْدَهُ خُصُومَةَ رِجَالٍ ، وَلَغَطًا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا ، فَجَاءَ ، فَقَالَ : بِلالٌ ، فَقُلْتُ : بِلالٌ ، قَالَ : أَمَعَكَ مَاءٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَصَبْتَ ، فَأَخَذَهُ مِنِّي ، فَتَوَضَّأَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْتُ عِنْدَكَ خُصُومَةَ رِجَالٍ وَلَغَطًا مَا سَمِعْتُ أَحَدًّ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ ، قَالَ : " اخْتَصَمَ عِنْدِي الْجِنُّ الْمُسْلِمُونَ وَالْجِنُّ الْمُشْرِكُونَ ، سَأَلُونِي أَنْ أُسْكِنَهُمْ ، فَأَسْكَنْتُ الْمُسْلِمِينَ الْجَلْسَ ، وَأَسْكَنْتُ الْمُشْرِكِينَ الْغَوْرَ " ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : قُلْتُ لِكَثِيرٍ : مَا الْجَلْسُ ، وَمَا الْغَوْرُ ؟ ، قَالَ : الْجَلْسُ الْقُرَى وَالْجِبَالُ ، وَالْغَوْرُ مَا بَيْنَ الْجِبَالِ وَالْبِحَارِ ، قَالَ كَثِيرٌ : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا أُصِيبَ بِالْجَلْسِ إِلا سَلِمَ ، وَلا أُصِيبَ أَحَدٌ بِالْغَوْرِ إِلا لَمْ يَكَدْ يَسْلَمُ .. ."[1]

ثم رجحت كارين صادر أنه بدوي وأن بداوته الصافية هي التي أوقعت الباحثين في الخطأ وجعلتهم يضمونه إلى قافلة الشعراء الجاهليين .

ومن خلال التأمل في هذه الآراء ، يرجح الباحث أنه إسلامي أموي بدوي . وذلك لأن الأدلة المذكورة هي أقوى من غيرها مع حاجتنا إلى مزيد من البحث في هذه المسألة ؛ ولكن الباحث يقف هنا ؛ لأن المقصود في هذا البحث الوقوف على الصور البيانية في شعر جران العود وليس التحقيق في شخصه وزمنه . وما تم إيراده ما هو إلا تمهيد حاول الباحث فيه أن يستجلي بعض ماورد حول اسمه ونسبه وزمنه ؛ للدخول إلى تلك الصور .

[1] معجم البلدان ١٥٢/٢،١٥٣. والحديث الذي أورده إسناده شديد الضعف فيه كثير بن عبد الله المزني وهو متروك الحديث. كما في موسوعة الحديث الشريف على شبكة إسلام ويب . وقال الشيخ الألباني : (ضعيف جدا) انظر حديث رقم : ٢٢٦ في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ،محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

ثالثاً / شاعريته :

جران العود مع أنه شاعر مغمور لم يحظ بالدراسة والبحث غير أن له ذكراً جميلاً في كتب النقد والأدب القديمة ،كما أن من ألَّف عنه من المعاصرين أثنى عليه ثناء حسناً .

وقد وردت في هذه الكتب القديمة والمعاصرة آراء نقدية لمجموعة من العلماء تجعل الباحث يوقن أنه يقف أمام شخصية شعرية تستحق البحث والدراسة ؛ فمن ذلك :

ما أورد الخالديان :"وقال جِران العَود النُّميري ، ولا يعرف في نسيب الأعراب وغزلهم أحسن ألفاظاً من هذه القصيدة ولا أملح معانٍ، والمختار منها قوله:

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ

أما قوله: (فبتُّ كأنَّ العينَ أفنانُ) البيت، فمن أحسن ما قيل في الدمع وأجوده وأطرفه...وقوله: (أراقب لوحاً من سهيل) البيت، مليح التشبيه صحيحه لأنه من تأمّل رآه كأنَّه عين تطرِف...وقوله: (ويكفيك آثار لنا حين نلتقي) البيت، معنى مليح...وقوله: (فنصبح لم يشعر) البيت، كلام طريف وكذب مليح لأنه قال لا بدَّ من همة تلحقنا فنحلف أنَّا لم نفعل ويحلفون أنَّا قد فعلنا.

وقوله: (فأقبلن يمشين) البيت، من أحسن ما يكون في صفة المشي...وأما قوله في ذكر الحديث وحسنه: (ينازعننا لذّا) البيت، والَّذي بعده فهو حسن نادر..." [١]

وجاء في الأمالي للمرزوقي: "قالوا: ومن الغزليات المختارة المقدمة قصيدة جران العود النميري... وكان جران العود غزلا وصافا، يصف ويفرط في نسيبه... " [٢]

وقال ابن قتيبة : " ومما يستحسن من شعره قوله:

بَانَ الأَنيسُ فما للقلْب معقولُ ولا على الجيرَة الغادِينَ تَعْويلُ
يَوْمَ ارْتَحَلْتُ برَحْلِي قَبْلَ بَرْذَعَتِي والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بالبَيْنِ
ثم اغْتَرَزْتُ على نِضْوي لأَرْفَعَهُ إِثْرَ الحُمُولِ الغَوَادِي وهْوَ مَعْقُولُ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

---

[١] الأشباه والنظائر للخالديين

[٢] أمالي المرزوقي ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري ، دار العرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ٧٠/١

فلا تَأْمَنُوا مَكْرَ النِّسَاءِ وأَمْسِكُوا   عُرَى المالِ عن أَبْنَائِهِنَّ الأَصاغِرِ
فَإِنَّكَ لَم يُنذِركَ أَمراً تَخافُهُ   إِذا كُنتَ مِنهُ جاهِلاً مِثلُ خابِرِ"[1]

وقال أبو هلال العسكري في حديثه عن ذكر الشعراء لنجم سهيل :" وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه (يعني نجم سهيل) قول جران العود:
أراقبُ لمحاً من سهيلٍ كأنّهُ   إذا ما بدا من آخرِ الليلِ مطرفُ "[2]

وسماه أبوالعلاء المعري في رسالة الغفران (المحسن)[3]

ويقول الدكتور نوري القيسي في مقدمة تحقيقه لديوانه : " ... إن مبادرته الشعرية في فن القصص الشعري كانت مرحلة من مراحل النضوج التي ازدهرت في عصر عمر بن أبي ربيعة وغيره ممن ولج هذا الباب من الغزلين... وقد حرص الشاعر على توظيف شعره للتعبير عن حالته الاجتماعية ... وجران العود الذي يمثل امتداداً لاتجاه قصصي عرفه الشعر العربي يقدم لنا لوحة جديدة من لوحات الشعر القصصي... فالقصة عند جران العود تأخذ امتداداً متميزاً من حيث التركيب والاتجاه وقد أعد لها الشاعر وسائلها المطلوبة وأصباغها المناسبة وحدد زواياها المثيرة وأجواءها الشعرية المهيئة ... "[4].

وتقول كارين صادر: " هو شاعر رقيق وجداني شديد الرومانسية ، تحتل عاطفته المساحة الأكبر من شخصه ... "[5]

---

[1] الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ/٢/٧٠٨ـ٧١٢

[2] ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ،شرحه وضبط نصه أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ،١/ ٣٢٦،٣٢٧.

[3] رسالة الغفران أبي العلاء المعري تحقيق: د. عائشة بنت عبد الرحمن دار المعارف الطبعة التاسعة ص ٢٧٧

[4] ديوان جران العود النميري ، تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي ص١٢ـ ١٨ بتصرف .

[5] ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر ص ٨ .

ويقول إبراهيم أمين فوده : " جران العود شاعر خفيف الروح ، حلو التندر ، لطيف الدعابة ، في شعره سذاجة الفطرة ، ووداعة الطبيعة ، وروعة الأسلوب ، وفيه حـــلاوة النطق العربي الفصيح ... "[1]

ويذكر الدكتور محمد الهرفي في كتابه ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري جملة من الخصائص التي تتصل بشعره :منها تلك النبرة الشعرية المتميزة والتي تنحو بالشعر إلى ما يسمى بالشعر الخالص أو الشعر الصافي بما وفره الشاعر لشعره من خصائص فنية بلاغية وأسلوبية متميزة ، فضلاً عن تلك الجودة التي تمثل السمة الأساسية لجران العود النميري .و تلك الواقعية العميقة التي ينتظمها الإطار الشعري ، وهي واقعية زادت من عمق الشعر وبروز الشاعرية أو ما نسميه الشعرية ... ومايتصل بما يسميه بعض النقاد البعد الدرامي للشعر الغنائي ، وهو بعد لا يقتصر على الأشكال القصصية التي قدمها الشـــاعر ، بـــل يتجاوزها إلى تلك القصائد التي لم يعمد الشاعر فيها إلى تقديم موقف قصصي ، حيـــث تشعر بصراع ما بين الأنا والأخرى ، وتشعر بمأساة الإنسان حتى في مواجهة المرأة ومـــا يتصل بذلك من متعة تمثل خطراً عليه وكأن الإنسان هو ابن الموت حتى في قمة انتصاره واقتناصه ملذات حياته ... ولا نبالغ إذا قلنا إن شعر جران العود يمثل الريادة لمدرسة عمر بن أبي ربيعة ومسلم بن الوليد وآخرين من شعراء الغزل ، وإن تميز عليهما بالبعد عن كثير من خصائص تلك المدرسة ..."[2]

لقد وقف الباحث وهو يقرأ في ديوان جران العود النميري على شاعر مجيد ذي تميز خاص وطريقة تجعله جديراً بالدراسة والبحث .

---

[1] الشاعر المحسن ، إبراهيم أمين فوده ، مطبوعات نادي مكة الثقافي والأدبي ، الطبعـــة الأولى ١٤٠٤هـــــ/١٩٨٤م ص ٣٤

[2] ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري محمد الهرفي دار المعالم الثقافية ١٤١٧هـــ ص ٩٥،٩٤ بتصرف .

المبحث الثاني :

الشعر والصورة البيانية :

تعريف الصورة في اللغة العربية :

جاء في اللسان :"...الصورة في الشكل ، والجمع صور ، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته ، فتصور لي ، والتصاوير : التماثيل ... قال " ابن الأثير : الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته ، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة كذا وكذا أي صفته..."[1]

وفي المعجم الوسيط :" ...(صوّره) جعل له صورة مجسمة وفي التنزيل العزيز (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) والشيءَ أو الشخصَ رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو الفرجون أو بآلة التصوير ،والأمرَ وصفه وصفا يكشف عن جزئياته (تصور) تكونت له صورة وشكل والشيء تخيله واستحضر صورته في ذهنه.

و(التصور) في علم النفس : استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه

و(التصوير) نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط أو نحوهما بالقلم أو بالفرجون أو بآلة التصوير و(التصوير الشمسي) أخذ صورة الأشياء بالمصورة الشمسية.

و(الصورة) الشكل والتمثال المجسم وفي التنزيل العزيز: (الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) ،وصورة المسألة أو الأمر صفتها والنوع يقال هذا الأمر على ثلاث صور وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل... "[2]

---

[1] لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،دار صادر بيروت الطبعة الأولى ، مادة صور

[2] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ،محمد النجار، دار الدعوة،تحقيق / مجمع اللغة العربية . باب الصاد .

مفهوم الصورة عند القدماء :

إنَّ الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة الشعرية في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن ــ وإن كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير ؛ بــل إن الدارس لشعرنا العربي يجد صورا شعرية جميلة تأسر القارئ والسامع ــ لأن الدرس النقدي العربي كان يحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة.

لقد كانت الصورة الشعرية وما تزال موضوعا مخصوصا له حضوره المميز في كلام النقاد ، وإن كان مصطلح الصورة المعروف في وقتنا لم يكن له حضوره اللفظي آنذاك .

والمواقف النقدية الأولى التي رصدها علماء الأدب والبلاغة وهم يرصدون تطور النقد العربي تدل على ذلك، ومن ذلك القصة المشهورة التي ذكرت أن "النابغة كانت تُضرب له قبة بسوق عكاظ، فيعرض عليه الشعراء أشعارهم. فدخل عليه يوما حسان بن ثابت وعنده الأعشى، وقد كان أنشده شعرا له فاستحسنه، وإذا بالخنساء فأنشدت:

يا صَخرُ وَرّادَ مــاءٍ قَــد تَنــاذَرَهُ ... أَهــلُ المَــوارِدِ مــا في وِردِهِ عــارُ
مَشى السَبَنتى إِلى هَيجاءَ مُعضِــلَةٍ ... لَــهُ سِــلاحانِ أَنيــابٌ وَأَظفــارُ
وَما عَجولٌ عَلى بَوٍّ تُطيــفُ بِــهِ ... لَهــا حَنينــانِ إِعــلانٌ وَإِســرارُ
تَرتَعُ ما رَتَعَت حَتّى إِذا اِدَّكَــرَت ... فَإِنَّمــا هِــيَ إِقبــالٌ وَإِدبــارُ
يَوماً بِأَوجَدَ مِنّــي يَــومَ فــارَقَني ... صَــخرٌ وَلِلــدَهرِ إِحــلاءٌ وَإِمــرارُ
وَإِنَّ صَــخراً لَوالِينــا وَسَــيِّدُنا ... وَإِنَّ صَــخراً إِذا نَشــتو لَنَحّــارُ
وَإِنَّ صَــخراً لَتَــأتَمَّ الهُــداةُ بِــهِ ... كَأَنَّــهُ عَلَــمٌ في رَأسِــهِ نــارُ
جوَّابُ قاصــيةٍ جــزَّارُ ناصــيةٍ ... عقَّــادُ ألويــةٍ للجــيش جــرارُ
حامي الحقيقــة محمــود الخليقــة ... مهــدي الطريقــة نفــاع وضــرارُ
لَم تَرَهُ جارَةٌ يَمشــي بِســاحَتِها ... لِريبَةٍ حــينَ يُخلــي بَيتَــهُ الجــارُ

فقال لها النابغة: لو لا أنَّ أبا بصير يعني الأعشى أنشدني قبلك لقلت أنك أشعر الإنس والجن فقال حسان: أنا اشعر منك ومنها ومن أبي بصير، حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضــحى ... و أسيافنا يقطرن مــن نجــدة دمــا
ولدنا بني العنقــاء وابــنيْ محــرق ... فأكرم بنا خالا وأكــرم بنــا ابنمــا

فقال له النابغة: إنك لشاعر لو لا أنك قلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان كان أكثر؛ وقلت يلمعن بالضحى، ولو قلت يشرقن بالدجى كان أبلغ وقلت يقطرن ولو قلت يجرين كان أبلغ ؛ وفخرت بما ولدت و لم تفخر بمن ولدك على أنك يا بني لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

فقام حسان خجلا منكسرا."[1]

والعجيب أن يكون الاهتمام بالصورة الشعرية موضع إجماع بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات متنوعة ، فأفلاطون[2] الناقد اليوناني يجعل للصورة نصيباً كبيراً في نظرية المحاكاة " فهو يرى أن ثمة وجوداً حقيقياً يسميه (عالم المثل) وأن أرقى أنواع المعرفة هي تلك التي تقود إلى إدراك تلك الصور العقلية الخالدة ذات الوجود الأبدي ، وأن كل ما في هذا العالم ليس إلا خيالات لتلك الصور،وأن الأديب أو الشاعر بخاصة يحاكي الأشياء التي هي انعكاس لعالم المثل "[3]

ويأتي بعده أرسطو[4] الذي طور فكرة المحاكاة ووسع مفهومها ؛ " فبينما كانت عند أفلاطون تدل على التقليد ، أصبحت تجاوز ذلك إلى التصرف في الصورة ، وأصبح من حق

---

[1] زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي ، تحقيق الدكتور محمد الحجي والدكتور محمد الأخضر، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م . ٢١٨/١، ٢١٩ .

[2] (بالإنجليزية: Plato) (باليونانية: Πλάτων پْلاَتُونْ) عاش بين (٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م) فيلسوف وطبيب يوناني قديم، وأحد أعظم الفلاسفة الغربيين، حتى إن الفلسفة الغربية اعتبرت أنها ما هي إلا حواشي لأفلاطون. عُرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل وإبيغرامات (ابيغرام:قصيدة قصيرة محكمة منتهية بحكمه وسخرية) وكان له تلاميذ كثير، وتولى التدريس بعده رجلان ، واحد منهم هو أرسططاليس وصنف كتبا كثيرة ، وصلت منها ستة و خمسون كتابا . ومات أفلاطون عن واحد وثمانين عاما(الموسوعة العربية على الشبكة العالمية Global Arabic Encyclopediahttp://www.mawsoah.net)

[3] في النقد الأدبي الحديث مدارسه ومناهجه وقضاياه ، الدكتور محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ص ١٨.

[4] أرسطو أو أرسطوطاليس أو أرسطاطاليس عاش مابين (٣٨٤ ق م - ٣٢٢ ق م) فيلسوف إغريقي، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. كتب في العديد من المواضيع، بما في ذلك علوم الفيزياء والميتافيزيقا، الشعر، المسرح، الموسيقى، والمنطق والبلاغة والسياسة والحكومة، والأخلاق، والبيولوجيا، وعلم الحيوان. جنبا إلى جنب مع

المبدع أن يتصرف في الصورة ليبرز جوانب الحسن فيها إن أراد التحسين ، أو يجلي جوانب القبح فيها إن أراد التقبيح .

وكأن الصورة في مفهوم النقد اليوناني تعني خلق شيء على هيئة غيره على سبيل التقليد ، مع إبراز جوانب التأثير التي يريدها المصور . وهي بهذا المفهوم لا تبتعد كثيراً عن المفهوم المعروف في اللغة العربية وفي الاستعمال القرآني والنبوي وفي الشعر العربي القديم ؛ غير أن المفهوم اليوناني قد مال إلى التخصيص ؛ فجعل الصورة محصورة في الشيء المشابه لغيره "[1]

ونجد في نقدنا الأدبي العربي ذكراً للصورة فالجاحظ[2] (ت٢٥٥هـ) أشار إلى الصورة من خلال نظرته التقويمية للشعر، والإشارة إلى الخصائص التي تتوافر فيه فرأى أن "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير "[3].

"ففي هذا النص قد تحدث الجاحظ عن التصوير ، وهو نص من أقدم النصوص في هذا المجال ، وقد بين فيه أهمية جانب التجسيم وأثره في إغناء الفكر بصور حسية قابلة للحركة والنمو، تعطي الشعر قيمة فنية وجمالية، لايمكن للمتلقي الاستغناء عنها، فحينما يكون الشعر جنساً من التصوير يعني هذا قدرته على إثارة صور بصرية في

أفلاطون وسقراط (معلم أفلاطون)، أرسطو واحد من أهم الشخصيات في تأسيس الفلسفة الغربية. كان أول من أنشأ نظام شامل للفلسفة الغربية، ويشمل الأخلاق وعلم الجمال والمنطق والعلم والسياسة والميتافيزيقا. (الموسوعة العربية على الشبكة العالمية Global Arabic Encyclopediahttp://www.mawsoah.net.)

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد .د إبراهيم بن عبدالرحمن الغنيم ، الشركة العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .ص ٨ .

[2] عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.مولده١٦٣هـ ووفاته في البصرة٢٥٥ هـ.فلج في آخر عمره.وكان مشوه الخلقة.ومات والكتاب على صدره.قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه.له تصانيف كثيرة مشهورة ،(الأعلام ٧٤/٥).

[3] كتاب الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦م ١٣٢/٣.

ذهن المتلقي، وهي فكرة تعد المدخل الأول أو المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى"[1]

ونقل لنا أبوهلال العسكري[2] قول العتابي[3] وهو يتحدث عن حسن تأليف الكـــلام :"الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب، فإذا قدَّمت منها مؤخراً أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى "[4]

ويقول الإمام عبدالقاهر[5]: " واعلم أن قولنا: الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمـــه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا. فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهـــة الصورة فكان تبين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك. وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا، وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك.

---

[1] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بـــيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م ، ص ٢٥٧ بتصرف .

[2] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، وله شعر. وهوصاحب كتاب الصناعيتن و ديوان المعاني وغيرها من كتب الأدب ، قال ياقوت: أما وفاته فلم يبلغني فيها شئ غير أني وجدت في آخر كتاب (الاوائل) من تصنيفه: (وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الاربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ٣٩٥ هـــ) الأعلام ١٩٦،١٩٥/٢.

[3] كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي،أبو عمرو، من بني عتاب بن سعد: كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة.يتصل نسبه يعمرو ابن كلثوم الشاعر. وهو من أهل الشام. كان ينزل قنسرين. وسكن بغداد، فمدح هارون الرشيد وآخرين. ورمي بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخذ الأمان له من الرشيد، فأمنه. وعاد، فاختص بالبرامكة. ثم صحب طاهر ابن الحســين. وصنف كتبا، منها " فنون الحكم " و " الآداب " و " الخيل " و " الأجـــواد " و " الألفـــاظ " الأعـــلام ٢٣١،٢٣٠/٥ .

[4] الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانيـــة ١٤٠٢هــ ص ١٧٩.

[5] عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعرقيق. توفي سنة ٤٧١ هــ (الأعلام ٤٩،٤٨/٤) .

وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه، فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء.ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير."[1]

ويقول الشاعر ابن النقيب[2] :

الشِعْرُ ضَرْبٌ مــن التصــوير قــد	منه القرائِحُ عن شَتّى مــن الصُــوَرِ
فاعْمدْ إِلى قالــبٍ عــون تُدَمِّثــهُ	وافرغ بهِ أَيَّ مَعْــنىً شِــئْتَ مُبْتكَــرِ

" والمتكلم المُبِينُ يتجه إلى اللغة يتحسس مضمراتها ، ويتلمس دقائق الأحوال في الإفراد والتركيب ، ليجد من بينها كفاء ما وجده في نفسه فيجعله عبــارة عنــها ، والمعــاني والأغراض هنا تفيض بها الكلمات لأنها متلبسة بها ، وقد يجد المتكلم في نفسه شــيئاً لا تنتزعه الكلمات ولا تلامسه ، بل ولا تستطيع أن تشير إليه ، مع أنها حافلــة بوســائل الإشارة ، والرمز والإيماء ، وحينئذ تنهض ملكة البيان وتصطنع وسائل أخرى تدخل بها وسائط اللغة وما التبس في غامض النفس ، فيتيسر بذلك سبيل العبارة عنــه ، وهــذه الوسائط منتزعة من الأشياء الكائنة في حياة الناس ، والمتكلم حال اقتناصها يقلب وجهه فيما حوله أو يرجع على أعماق نفسه يفتش عن الأشباه والنظائر، والأشياء التي يحضــر بعضها بعضاً ، ويدل بعضها على بعض ، وكل ما يمكن أن يفتح به باب الإفهام لما يجد .

اقرأ ما شئت من صور التشبيه والمجاز والكناية في كلام أهل الطبع أو انظر إلى قــول نصيب:

---

[1] دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المــدني بجدة الطبعة الثالثة ، ص ٥٠٨ .

[2] عبدالرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد، الحسيني، ابن النقيب: أديب دمشق في عصره. لــه الشــعر الحســن والأخبار المستعذبة. كان من فضلاء النبلاء. له كتاب (الحدائق والغرف) اقتبس منه رسالة لطيفة سماهــا (دســتجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) اقتنيتها بخط ابن الوكيل البلوي. والدستجة من الزهر: الباقة. ولــه (ديــوان شعر مطبوع) وقصيدة في (الندماء والمغنين). مولده سنة ١٠٥٥هــ ووفاته سنة١١٢٨ هــ في دمشــق . الأعــلام ٣٣٢/٣.

كَأَنَّ القَلــبَ لَيلَــةَ قيــلَ يُغــدى — بلَيلــــى العامِرِيَّــــةِ أَو يُـــــراحُ

قَطـــاةٌ عَزَّهـــا شَــرَكٌ فَباتَـــت — تُجاذِبُـــهُ وَقَـــد عَلِـــقَ الجَنــاحُ

لَها فَرخـانِ قَــد تُركـا بِــوَكْرٍ — فَعُشُّـــــهُما تُصَــــفِّقُهُ الريــــاحُ

إذا سَمِعا هُبُــوبَ الــريحِ نصــاً — وقـــد أودى بها القـــدر المتـــاحُ

فَلابِالليـــل نالَـــت مـــا تُرَجّـــي — وَلا في الصُــبحِ كــانَ لَهــا بَــراحُ

تجد الشاعر لم يصف قلبه بالكلمات الدالة على ما وجد ، لأنه لا يستطيع ذلك ، ولو استطاع لفعل ، وإنما وصف قلبه بصورة هذه القطاة التي هذه حكايتها ، وكأن هذه الحكاية هي الكلمة التي وصفت قلب الشاعر..."[1]

ونخلص من هذا إلى أن التراث العربي قد عرف الصورة مصطلحاً ومفهوماً و لم يبخس حقها، وإن اختلفت تسمياتها لدى النقاد والبلاغيين العرب القدامى.

مفهوم الصورة عند المحدثين :

شغلت دراسة الصورة ميداناً واسعاً ومهماً من اهتمامات النقد العربي الحديث واختلفت الاتجاهات بين ناقد متأثر بالتراث العربي، وبين آخر حاول الإفادة مما درسه وتوصل إليه النقاد الغربيون بشأن الصورة وأهميتها وعناصر تكوينها ، وبين هذا وذاك حاول نقاد آخرون أن يوفقوا في دراساتهم وبحوثهم في موضوع الصورة بين تراثنا الخالد وما خلفه لنا الأجداد من إرث نقدي وبلاغي على جانب كبير من الأهمية وبين الدراسة الجديدة عند الغرب ووقوفهم على مسائل مهمة لاغنى للباحث والدارس عنها أبداً .

" ونجد في النقد الحديث أوصافاً مختلفة للصورة ، فقد وصفوها بأنها شعرية ، وأنها أدبية ، وأنها بلاغية ، وأنها بيانية ، وأنها فنية ، وذلك بحسب الفن الذي قيلت فيه ، والنوع الأدبي الذي نميت إليه .

---

[1] التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، للدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .ص ٢١

فهي شعرية إن كانت في الشعر لا في النثر ، وأدبية إن أريد التعميم وعدم تخصيص الشعر . وهي بلاغية أو بيانية إن كانت تقوم على فنون البيان البلاغية ، وهي فنية إن أريد اعتمادها على فنون البلاغة وطاقات اللغة الأخرى "[1]

وعندما نذهب باحثين عن تعريف للصورة في النقد العربي الحديث نجد تعريفات متعددة ، قد تعددت بتعدد رؤى النقاد والباحثين واختلاف رؤيتهم وثقافتهم[2] ؛ فمنهم من ربط الصورة بالوجدان وعدَّ الصورة تركيبة وجدانية ليس غير ، مثل عز الدين إسماعيل بقوله :" الصورة تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع "[3] أو كما عرفها سيمون عساف بقوله :"إن الصورة في أساس تكوينها شعور وجداني غامض بغير شكل ، بغير ملامح ، تناوله الخيالُ المُؤلِّف أو الخيال المركب فحدده وأعطاه شكله ، أي حوله إلى صورة تجسده "[4]

ومنهم من ربط مصطلح الصورة بشكلها مثل علي البطل إذ يقول في ذلك : " الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ، يقف العالم المحسوس في مقدمتها . فأغلب الصور مستمدة من الحواس ، إلى جانب ملا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية ..."[5]

ونجد من ربط الصورة بالعقل ، وعدها تشكيلاً عقلياً ؛ مثل الدكتور عبدالقادر الرباعي الذي يقول : " إن الصورة في المفهوم الفني أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية

---

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد . ص ١٨ .

[2] استفدت في هذا من كتاب الصورة الفنية في شعر الشماخ ، محمد علي ذياب ، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة بالمملكة الأردنية الهاشمية .٢٠٠٣ ، ص ٢٢ ،٢٣ ،٢٤ ، ٢٥. ومن كتاب الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد . ص ١٤،١٥،١٦،مع رجوع للمراجع التي رجع إليها المؤلفان.

[3] الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٩٨١م ، ص١٢٧.

[4] الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، ساسين سيمون عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦ .

[5] الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، الدكتور علي البطل ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م . ص ٣٠ .

بالذهن ، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن .. لكن هذا المفهوم العام للصورة ، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية ..."[1]

ويرى أحمد دهمان الصورة تركيبة عقلية حيث يقول : "إن الصورة الشعرية هي تركيبة عقلية وعاطفية معقدة ، تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه ، وتعين على كشف معنى من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها "[2]

أما الدكتور عبدالقادر القط فقد عرف الصورة تعريفاً يجمع فيه كل الوسائل التصويرية المتاحة للشاعر بمافيها الوسائل البديعية كالمقابلة والجناس وغيرها حيث يقول :" إن الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خالص ؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني "[3]

ويوجز أحمد خليل تعريف الصورة بقوله :"الصورة هي كل تعبير انفعالي غير مباشر ولا حرفي "[4]

لقد اختلفت تعريفات الصورة في النقد العربي الحديث وتناقضت أحياناً بناء على اختلافات أصحابها واجتهاداهم ومصادرهم التي استقوا منها .غير أن كل من تحدث منهم عن الصورة أقر بأهميتها الجمالية المؤثرة ومكانتها العالية في الشعر العربي .

فالصورة هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر ؛ فالإبداع في الشعر ناتج من إبداع الصورة على مدى تطور مفاهيم الشعر منذ القدم وحتى الوقت الحاضر.

" وقد خطت الصورة مع إطلالة العصر الحديث خطوات واسعة نحو التربع على قمة جماليات العمل الأدبي وفنياته ، وقدمت هذه الخطوات مواقف نقدية أحاطت الصورة

[1] الصورة الفنية في شعر الشماخ ،ص ٢٢ .

[2] الصورة البلاغية عند عبدالقاهر ، أحمد علي دهمان ، دار طلاس ، دمشق ،١٩٨٦، ص ٣٢٤

[3] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، عبدالقادر القط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٤٢٥.

[4] الرؤية الجمالية في شعر الجاهلية والإسلام ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، جامعة حلب ، ١٩٨٩، ص ٢٩٧ .

بنصيب وافر من التقدير ، وسلمت لها بالسبق والأفضلية في إدارة العمل الأدبي ، فغدت في ضوء هذه المقاييس المحتفية تحتل مكاناً جوهرياً في كل عمل فني وخاصة الشعر "[1]

الفصل الأول

مصادر التصوير البياني في شعر جران العود

١ – المرأة

٢ – البيئة

٣ – التجربة الإنسانية الذاتية

[1] الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري ، فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي ، مطبوعات نادي مكـــة الثقـــافي الأدبي ١٤٢٤هـــ ، ص ١٠١.

المصدر هو منبع الشيء وموطنه ، وللشعراء مصادر يستقون منها صورهم الفنيـــة ، فهم يأخذون صورهم الفنية من أشياء مختلفة ، وهذه الأشياء تكون محسوسة كالبيئة التي عاش فيها الشاعر ، وتكون غير محسوسة كثقافة الشاعر وتجاربه الشخصية . "وعلى ذلك فإن مصادر الصورة هي الأشياء التي يتكئ عليها الشعراء في إبداع صورهم ، بل هـــي منطلقات الخلق الفني التي تعكسها مرآة وجدان الشاعر ، ولذلك نجد أن صور الشـــعراء تتلون بحسب وقع تلك الأشياء على مواقع الإحساس في نفوسهم ، كما نجد أن لكـــل شاعر طابعاً خاصاً مع بيئته وتكوينه الثقافي وقدراته الخيالية . "[1]

إن الشاعر يتكئ على ثقافته ، وعلى ماحوله من محسوسات ، وعلى تجاربه الشخصية ، ثم يستنهض خياله ووجدانه .وقدراته اللغوية . ليبني صوره الشعرية .

ومن هنا يكون التفاوت بين الشعراء في صورهم من حيث الجودة وقوة التأثير بجمال التصوير ؛ فالجميع ينظر ويتأمل فيما حوله ، ويعيش هذه الحياة ؛ غير أن مصادرهم تختلف وقدراتهم الخيالية ، واللغوية تختلف .

"والأديب يقدم نتاجه على أنه كشف للإنسان ومجتمعه وللكون من حوله ، ولكن من خلال انفعالاته وإحساسه الجمالي "[2]

"إن الصورة الشعرية كيان نفسي وبناء لغوي قابلان للوصف والاكتناه الموضوعي .

ومن الوضوح بمكان أن الخيال أسس بواسطة الصورة (تضايفاً) بين عناصر متماثلـــة وموضوعة في سياق (الحي) سواء تشخص في الحيوان أو النبات ، وقد حقـــق هـــذا التضايف منطق الخيال القائم على التداخل والإدماج "[1]

---

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد . ص٣٩ .

[2] جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، د فايز الداية ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م ، ص ٣٤.

ودراسة هذه المصادر هي طريقنا لتحسس خصائص المثل العليا في التصوير عند الشاعر وعلى البحث في المنظار الذي ينظر منه إلى ماحوله.[2]

وعندما نريد أن نحدد المصادر التي أثرت في جران العود نجد أنه قد أخذ مما حوله وتأثر به ، واستفاد من تجاربه ؛ فصنع هذه الصور الجميلة التي تجعل قارئها يعيش معه استمتاعه وتأثره .

ولكن ثلاثة أمور تفرض نفسها علينا في حديثنا عن هذه المصادر وإن كانت متداخلة متمازجة في تأثيرها على شاعرنا .

وهذه الثلاثة بينها من التداخل والتمازج ما يجعلنا نتحير في ترتيبها غير أن الباحث رتبها بهذه الترتيب حسب قوة الأثر على الشاعر وبروز ذكره في قصائده .

وهي :

- المرأة
- البيئة
- التجربة الإنسانية الذاتية .

أولاً/المرأة :

المرأة في حياة الشاعر العربي ملهمة لإبداعه وتفوقه ؛ ففي حبها يردد أجمل الألحان الشعرية ويوقد في رحابها شموع حبه وتعلقه .

"والذي يستعرض شعرنا العربي يلاحظ أن المرأة احتلت منه مكاناً مرموقاً ، وأنها عاشت فيه نغماً جميلاً يعزفه الشعراء وأغنية حلوة تتردد في لهواتهم وفوق شفاههم ، وحلماً ساحراً يداعب أجفانهم ، ويسامر لياليهم ، ويملؤها عليهم أحلاماً سعيدة . فمن حبها استلهموا أروع مقدماتهم ، وفي حبها نظموا أبدع روائعهم ،وعلى حبها عاشوا أجمل أيامهم وأحلى لياليهم ،وإلى حبها أداروا وجه أمانيهم ، ووجهوا صدور آمالهم ...

---

[1] الخيال مفهوماته ووظائفه ، د عاطف جودة نصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٨٤م . ص ١٥٣ .

[2] خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ،منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م ، ص ١٦٩.

ويوشك الأدب العربي أن يكون أغنى الآداب العالمية شعر حب ، ولا يكاد يعدل الغــزل العربي أي غزل آخر كثرة شعراء ، وتنوع تجارب ، وتعدد مذاهب " [1]

والمرأة مصدر مؤثر من مصادر التصوير البياني في شعر جران العود ؛وإن كانت جزءاً من البيئة التي تمثل مصدراً ثرياً من مصادر إمداده بالصور وتنوعها؛ غير أن الباحث هنــا أراد أن يلفت النظر إلى قوة أثر المرأة في صور شاعرنا باعتبارها إنسانا عاقلاً فنخرجها عما لا يعقل ، إضافة إلى أن عناصر البيئة تمتاز في الغالب بعدد من الخصائص التي يمكن لمسها أو التكهن بها مسبقاً ، أما الإنسان الذي تمثله المرأة هنا فلها من الخصائص مايفوق الحصر ، وكثير من هذه الخصائص لا يمكن تحديده أو التكهن به مسبقاً .[2]

بل إن المطلع على سيرة جران العود يجد وصفه بأنه كان تبع نساء ، يحبهن ويحــب مجالستهن ولعله ظن أن حياته ستكون بتلك السعادة التي يجدها وهو يجالس أولئك النسوة اللاتي سلبن لبه ! غير أن الحال تغيرت بعد زواجه بزوجته الأولى والثانية فخرجت تلك الأبيات التي تبين حاله بعد زواجه وتذكره لمحبوبات قلبه اللاتي أحبهن وأحب مجالسهن .

والباحث بعد التأمل في تجربة جران العود مع المرأة يجد أن جران العود يحب المــرأة ويرى فيها عالم الجمال والأنس والمتعة والسكينة ، وما وصفه لزوجتيه وزوجات أبنائه إلا موقف مفجوع ؛ " حيث اقترن هجاؤه للمرأة بفجيعته في زواجه من امرأة تمثل القــبح وامرأة أخرى تمثل الشر "[3]

و لم يكن جران العود أول مفجوع ذم النساء ، وذم طباعهن السيئة ! فهذا الطفيــل الغنوي[4]يقول[1] :

---

١ ذو الرمة شاعر الحب والصحراء / د يوسف خليف ، مكتبة غريب ص ٧ بتصرف .

٢ الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري ص ٤٩٧ .

٣ المرأة عند شعراء صدر الإسلام الوجه والوجه الآخر ، د حسني عبدالجليل يوسف ص ٧ .

٤ طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان.وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها. ويسمى أيضا (المحبر) بتشديد الباء، لتحسينه شعره. عاصر النابغــة الجعدي، وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان نحو ١٣ ق هـــ. (الأعلام ٣/٢٢٨)

إن النساء كأشـــجار نـــبتن معـــاً منها المَـــرَارُ وبعـــض المـــر مـــأكولُ
إن النساء متى يَنْهَين عـــن خُلُـــقٍ فإنـــــه واجـــــب لابـــــد مفعـــــولُ
لا يَنْثَنـــينِ لرشـــدٍ إن مُـــنِين لـــه وهـــــن بعـــــد مَلومَـــــاتٌ مخاذيـــــلُ

ويقول علقمة الفحل[٢] :

فـــإن تســـألوني بالنســـاء فـــإنني بصـــــير بـــــأدواء النســـــاء طبيـــــبُ[٣]
إذا شاب رأس المرء أو قـــل مالـــه فلـــيس لـــه مـــن ودهـــن نصـــيبُ

" عاش جران العود تجربة طويلة مع النساء وذكر تلك المواقف التي تجمع بين حبـــه وكرهه ، وبين أنسه ووحشته منهن .

فجمع بين زوجتين هما : (أم حازم) و(رزينة) اللتين أذاقتاه صنوف العذاب وألوان الذل حتى بلغ منه أن عرض عليهما نصف ماله في سبيل التخلص من حياهما الزوجيـــة حيث يقول[٤] :

خذا نصف مالي واتركا لي نصـــفه وبينـــــا بـــــذم فـــــالتعزب أروحُ
أُلاقي الخَنا وَالبَرحَ مِـــن أُمِّ حـــازِمٍ وَما كُنتُ أَلقـــى مِـــن رُزَيَنَـــةَ أَبـــرَحُ

أما(حميدة) فكانت مبعث الأمل والإشراق في نفسه ، ولولاها لما هام فؤاده بالنساء في آخر العمر ؛ إذ يقول[٥] :

لَولا حُمَيدَةُ ما هـــامَ الفُـــؤادُ وَلا رَجَّيتُ وَصَلَ الغَـــواني آخِـــرَ العُمُـــرِ

فقد جاء حبه لها في وقت متأخر من شمس نهار عمره يكاد يخفق فيه نجمه[١] :

---

١ ديوان طفيل الغنوي ،شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، دار صادر بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٩٧م ،ص ٨٢ .

٢ هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر جـــاهلي اتصـــل بملوك الغساسنة مادحاً ومتشفعاً لقبيلته وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الرابعة من الجاهليين . معجم الشـــعراء الجاهليين والمخضرمين ص ٢١٥.

٣ المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، من سلسة ديوان العرب مجموعات من عيون الشعر ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف الطبعة العاشرة ١٩٩٤م ،ص ٣٩٢ رقم القصيدة ١١٩.

٤ ديوان جران العود النميري / رواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـــ ص ٥ .

٥ المصدر السابق ص ٤٨ .

وَآخِرُ عَهدي مِن حُمَيـــدَةَ نَظـــرَةٌ   وَقَد حانَ مِن شَمسِ النَهـــارِ خُفــوقُ

ويذكر امرأة رابعة في شعره اسمها (لميس) يقول[2] فيها :

قَـــد نَـــدَعُ المَنـــزِلَ يـــا لِمَـــيسُ   يَعـــتَسُّ فيـــهِ السَـــبُعُ الجَـــروسُ[3]

أما المرأة الخامسة فهي (دهقانة) التي يقول[4] فيها :

أَدِهقانُ حالَ النَأيُ دونَكِ وَالهَجــرُ   وَجَمعُ بَني قَلــعٍ فَمَوعِــدُكِ الحَشــرُ

أَلا طَرَقَت دِهقانَةُ الرَكبَ بَعــدَما   تَقَوَّضَ نِصفُ اللَيلِ وَاِعتَرَضَ النَســرُ[5]

ويقرر بعد اجتيازه تلك التجربة الطويلة أن النساء لسن سواء فمنهن روضة تهــيج الرياض ، ومنهن خلاف ذلك فيقول[6] :

وَلَسنَ بِأَســواءٍ فَمِنــهُنَّ رَوضَــةٌ   تَهيجُ[7] الرِيــاضُ غَيرَهــا لا تَصَــوَّحُ[8]

جُمادِيَّةٌ أَحمى[9] حَدائِقَها النَــدى[10]   وَمُزنٌ تُدَلِّيــهِ الجَنائِــبُ[11] دُلَّــحُ[12]"[13]

وعندما نذكر هنا أن المرأة مصدر من مصادر التصوير البياني عند الشاعر يتراءى لنا وهو يصف لقاءه بالنساء ووصفه لتفاصيل اللقاء وما فيه من شوق وحب وترقب ولهفة ؛ حيث أبدع صوراً غاية في الجمال .

---

١ المصدر السابق ص ٥٣ .

٢ المصدر السابق ص ٥٢ .

٣ الجروس المصوّت . الصحاح مادة جرس .

٤ ديوان جران العود ص ٣٠ .

٥ النسر نجم وهناك نسر طائر ونسر واقع الصحاح مادة نسر .

٦ ديوان جران العود ص ٧ .

٧ تيبس وتصفر . اللسان مادة هيج .

٨ لا ييبس نبتها ولا يتشقق . اللسان مادة صوح .

٩ منع . المعجم الوسيط مادة حمى .

١٠ البلل والمطر . اللسان مادة ندي .

١١ جمع جنوب وهي الرياح التي تهب من الجنوب . اللسان مادة جنب .

١٢ سحابة دَلُوح : مثقلة بالماء . اللسان مادة دلح .

١٣ شعر جران العود القصصي / د زكريا صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص ٨ ، ٩ .

فكانت المرأة مصدراً مؤثراً بل ينبوعاً كريماً ينهل منه جران العود ليبدع تلك الصور البيانية التي تأخذ بالألباب ، وقد سخر علاقته ببيئته وطبيعتها في قوة تلك الصور وجمالها سواء كان ذاماً هاجياً أم مادحاً متغزلاً .

لقد وقف جران العود مع المرأة وقفات طويلة استغرقت مساحات كبيرة من ديوانه وخصص أبياتاً كثيرة لوصف المرأة ذات الصفات السيئة والمرأة ذات الصفات الحسنة .

فالجانب الأول :

كانت الصفات السيئة ميداناً واسعاً للتصوير البياني ؛ فمن ذلك :

١-زينتها الخادعة.

٢- النزاع مع زوجتيه وقسوتهما.

٣-تصوير المرأة في صورتها وأخلاقها السيئة بصور وصفات الحيوان والطيور والجان .

١-زينتها الخادعة :

افتتان جران العود بالنساء جعله ينخدع بالزينة الظاهرة وينساق خلفها ولذلك صور لنا في شعره كيف انخدع بزينة زوجته؛ الانخداع الذي يجعل الرجل يغض الطرف عن سوء خلقها، وإذا به يقع فريسة هذا الانخداع ، وقد كان هذا جلياً في تصويره في قصيدته الحائية[1]:

أَلالا يَغُـرَّنَ اِمـرَأً نَوفَلِيَّـةٌ[2] ... عَلى الرَأسِ بَعدي أَو تَرائِـبُ[3] وُضَّـحُ[4]
وَلا فاحِمٌ[5] يُسـقى الـدِهانَ كَأَنَّـهُ ... أَسـاوِدُ[6] يَزهاهـا[7] لِعَينَيـكَ أَبطَـحُ[1]

---

[1] الديوان ص ١ .

[2] النَّوْفَلِيَّة: ضرْب من الامتِشاط... التهذيب: والنَّوْفلِيَّة شيء يتَّخذه نساءُ الأَعراب من صوف يكون في غلظ أَقل من الساعِد، ثم يُحْشى ويعطف فتضعه المرأَة على رأْسها ثم تختمر عليه ... اللسان مادة نفل .

[3] والتَرائبُ: مَوْضِعُ القِلادةِ من الصَّدْر... اللسان مادة ترب .

[4] بيضاء . اللسان مادة وضح .

[5] الشعر الأسود

[6] الأَسْوَدُ: العظيمُ من الحيَّات وفيه سوادٌ، والجمع أَسْوَدات وأَساوِدُ وأَساويدُ، ... قال شَمِير: الأَسودُ أَخْبثُ الحيات وأَعظمها وأَنكاها ... لسان العرب مادة سود .

[7] يرفعها . الصحاح مادة زها .

وَأَذنابُ خَيلٍ عُلِّقَت في عَقيصَةٍ[2] تَرى قُرطَها مِن تَحتِها يَتَطَوَّحُ
فَإِنَّ الفَتى المَغرورَ يُعطي تِلادَهُ[3] وَيُعطى الثَنا مِن مالِهِ ثُمَّ يُفضَحُ

لقد حذر من الاغترار بتلك المظاهر التي تضعها المرأة لتخفي سوء خَلْقِها و خُلُقِها وطبعها فربما امتشطت المرأة بطريقة تخفي العيوب ، وأبرزت ترائبها البيضاء ، وشعرها الأسود الذي سقته بالدهن فكان كالحيات السود التي ارتفعت على البطحاء .وشعرها الذي يبدو كأذناب الخيل.

وهذا الاغترار الذي كان جران العود فريسة له لم يكن فقط من تلك المظاهر التي انخدع بها في زوجته ! بل من موقفه تجاه النساء جميعاً ؛ إذ اغتر بعلاقاته السابقة بالنساء وحبه لهن .

٢-النزاع مع زوجتيه وقسوتهما العجيبة عليه ؛ مما جعله يتخذ قراراً باستعمال جران العود لضربهما وتأديبهما :

خُذا حَذَراً يا خُلَّتَيَّ فَإِنَّني رَأَيتُ جِرانَ العَودِ قَد كانَ يَصلُحُ

إن ذلك النزاع الطويل المؤلم الذي دار بينه وبين زوجتيه المؤذيتين كان عاملاً مهما من عوامل إثارته العاطفية التي ولَّدت لنا تلك الصور البيانية الجميلة المؤثرة .

---

[1] الأَبْطَحُ: بَطْنُ المَيْثاء والتَّلْعَةِ والوادي، وهو البَطْحاءُ، وهو التراب السهل في بطونها مما قد جَرَّته السيول. لسان العرب مادة بطح .

[2] العَقْصُ: أَن تَلْوِيَ الخُصْلة من الشعر ثم تَعْقِدها ثم تُرْسِلَها... قال ابن الأَثير: العَقِيصةُ الشعرُ المَعْقوص وهو نحوٌ من المَضْفور، وأَصل العَقْص اللّيُّ وإِدخالُ أَطراف الشعر في أُصوله، ...قال الليث: العَقْصُ أَن تأْخذ المرأَة كلَّ خُصْلة من شعرها فتَلْويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تُرْسلَها، فكلُّ خُصْلة عَقِيصة؛ قال: والمرأَة ربما اتخذت عَقِيصةً من شعر غيرها... لسان العرب مادة عقص .

[3] التالِدُ: المال القديم الأصليّ الذي وُلِدَ عندك، وهو نقيض الطارف. وكذلك التِلادُ . المعجم الوسيط مادة تلد .

حيث عاش حياة بائسة مليئة بالمعاناة مع هاتين الزوجتين " وكانت هذه التعاسة بادية بوضوح في كثير من قصائده وهو ينقل هذه المعاناة إلى أصحابه وأصدقائه لعله يجد بعض المواساة ، يقول:

أقـــول لأصــــحابي أســـر إلـــيهمُ   لي الويلُ إن لم تجمحـــا كيـــف أجمـــحُ
أأتـــرك صـــبياني وأهلـــي وأبتغـــي   معاشــــاً ســـــواهم أم أفـــرُّ فــــأُذبحُ
ألاقي الخنا والـــبرح مـــن أم حـــازم   وما كنت ألقى مـــن رزينـــة أبـــرحُ"[1]

٣- تصوير المرأة في صورها وأخلاقها السيئة بصور وصفات الحيوان والطيور والجان:

خصص جران العود قصيدة طويلة في هجاء المرأة وذكر صفاتها السيئة ؛ وهذا منحى جديد كما يرى الدكتور محمد علي الهرفي .[2]

وكان هذا المنحى عاملاً قويا في إثارة جران العود ليصور صـــوراً بيانية غاية في القبح .

وصوره ليست على نسق واحد . وإنما اختلفت تبعـــاً للموقـــف الذي يصوره والغرض الفني الذي من أجله استُخدمت . وسيأتي بيـــان ذلك في الفصل الثاني عندما يأتي الحديث عن الصور البيانية التشـــبيهية إن شاء الله .

ولنتأمل هذه الأبيات[3] :

جَرَت يَومَ رُحنا بِالرِكـــابِ نَزُفُّهـــا   عُقابٌ وَشَحّاجٌ[4] مِـــنَ الطَـــيرِ مِتـــيَحُ
فَأَمّا العُقـــابُ فَهـــيَ مِنـــها عُقوبَـــةٌ   وَأَمّـــا الغُـــرابُ فَالغَريـــبُ المُطَـــوَّحُ
عُقابٌ عَقَنباةٌ[1] تَرى مِـــن حِـــذارِها   ثَعالِـــبَ أَهـــوى أَو أَشـــاقِرَ تَضـــبَحُ

---

١ ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري .ص٢٠

[2] ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري .ص٢٨

[3] ديوان جران العود . ص ٣،٤ .

[4] أراد الغراب هنا بدلالة البيت الذي يليه والشُحاج والشحيج صوت البغل والحمار والغراب إذا أسن.اللسان مـــادة شحج

عُقـــابٌ عَقَنْبَـــاةٌ كَـــأَنَّ وَظيفَهـــا[2] وَخُرطومَها[3] الأَعلـــى بِنـــارٍ مُلَـــوَّحُ[4]

لَقَد كانَ لِي عَن ضَـــرَّتَينِ عَـــدِمتُني وَعَمّـــا أُلاقـــي مِنـــهُما مُتَزَحـــزَحُ

هُما الغُولُ[5] وَالسعلاةُ[6] حَلقي مِنـــهُما مُخَدَّشُ مـــا بَـــينَ التَراقـــي مُجَـــرَّحُ

إِذا ما اِنتَصَينا فَانتَزَعـــتُ خِمارَهـــا بَدا كاهِـــلٌ مِنـــها وَرَأسٌ صَـــمَحمَحُ

أُلاقي الخَنا وَالبَـــرحَ مِـــن أُمِّ حـــازِمٍ وَما كُنتُ أَلقـــى مِـــن رُزَينَـــةَ أَبـــرَحُ

تُصَبِّرُ[7] عَينَيها وَتَعصِـــبُ رَأسَـــها وَتَغدو غُدُوَّ الـــذِئبِ وَالبـــومُ يَضـــبَحُ[8]

تَرى رَأسَها في كُلِّ مَبدىً وَمَحضَـــرٍ شَعاليلَ[9] لَم يُمشَـــط وَلا هُـــوَ يُســـرَحُ

وَإِن سَرَّحَتهُ كـــانَ مِثـــلَ عَقـــارِبٍ تَشولُ[10] بِأَذنـــابٍ قِصـــارٍ وَتَـــرمَحُ[11]

كِنازٌ[12] عِفِرنـــاةٌ[13] إِذا لَحِقَـــت بِـــهِ هَوى حَيثُ تُهويـــهِ العَصـــا يَتَطَـــوَّحُ

لَها مِثلُ أَظفارِ العُقـــابِ وَمَنسِـــمٌ[14] أَزُجٌّ[15] كَظُنْـــوبِ[1] النَعامَـــةِ أَروَحُ[2]

---

[1] عُقابٌ عَقَنْباةٌ، وعَبَنْقاة، وقَعَنْباة، وبَعَنْقاة، على القَلْب: حديدةُ المَخالِب. وفي التهذيب:هي ذاتُ المَخالِبِ المُنْكَـــرةِ، الخَبيثة؛... وقيل: هي السريعة الخَطْفِ، المُنْكَرةُ؛ وقال ابن الأَعرابي: كلُّ ذلك على المبالغة، كما قالوا: أَسَـــدٌ أَسِـــدٌ، وكَلْبٌ كَلِبٌ. وقال الليث: العَقَنْباةُ الداهِيةُ من العِقْبان... اللسان مادة عقب .

[2] الوظيف ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق من كل ذي أربع . اللسان مادة وظف . وفي موضع آخر من اللســـان قال هو عظم الساق مادة زجج .

[3] الخرطوم من الطير المنقار . اللسان مادة خرطم .

[4] تغير لونه من النار . اللسان مادة لوح.

[5] كل ما أهلك فهو غول وقد جاء في اللسان معان أخرى تدور حول هذا المعـــنى ومعـــان تجعـــل الغـــول مـــن الشياطين...اللسان مادة غول .

[6] السعلاة والسعلا هي الغول قيل هي ساحرة الجن ... اللسان مادة سعل .

[7] تجعل حاوليهما الصبر .

[8] ضبح البوم صوَّت . اللسان مادة ضبح .

[9] متفرق . اللسان مادة شعلل .

[10] ترفع أذناها . اللسان مادة شول .

[11] جاء في اللسان رماح العقارب شولاتها مادة رمح وشولة العقرب ما شال من ذنبها مادة شول .

[12]يقال للجارية الكثيرة اللحم: كِنازٌ، وكذلك الناقة؛ ... وناقة كِنازٌ، بالكسر، أَي مُكْتَنِزَةُ اللحمِ. والكِنازُ: الناقـــة الصُّلْبة اللحم اللسان مادة كنز.

[13] قوية . اللسان مادة عفر

[14] الظفر في مقدمة الخف ولكل خف منسمان ... اللسان مادة نسم.

[15] مقوس . اللسان مادة زجج .

والجانب الثاني من ذكره للمرأة :

المرأة التي أسرت قلب جران العود بصفاها الجميلة سواء كانت خَلْقِيةً أو خُلُقيــة؛ فمضى يصورها في صور جميلة تبين شدة تعلق قلبه بها فكانت مصدراً ثرياً بالصور البيانية ؛ ويكاد ذكره لتلك الجوانب أن يكون في ثلاثة مواقف :

١-أخلاق المرأة المحبوبة .

٢-جمالها وصفاها الخَلْقية .

٣-لقاؤه بها وحبه لها ووصف أثر ذلك عليهما .

١-أخلاق المرأة المحبوبة :

فمرة يصفها بأنها روضة جُمادِيَّةٌ[٣] :

وَلَســـنَ بِأَســـواءٍ فَمِنـــهُنَّ رَوضَـــةٌ   تَهيجُ[٤] الرِيـــاضُ غَيرَهـــا لا تَصَـــوَّحُ[٥]

جُمادِيَّةٌ أَحمـــى[٦] حَـــدائِقَها النَـــدى[٧]   وَمُـــزنٌ تُدَلّيـــهِ الجَنائِـــبُ[٨] دُلَّـــحُ[٩]

ويصفها بأنها نافرة عن الريبة :

شَموسُ[١] الصِبا وَالأُنسِ مَخطوفَةُ الحَشا[٢]   قَتولُ الهَوى لَو كانَتِ الدارُ تُســعِفُ

---

[١] الظُّنْبوبُ: حَرْفُ الساقِ اليابِسُ من قُدُمٍ، وقيل: هو ظاهرُ الساق، وقيل: هو عَظْمه.. اللسان مادة ظنب.

[٢] الرَّوَحُ: اتساعُ ما بين الفخذين أَو سَعَةٌ في الرجلين، وهو دون الفَحَج، إِلاَّ أَن الأَرْوح تتباعَدُ صدورُ قدميه وتَتَدانى عَقِباه. وكل نعامة رَوْحاء؛ قال أَبو ذؤيب:

وزَفَّتِ الشَّوْلُ من بَرْدِ العَشِيِّ، كما   زَفَّ النَّعامُ إِلى حَفَّانِه الرُّوحِ اللسان مادة روح .

[٣] ينزل مطرها في جمادى . وقد سمي الشهران جمادى الأولى وجمادى الآخرة بأنهما شهرا برد وشدة حيث يجمد الماء فيهما .ينظر اللسان مادة جمد ، والمعجم الوسيط مادة جمد .

[٤] تيبس وتصفر . اللسان مادة هيج .

[٥] لا ييبس نبتها ولا يتشقق . اللسان مادة صوح .

[٦] منع . المعجم الوسيط مادة حمى .

[٧] البلل والمطر . اللسان مادة ندي .

[٨] جمع جنوب وهي الرياح التي تهب من الجنوب . اللسان مادة جنب .

[٩] سحابة دَلُوح : مثقلة بالماء . اللسان مادة دلح .

وأنها عفيفة رغم ما بقلبها من الحب الشديد ورغم اللقاء الذي تم والفــرصة التي سنحت:

وَأَحرَزنَ مِنّي كُــلَّ حُجــزَةِ مِئــزَرٍ لَهُــنَّ وَطــاحَ النَــوفَلِيُّ المُزخَــرَفُ

فقد أحرزن مآزرهن بالعفة ؛ ولم يكن بينه وبينهن ريبة ولا حرام ! وقد سقط النوفلي وهو ما يدرنه فوق رؤوسهن تحت الخمار .

ويصفها كذلك بأنها تحبه حبا صادقاً وتشتاق إليه :

إذا اِســتَقبَلتَها[3] كَرَعَــت[4] بِفيهــا كُــروعَ العَســجَدِيَّةِ[5] في الغَــديرِ[6]

كِلانــا نَســتَميتُ إذا اِلتَقَينــا وَأَبــدى الحُــبُّ خافِيَــةَ الضَــميرِ

فَتَقــتُلُني وَأَقتُلُهــا وَنَحيــا وَنَخلِــطُ مــا يُمَــوِّتُ بِالنُشــورِ

وَلَكِنّــا يُمَوِّتُنــا رَســيسٌ[7] تَمَكَّــنَ بِــالمَوَدَّةِ في الصُــدورِ

رَشيفَ[8] الخامِساتِ[9] وَقيطَ[1] هَضــبٍ[2] قَليــلَ المــاءِ في لَهَــبِ الحَــرورِ[3]

---

[1] الشَّمُوسُ من النساء: التي لا تُطالِعُ الرجال ولاتطمعهم . اللسان مادة شمس .

[2] ضامرة البطن .

[3] كافحتها وقبلتها . ديوان جران العود ص ٢٥ .

[4] كَرَعَ في الماء يَكْرَعُ كُرُوعاً وكَرْعاً: تناوله بفِيه من موضعه من غير أَن يشرب بكَفَّيْه ولا بإِناء، وقيــل: هــو أَن يدخل النهر ثم يشرب، وقيل: هو أَن يُصَوِّبَ رأْسَه في الماء وإِن لم يشرب. ... كَرَعَ إذا تناوَلَ الماءَ بِفيه من موضــعه كما تفعل البهائم لأَنها تدخل أَكارِعَها. اللسان مادة كرع .

[5] العَسْجَدية ركاب الملوك، وهي إِبل كانت تزين للنعمان. وقال أَبو عبيدة: العسجدية ركاب الملوك الــتي تحمــل الدِّقَّ الكثير ... اللسان مادة عسجد .

[6] الغَدِير: القطعة من الماء يُغادِرُها السيل أَي يتركها... اللسان مادة غدر .

[7] قال أَبو مالك: رَسِيسُ الحمى أَصلها؛ قال ذو الرمة:

إِذا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ، لم أَجِدْ رَسِيسَ الهَوَى من ذكرِ مَيَّةَ يَبْرَحُ

أَي أَثبتَه. والرَّسِيسُ: الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه؛ وأَنشد: رَسِيس الهَوَى من طُول ما يَتَذَكَّرُ ورسَّ الهــوى في قلبه والسَّقَمُ في جسمه رَسّاً ورَسيساً وأَرَسَّ: دخل وثبت. ورسُّ الحُبِّ ورَسِيسُه: بقيته وأَثــره. ... اللســان مــادة رسس .

[8] الرَّشْفُ: المَصُّ. وتَرَشَّفَه وارْتَشَفَه: مصَّه. والرَّشِيفُ: تَناوُلُ الماء بالشَّفَتَيْنِ، وقيل: الرَّشْفُ والرَّشِيفُ فَوْق المَصِّ... اللسان مادة رشف.

[9] الخمس بكسر الخاء إظماء الإِبلِ ....قال أَبو سَهْل الخَوْلِيُّ: الصَّحِيحُ في الخِمْسِ من أَظْمَاءِ الإبل: أَن تَرِدَ الإِبِلُ الماءَ يوماً فتَشْرَبَهَ، ثمَّ تَرْعَى ثَلاثَةَ أَيّامٍ، ثمَّ تَرِدَ الماءَ اليومَ الخامِسَ، فيَحْسُبُون اليومَ الأَوّلَ والآخر . تاج العروس مادة خمــس . والإبل خامسة وحوامس . اللسان مادة خمس .

وَلَــــيسَ بعائِــــدٍ يَــــومُ اِلتَقَينــــا   بِــــرَوضٍ بَــــينَ مَحنيَــــةٍ[4] وَقــــورِ[5]
فَتَقضــــيني مَواعِــــدَ مُنسَــــآتٍ[6]   وَأَقضــــي مــــا عَلــــيَّ مِــــنَ النُــــذورِ

٢- جمالها وصفاتها الخَلْقية :

ويقف جران العود مع صفات المرأة التي أثرت فيه وكيف تذكرها فبكـــى فيـــذكر صفاتها الفاتنة :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَــينُ تَــذرِفُ   وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنــتَ تَعــرِفُ

إلى أن قال :

وَبيضاً يُصَلصِــلنَ الحُجــولَ كَأَنَّهــا   رَبائِــبُ أَبكــارِ المَهــا المُتَــأَلِّفُ[7]

ثم عاد إليها وقال :

وَفي الحَيِّ مَــيلاءُ[8] الخِمــارِ كَأَنَّهــا   مَهاةٌ بِهَجــلٍ[9] مِــن أُدَيمٍ[10] تَعَطَّــفُ[1]

---

[1] الوَقِيطُ: حُفْرَةٌ في غِلَظٍ أَوْ جَبَلٍ تَجْمَعُ ماءَ المَطَرِ، وفي الصّحاح: يَجْتَمِعُ فيه ماءُ السَّمَاءِ ....تاج العروس مادة وقط .

[2] الهَضْبَةُ: كلُّ جَبَلٍ خُلِقَ من صخرةٍ واحدةٍ؛ وقيل: كلُّ صخرةٍ راسيةٍ، صُلْبةٍ، ضَخْمةٍ: هَضْــبةٌ؛ وقيــل: الهَضْــبةُ والهَضْبُ الجَبَل المُنْبَسِطُ، يَنْبَسِطُ على الأَرض؛ وفي التهذيب الهَضْبَةُ؛ وقيل: هو الجبلُ الطويلُ، المُمْتَنِــع، المُنْفَــرِدُ، ولا تكون إِلا في حُمْرِ الجبال، والجمع هِضابٌ، والجمع هَضْبٌ، وهِضَبٌ، وهِضابٌ... اللسان مادة هضب .

[3] الحَرُورُ: حر الشمس، وقيل:الحَرُورُ استيقاد الحرّ ولَفْحُه، وهو يكون بالنهار والليل،والسَّمُوم لا يكون إِلا بالنــهار. وفي التنزيل: ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ... اللسان مادة حرر .

[4] نزلوا في محنية الوادي، وحنو الوادي، ومنحناه ومنعطفه، وفي محانيه وأحنائه . أساس البلاغة مادة حني .

[5] القارة والقور أصاغر الجبال . أساس البلاغة مادة قور .

[6] نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته . اللسان مادة نسى .

[7] بقر الوحش . اللسان مادة مها .

[8] الميلاء:ضرب من الاعتمام،حكى ثعلب: هويعتم الميلاء أي يميل العمامة... وقيل: المــائلات المتبرجــات، وقيــل: مائلات الرؤوس إلى الرجال. ،وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة فيها إغــراء... اللســان مــادة ميل.بتصرف

[9] الهَجْل: المطمئن من الأَرض نحو الغائط. الأَزهري: الهَجْل الغائط يكون منفرجاً بين الجبال مطمئنّاً مَوْطِئه صُلْب... اللسان مادة هجل .

[10] أُدَيم بلفظ التصغير : أرض تجاور تثليث تلي السراة بين تهامة واليمن ، كانت من ديار جهينة وجــرم قــديماً . (معجم البلدان ١/ ١٢٧) وأَديم بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى وجه الأرض . اللسان مادة أدم .

شَموسُ[2] الصِبا وَالأَنسِ مَخطوفَةُ الحَشا قَتولُ الهَوى لَو كانَتِ الدارُ تُسعِفُ

كَأَنَّ ثَناياها العِذابَ وَريقَها وَنشوَةَ فيها خالَطَتهُنَّ قَرْقَفُ[3]

تُهينُ جَليدَ القَومِ حَتّى كَأَنَّهُ دَوٍ[4] يَئِسَت مِنهُ العَوائِدُ مُدنَفُ

وَلَيسَت بِأَدنى مِن صَبيرٍ[5] غَمامَةٍ[6] بِنَجدٍ عَلَيها لامِحٌ[7] يَتَكَشَّفُ

يُشَبِّهُها الرائي المُشَبِّهُ بَيضَةً غَدا في النَدى عَنها الظَليمُ الهَجَنَّفُ[8]

بِوَعساءَ[9] مِن ذاتِ السَلاسِلِ[10] يَلتَقي عَلَيها مِنَ العَلقى[11] نَباتٌ مُؤَنَّفُ[12]

فهذه الأبيات تبين صورة متكاملة للمحبوبة التي يتغزل فيها جران العود ؛ فهي ميلاء الخمار(كناية عن الإغراء) وهي تشبه المهاة التي تعيش بأرض هادئة قد اطمأنت وانخفضت فنبتها ناعم طري؛ فمحبوبته ناعمة تعطف ، وهي مع ذلك شموس الصبا أي نافرة عن الريبة وهي مخطوفة الحشا أي ضامرة البطن وهي بجمالها سوف تقتله لو دنت دارها من داره لأنه يهواها .

ورائحة فمها طيبة كرائحة الخمر الذي إذا شربها الشارب أخذته القرقف وهي الرعدة . فهي بهذه الصفات الفاتنة تهين جليد القوم (وكأنه يرمز إلى نفسه) لوقوعه في حبها حتى يبدو مع أنه جليد قوي كمريض يئست منه العوائد .

---

[1] التثني في المشية . وقد يكون المعنى تشبه مهاة عطوف ينظر اللسان مادة عطف .

[2] الشَّمُوسُ من النساء: التي لا تُطالِعُ الرجال ولاتطمعهم . اللسان مادة شمس .

[3] القَرْقَف: الخمر، وهو اسم لها، قيل: سميت قَرْقَفاً لأَنها تُقَرْقِفُ شارِبَها أَي تُرْعِده، اللسان مادة قرقف .

[4] مريض . اللسان مادة دوا .

[5] الصبير السحاب الأَبيض الذي يصبرُ بعضه فوق بعض درجاً... اللسان مادة صبر .

[6] الغمامة السحابة البيضاء .اللسان مادة غمم .

[7] برق . اللسان مادة لمح .

[8] الجافي . اللسان مادة هجنف .

[9] الوَعْساء والأَوْعَسُ والوَعْس والوَعْسة، كلُّه: السهل اللين من الرمل، وقيل: هي الأَرض اللينة ذات الرمل، وقيل: هي الرمل تغيب فيه الأَرجل... اللسان مادة وعس .

[10] رمل يتعقد بعضه على بعض . اللسان مادة سلسل .

[11] العَلْقَى: شجر تدوم خضرته في القَيْظ ولها أَفنان طوالٍ دقاق وورق لِطاف... اللسان مادة علق .

[12] التأنيف من كل شيء التحديد . اللسان مادة أنف . والمعنى أن نبات العلقى قد أحاط بها وحدد مكانها .

ثم يأتي الشاعر بوصف فيه طرافة عندما قال :

وَلَيسَت بِأَدنى مِن صَبيرِ غَمامَةٍ   بِنَجدٍ عَلَيها لامِحٌ يَتَكَشَّفُ

حيث لم يصرح بأنها مثل الغمامة أو أقل منها بل قال ليست بأدنى . فهي ليست تشبه السحابة البيضاء تماما وليست بأدنى منها .

"إنه يمثل نمطاً جديداً من التشبيه الذي ينحو به إلى الواقعية ، فالمعنى أنها ليست بأقل من سحاب غمامة ، والنمط المعهود للوصف أن يصرح الشاعر بأن المحبوبة إما أنها مثل المشبه به أو تفوقه ، أو أن المشبه به لا يفوقها "[1]

يشبهها الرائي المشبه بيضة   غدا في الندى عنها الظليم الهجنفُ

بوعساء من ذات السلاسل يلتقى   عليها عليها من العلقى نبات مؤنفُ

فهي تشبه البيضة لصفائها ورقتها وهي بيضة بأرض سهلة من الرمل الذي أصابه المطر ، وقد نبت حولها العلقى.

ويصفها في موضع آخر[2] :

وَخودٍ[3] قَد رَأَيتُ بِها رَكولٍ   بِرِجلَيها الدِمَقسَ مَعَ الحَريرِ[4]

وفي قصيدة أخرى يذكر معنى قريباً من هذا المعنى ولكنه يزيده تفصيلاً[5] :

لَم يُبقِ مِن كَبِدي شَيئاً أَعيشُ بِهِ   طولُ الصَبابَةِ والبيضُ الهَراكيلُ

مِن كُلِّ بَدّاءَ في البُردَينِ يَشغَلُها   عَن حاجَةِ الحَيِّ عُلّامٌ وَتَحجيلُ

مِمّا يَجولُ وِشاحاها إِذا اِنصَرَفَت   وَلا تَجولُ بِساقَيها الخَلاخيلُ

يَزينُ أَعداءَ[6] مَتنَيها[7] وَلَبَّتَها[8]   مُرَجَّلٌ مُنهَلٌ بِالمِسكِ مَعلولُ[9]

---

[1] ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري محمد الهرفي دار المعالم الثقافية ١٤١٧هـ ص ٦١ .

[2] ديوان جران العود ص ٢٥ .

[3] الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً؛ وقيل: الجارية الناعمة . اللسان مادة خود .

[4] إذا مشت جرت ثيابها فضربت أذيالها برجلها .

[5] ديوان جران العود٣٦ ـــ ٣٨ .

[6] جوانب . اللسان مادة عدا .

[7] جانبا ظهرها . اللسان مادة متن .

[8] اللَّبة : موضع القلادة .و موضع الذبح وهي ما على الصدر . ومنه أخذه بتلابيبه . اللسان مادة لبب بتصرف .

[9] منهل بالمسك معلول : أي سقي مرة بعد مرة من العَلَل والنَّهَل . ديوان جران العود ص ٣٧ .

تُمِرُّهُ عَطِــفَ الأَطــرافِ[1] ذا غُــدَرٍ[2] كَـــأَنَّهُنَّ عناقيـــدُ القُـــرى الميـــلُ[3]

هيـــفُ[4] المُـــرَدّى[5] رَداحٌ في تَأَوُّدِهـــا مَحطوطَةُ المَتنِ وَالأَحشـــاءِ عُطبـــولُ[6]

كَـــأَنَّ بَـــينَ تَراقيهـــا وَلَبَّتِهـــا جَمراً بِهِ مِن نُجـــومِ اللَيـــلِ تَفصـــيلُ

تَشفي مِنَ السَلِّ وَالبِرســامِ[7] ريقَتُهـــا سُقمٌ لِمَـــن أَســـقَمَت داءٌ عَقابيـــلُ[8]

تَشفي الصَدى أَينَما مالَ الضَجيعُ بِها بَعدَ الكَـــرى ريقَـــةٌ مِنـــها وَتَقبيـــلُ

يَصبو إِلَيها وَلَو كانوا عَلـــى عَجَـــلٍ بِالشِّعبِ مِن مَكَّةَ الشـــيبُ المَثاكيـــلُ

تَسبي القُلوبَ فَمِـــن زُوّارِهـــا دَنِـــفٌ يَعتَـــدُّ آخِـــرَ دُنيـــاهُ وَمَقتـــولُ

كَأَنَّ ضَحكَتَها يَومـــاً إِذا اِبتَسَـــمَت بَـــرقٌ سَـــحائِبُهُ غُـــرٌّ زَهاليـــلُ[9]

---

[1] عَطِف الأطراف : جاء في شرح ديوان جران العود لابن حبيب ص ٣٧ : أي من جعودته .

[2] الغدائر الذوائب مفردها غديرة . اللسان مادة غدر .

[3] القرى : أراد بها قرى الريف حيث تكثر كروم العنب . الميل : المائلة لامتلائها وثقلها . حاشية ديوان جران العـود شرح وتحقيق كارين صادر ص ٨٨ .

[4] الهِيفُ: جمع أَهْيَف وهَيْفاء، وهو الضامر البطن... والهَيَفُ، بالتحريك: رقَّة الخصر وضُمور البطن، هَيِفَ هَيَفاً وهافَ هَيْفاً، فهو أَهيف، ولغة تميم: هاف يَهافُ هَيْفاً، وامرأَة هَيْفاء وقوم هِيف. وفرس هَيْفاء: ضامرة. اللسان مادة هيف .

[5] ويقال للوِشاحِ رداءٌ. وقد ترَدَّت الجارية إذا توَشَّحَت؛ ... وامرأَة هَيْفاءُ المُرَدَّى أَي ضامِرَةُ موضعِ الوِشاحِ. اللسان مـادة ردي .

[6] عطبول طويلة العنق ويروى (مخطوفةٌ منتهى الأحشاء عطبول) أي دقيقة الخصر ، والمردى : حيث يقـع رداؤهـا منها. يقول : ذلك منها ضامر... رداح : عظيمة العجز... تأودها : تثنيها ، محطوطة المتن ، قال الأصمعي : ملساء المتن ، كأنها حُطت بالمِحَط، وهي خشبة يسطِّر بها الخرّازون .يقول : فهي مصقولة الجلد – يبرق جلدها – والحشا : مابين ضِلَع الخِلْف التي في آخر الجنب إلى الورك . شرح ديوان جران العود لابن حبيب ص ٣٧ .

[7] البِرسامُ: المُومُ. ويقال لهذه العِلَّة البِرسامُ، وكأَنه معرَّب، وبر: هو الصدر، وسَام: من أَسماء الموت، وقيـل: معنـاه الابن، والأَول أَصحُّ لأن العلَّة إذا كانت في الرأْس يقال سِرْسام، وسِرْ هو الـرأْس، والمُبَلْسَـم والمُبَرْسَـم واحـد. الجوهري: البِرْسامُ علَّة معروفة، وقد بُرْسِمَ الرجل، فهو مُبَرْسَمٌ. اللسان . مادة برسم . وجاء في حاشية ديوان جران العود البرسام : التهاب الصدر .

[8] العَقَابيلُ: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وقيل: هو الذي يخرج على الشَّفَتَين غِبَّ الحُمَّى، الواحدة منهما جميعاً عُقْبُولة وعُقْبُول، والجمع العَقَابيل... اللسان مادة عقبل .

[9] الزَّهَل: امْلِيسَاسُ الشيء وبياضُه، زَهِل زَهَلاً. والزُّهْلول: الأَمْلَس من كل شيء . اللسان مادة زهل .

كَأَنَّــــهُ زَهَــــرٌ جـــاءَ الجُنـــاةُ بـــهِ ... مُستَطرَفٌ[1] طَيِّبُ الأَرواحِ مَطلـــولُ[2]
كَأَنَّها حينَ يَنضو[3] الدِرعَ[4] مَفصِــلُها[5] ... سَـــبيكَةٌ[6] لَـــم تُنَقِّصـــها المَثاقيـــلُ
أَو مُزنَةٌ كَشَّفَت عَنها الصَبا رَهَجـــاً[7] ... حَتّى بَـــدا رَيِّـــقٌ[8] مِنـــها وَتَكليـــلُ[9]
أَو بَيضَــــةٌ بَـــينَ أَجمـــادٍ يُقَلِّبُهـــا ... بِالمَنكِبَينِ سُـــخامُ الـــزِفِّ إِجفيـــلُ[10]
يَخشـــى النَـــدى فَيُوَلّيهـــا مَقَاتِلَـــهُ ... حَتّى يُوافِيَ قَرنَ الشَـــمسِ تَرجيـــلُ[11]

إنها صور بيانية فاتنة تبين بجلاء كيف كان تعلق شاعرنا بالنساء اللاتي أحبهن فمضى يكتب الشعر فيهن ويصفهن ويتلذذ بذكرهن .

لذلك كانت تجربته مع المرأة تجربة خاصة ، وكانت مصدرا مؤثراً من مصادر التصوير البياني في شعره .

وسيأتي في الفصول الثلاثة القادمة بيان لهذه الصور وغيرها إن شاء الله .

---

[1] المستطرف المعجب المستحدث . اللسان مادة طرف .

[2] الأرواح جمع ريح أي طيب الريح . المطلول الذي قد بلله الطل ، وهو الندى . حاشية ديوان جران العود شـــرح وتحقيق كارين صادر ص ٩٠ .

[3] نَضا ثوبَه عنه نَضْواً: خَلَعه وأَلقاه عنه. ونَضَوْت ثِيابي عني إذا أَلقَيْتَها عنك. ونَضاه من ثوبه: جَرَّدَه ... اللسان مادة نضا

[4] درع المرأة قميصها ،وهو أَيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها، وكلاهما مـــذكر، وقـــد يؤنثـــان... اللسان مادة درع .

[5] والمَفْصِل: واحد مَفاصِل الأَعضاء. والانْفصال: مطاوِع فصَل. والمَفْصِل: كل ملتقى عظمين مـــن الجســـد. وفي حـــديث النخعي: في كل مَفْصِل من الإِنسان ثُلُث دِيَة الإِصبع؛ يريد مَفْصِل الأَصابع وهو ما بين كل أَنْمُلَتين ... اللسان مادة فصل .

[6] سبيكة قطعة فضة . اللسان مادة سبك .

[7] الرَّهْجُ والرَّهَجُ: الغبار. .. اللسان مادة رهج .

[8] رَيِّقُ المطر ناحيته وطرفهُ؛ يقال: كان رَيِّقُهُ علينا وحِمِرُّه على بني فلان؛ وحِمِرُّه: مُعظَمُه، ويقال: رَيِّق المطـــر أَوَّل شُؤْبُوبه. اللسان مادة ريق .

[9] وانكلّ السحاب واكتلّ: ضحك بالبرق. أساس البلاغة مادة كلل .

١٠ قال الأصمعي : الجَمَد من الصَّمَد ، والجميع : أجماد وجِماد ، والصمد : المكان الغليظ فيه صخور لا يبلـــغ أن يكون جبلاً ؛ وجمع الصمد : صماد . وسُخام : لين وهو من السواد ... وإجفيل : يجفل إذا ذعـــر أي يســـرع – يعني الظليم – . شرح ابن حبيب لديوان جران العود ص ٣٩ .

١١ ترجيل : ارتفاع ، يجعل صدره يليها وبطنه لئلا يصيبها مطر . شرح ابن حبيب لديوان جران العـــود ص ٣٩ . والمقاتل المواضع التي إذا أصيبت منه قتلته ... اللسان مادة قتل .

ثانياً/ البيئة[1] :

جاء في الصحاح :المباءة: منزل القوم في كل موضع... وهو بِبيئَةِ سَوء، أي بحالة سوء، وإنه لحسن البيئة. "وإذا أطلقت البيئة دلت على كل الأحوال التي تحيط بالإنسان وتؤثر فيه ، فالمكان ومافيه من مظاهر الطبيعة بألوانها وأشكالها وأحيائها وجماداتها بيئة ، والأحداث التي تطرأ في مجتمع الناس وتغير مجرى حياتهم بيئة ..."[2]

ومن أشد البيئات المؤثرة في الشعراء البيئة الطبيعية فهي "مادة يستعان بها في وصف الأحاسيس أو إظهارها والتنفيس عنها"[3] .

وهي مصدر مؤثر من مصادر التصوير يستلهم منها الشاعر مثله العليا ، فقد جعلها معياراً يقدر بها حقائق الأشياء وقيمها[4] .

وهنا يركز الباحث على البيئة الطبيعية التي كانت تحيط بالشاعر .حيث عاش الشاعر في الشمال الغربي من نجد ، قريبا من الحجاز[5] فقد ذكر في شعره شيئاً من مظاهر الطبيعة حوله وبعض حيوانتها ودوابها ، وأشجارها ومطرها ، والكثبان الرملية المتسلسة فيها .

وكانت أبرز مظاهر تأثر جران العود ببيئته الطبيعية تلك الصور الشعرية التي ربطها بها، وإيغاله في بعض دقائقها . سواء كانت جامدة أم حية :" فقد حرص الشاعر على أن تكون موصوفاته مستمدة من بيئته شأنه شأن بقية الشعراء ولكنه في بعض الأحيان يستغرق عمقاً أوسع في هذا الاستخدام ففي قصيدته الأولى ، يشبه الشعر الأسود بالحيات والذوائب بأذناب الخيل وسيرها سير الظليم المطرد وصوتها صوت الغراب

[1] المباءة: منزل القوم في كل موضع... وهو بِبيئَةِ سَوء، أي بحالة سوء، وإنه لحسن البيئة. الصحاح مادة بوأ .

[2] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، ص ٤٠ .

[3] الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري . ص ٤٧٣ .

[4] خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص ١٧٠.

[5] معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ص ٦٦

وتسلطها تسلط العقاب وفريستها مثل ثعالب (أهوى) وفعلها فعل الغول أو السعلاة وتغدو غدو الذئب وتطلع تطلع البوم وإذا سرحت شعرها كان مثل العقارب وكانت أظفارها كمخالب العقاب ..."[1]

" و لم تكن المواقع التي ذكرها أسماء مجردة مراعاة لتقليد فني ؛ وإنما كان ذكرها مقترناً بأحداث عزيزة على نفسه ، قريبة إلى معاناته ، وهي حالة توثق صلته بها ، وتجدد حياته بذكرها وتمنحه لوناً من ألوان الاستلهام الشعري الدافق وهو يذكرها في حالة التشوق والتذكر والتجسيد ، وكما كانت ترسم حركته وهو يجوب هذه المواقع والمياه والهضاب من نجد التي شهدت أعز ذكرياته وعرفت ألوان حبه وأحداث قصصه الشعري وهو يتحول إلى عاشق وجد في هذا القصص صورة حية من صور حبه الذاتي الخالد .

وهي شواهد ثابتة وشخوص حادة في الاستلهام والمعايشة لأنها – وكما يتصور – عاشت الحدث بأبعاده ، وتحسست المشاعر بقوتها ، واقترنت بأيامه الخالدة وهو يتمتع بأسعد اللحظات ويعبر عن أعمق المشاعر الإنسانية النقية ."[2]

وقد جاء ذكر الحيوان في شعر جران العود إما باستعارة صفاته للإنسان أوبالعكس ، ومن ذلك تشبيه شعر المرأة بأذناب الخيل :

وَلا فاحِمٌ يُسقى الدِهانَ كَأَنَّهُ ... أَساوِدُ يَزهاها لِعَينَيكَ أَبطَحُ
وَأَذنابُ خَيلٍ عُلِّقَت في عَقيصَةٍ ... تَرى قُرطَها مِن تَحتِها يَتَطَوَّحُ

وتشبيه شعر زوجته رزينة السيئة الطباع بالعقارب التي تشول بأذنابها القصيرة كما في قوله[3] :

تَرى رَأسَها في كُلِّ مَبدىً وَمَحضَرٍ ... شَعاليلَ[4] لَم يُمشَط وَلا هُوَ يُسرَحُ
وَإِن سَرَّحَتهُ كانَ مِثلَ عَقارِبٍ ... تَشولُ[5] بِأَذنابٍ قِصارٍ وَتَرمَحُ[1]

---

[1] مقدمة ديوان جران العود تحقيق نوري القيسي ص ٢٨

[2] المرجع السابق ص ٢٧،٢٨.

[3] ديوان جران العود ص ٦ .

[4] متفرق . اللسان مادة شعلل .

[5] ترفع أذنابها . اللسان مادة شول .

وتشبيهها بالظليم وهو ذكر النعام في قوله[2]:

إذا ابتُزَّ[3] عَنها الدِرعُ قيلَ مُطَــرَّدٌ[4] أَحَــصُّ[5] الــذُنابى[6] وَالــذِراعَينِ أَرسَــحُ[7]

وتشبيهها بالعقاب والغراب والطيور التي يُتشاءم بها في قوله[8] :

جَرَت يَومَ رُحنا بِالرِكــابِ نَزُفُّهــا عُقــابٌ وَشَــحّاجٌ[9] مِــنَ الطَــيرِ مِتــيَحُ
فَأَمّا العُقــابُ فَهــيَ مِنــها عُقوبَــةٌ وَأَمّــا الغُــرابُ فَالغَريــبُ المُطَــوَّحُ

وقوله[10] :

عُقابٌ عَقَنْبَــاةٌ[11] كَــأَنَّ وَظيفَهــا[12] وَخُرطومَهــا[13] الأَعلــى بِنــارٍ مُلَــوَّحُ[14]

وتشبيهها بالذئب في قوله[15]:

تُصَبِّرُ[1] عَينَيهــا وَتَعصِــبُ رَأسَــها وَتَغدو غُــدُوَّ الــذِئبِ وَالبــومُ يَضــبَحُ[2]

---

[1] جاء في اللسان رماح العقارب شولاتها وشولة العقرب ما شال من ذنبها ،مادة شول .

[2] ديوان جران العود ص ٢ .

٣ نزع عنها . اللسان مادة بزز .

٤ المطرد : يعني الظليم طرده الناس فنفر وهو أسمج ما يكون إذا نفر . من شرح أبي جعفر بن حبيب لديوان جران العود.

٥ لاريش عليه . اللسان مادة حصص .

٦ الذنب . اللسان مادة ذنب

٧ الرَّسَحُ: خِفَّةُ الأَلْيَتَين ولصوقهما. اللسان مادة رسح .

٨ ديوان جران العود ص ٣

٩ أراد الغراب هنا بدلالة البيت الذي يليه والشُحاج والشحيج صوت البغل والحمار والغراب إذا أسن . اللسان مادة شحج

١٠ ديوان جران العود ص ٤ .

١١ عُقابٌ عَقَنْباةٌ، وعَبَنْقاة، وقَعَنْباة، وبَعَنْقاة، على القَلْبِ: حديدةُ المَخالِب. وفي التهــذيب:هــي ذاتُ المَخالِــبِ المُنْكَرةِ، الخَبيثة؛... وقيل: هي السريعة الخَطْفِ، المُنْكَرةُ؛ وقال ابن الأَعرابي: كلُّ ذلك على المبالغة، كما قالوا: أَسَــدٌ أَسِدٌ، وكَلْبٌ كَلِبٌ. وقال الليث: العَقَنْباةُ الداهِيةُ من العِقْبان... اللسان مادة عقب .

١٢ الوظيف ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق من كل ذي أربع أو عو عظم الساق . اللسان مادة وظف .

١٣ الخرطوم من الطير المنقار . اللسان مادة خرطم .

١٤ تغير لونه من النار . اللسان مادة لوح.

١٥ ديوان جران العود ص ٥ .

ووصف أظفارها ورجليها وتشبيهها بأظفار العقاب وظنبوب النعامة في قوله[3] :

لَها مِثلُ أَظفارِ العُقابِ وَمَنسِمٌ[4] أَزُجٌّ[5] كَظُنبوبِ[6] النَعامَةِ أَروَحُ[7]

وعندما أثنى على المرأة وتغزل بها كان ابن بيئته ؛ فشبهها بما يحب من الحيوان وذكر في تلك الصور ما يحب من الطيور وما يأنس بذكره كالحمام والقطا .

فقال[8] وهو يصف محبوباته مشبها إياهن بالمها الذي ألف الناس :

وَبيضاً[9] يُصَلْصِلْنَ[10] الحُجولَ[11] رَبائِبُ[12] أَبكارِ[13] المَها[14] المُتَأَلِّفُ

وذكر الحمائم اللاتي هيجن التذكر في نفسه وهو يتذكر محبوبات قلبه :

وَكانَ فُؤادي قَد صَحا ثُمَّ هاجَني حَمائِمُ وُرقٌ بِالمَدينَةِ هُتَّفُ

---

١ تجعل حاوليهما الصبر .

٢ ضبح البوم صوَّت . اللسان مادة ضبح .

٣ ديوان جران العود ص ٦ .

٤ الظفر في مقدمة الخف ولكل خف منسمان ... اللسان مادة نسم .

٥ مقوس . اللسان مادة زجج .

٦ الظُّنْبوبُ: حَرْفُ الساقِ اليابِسُ من قُدُمٍ، وقيل: هو ظاهرُ الساق، وقيل: هو عَظْمه.. اللسان مادة ظنب .

٧ الرَّوَحُ: اتساعُ ما بين الفخذين أَو سَعَةٌ في الرجلين، وهو دون الفَحَج، إِلاَّ أَن الأَرْوح تتباعَدُ صدورُ قدميه وتَتَدانى عَقِباه. وكل نعامة رَوْحاء ؛ قال أَبو ذؤيب:

وزَفَّتِ الشَّوْلُ من بَرْدِ العَشِيِّ، كما زَفَّ النَّعامُ إِلى حَفَّانِه الرُّوحِ اللسان مادة روح .

٨ ديوان جران العود ، شرح وتعليق كارين صادر ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان .ص ٥٠ .

٩ من المَجَازِ: "بَيْضَةُ الخِدْرِ: جَارِيَتُه"، لأَنَّهَا في خِدْرُهَا مَكْنُونَةٌ. وفي البَصَائِر: وكَنَىَ عن المَرْأَةِ بالبَيْضَة تَشبيهاً بِهَا في اللَّوْن، وفي كَوْنِهَا مَصُونَةً تَحْتَ الجَنَاحِ، ويُقَال: هِيَ من بَيْضَاتِ الحِجَالِ. وأَنْشَدَ الصَّاغَانيّ لامْرِئ القَيْس:

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غيْرَ مُعْجَلِ... تاج العروس من جواهر القاموس(الموسوعة الشعرية)

١٠ الصلصلة الصوت إذا ضوعف . اللسان مادة صلصل

١١ الخلاخيل . المعجم الوسيط مادة خلخل

١٢ جمع ربيبة وهي التي ربيت في البيوت . اللسان مادة ربب

١٣ جمع بكر وهي التي لم تلد يطلق على التي ولدت بطناً واحداً . اللسان مادة بكر

١٤ بقر الوحش . اللسان مادة مها .

كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجلِ وَسـطَها   مِنَ البَغـى شِـرّيبٌ يُغَـرِّدُ مُتَـرَفُ

لقد تنوع ذكر جران العود للحيوان فمرة يذكره في جانب الأنس به عندما يكـون الحديث عن الصبا والأحباب والذكريات الحلوة .

ومرة يأتي ذكره وقد انتزع منه صفات مخيفة عندما يكون الحديث في ذكر زوجتيه وما قاسا منهما .

والأماكن التي ذكرها في شعره بأنواعها سواء كان طللاً يقف عليه فيذرف الدموع ، أو كانت أماكن وردت في شعره يذكرها وهو في سفر أو وهو يتذكر أيامه الخـوالي .أويشبه المحبوبة بمهاة في أرض هادئة مطمئنة .

لقد أمعن جران العواد نظره فيما حوله وجعل البيئة مصدراً ثرياً من مصادر تصويره البياني .

ثالثاً/التجربة الإنسانية الذاتية :

عندما نتحدث عن الشعر وعلاقته بالتجربة الإنسانية ندرك أنه تعبير عن الانفعالات والعواطف . "والانفعال دافع بارز في الفن ـعموماًـ وفي الشعر على وجه الخصوص... والحالات الانفعالية : هي حالات نفسية صرفة يصحبها ويتبعها مباشرة تغيرات تؤثر في الإنسان وفي أفكاره "[1]

ولقد عاش جران العود تجربة إنسانية خاصة كانت مصدرا مؤثراً أنتج تلك الصور البيانية الجميلة التي أمتعنا بها .

فحبه للنساء وفجيعته بزوجتيه ؛ أنتج لنا تلك الصور الجميلة ولعله بمقدار تقبيحه لزوجتيه يتألق في وصف محبوباته ! وكأنه يؤكد المقارنة بين هذا الصنف وذاك .

ولا شك أن عمر شاعرنا الطويل جعله يعيش تجربة إنسانية تفيض عليه بالمعاني العميقة المؤثرة .لقد وصف تلك المعاناة في بعض أبياته وذكر الزمن فيها وكأنه يشير إلى أنه جرب الحياة في عمره الطويل بكل أوقاتها .

فذكر الغدو أول النهار :

وَيَغدو بِمِسحاحٍ كَأَنَّ عِظامَها ... مَحاجِنُ أَعراها اللِحاءَ الُمشَبِّحُ

وَلَمّا اِلتَقَينا غُدوَةً طالَ بَينَنا ... سِبابٌ وَقَذفٌ بِالحِجارَةِ مِطرَحُ

وذكر اليوم:

جَرَت يَومَ رُحنا بِالرِكابِ نَزُفُّها ... عُقابٌ وَشَحّاجٌ مِنَ الطَيرِ مِتيَحُ

وذكر العام :

فَيا رَبِّ قَد صانَعتُ عاماً مُجَرَّما ... وَخادَعتُ حَتّى كادَتِ العَينُ تُمصَحُ

وذكر شهر جمادى والمطر ينزل فيه على حديقة شبه المرأة الطيبة بها :

وَلَسنَ بِأَسواءٍ فَمِنهُنَّ رَوضَةٌ ... تَهيجُ[2] الرِياضُ غَيرَها لا تَصَوَّحُ[1]

---

[1] الشعر والموقف الانفعالي بتصرف . ص ١١ .

[2] تيبس وتصفر . اللسان مادة هيج .

جُمادِيَّةٌ أَحمــى[2] حَــدائِقَها النَــدى[3] وَمُــزنٌ تُدَلّيــهِ الجَنائِــبُ[4] دُلَّــحُ[5]

وذكر زمن الصبا :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَــذرِفُ وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعــرِفُ

والإنسان في شعر جران العود كان مصدراً للتصوير البياني بمشاعره وأحاسيسه ، بما يقاسيه من متاعب الحياة وما يعانيه من لأوائها.

فقد وقف جران العود مع ذكرياته فبين جانباً لطيفاً من جوانب حياتــه وعلاقتــه بالماضي والذكريات فقال :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَــينُ تَــذرِفُ وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ

وَكانَ فُؤادي قَد صَــحا ثُــمَّ هــاجَني حَمــائِمُ وُرقٌ[6] بالَمدينَــةِ هُتَّــفُ

كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجــلِ وَســطَها مِنَ البَغى شِــرّيبٌ يُغَــرِّدُ مُتَــرَفُ[7]

يُــــذَكِّرُنا أَيّامَنــــا بِعُوَيقَــــةٍ[1] وَهَضبِ قُساسٍ[2] وَالتَذَكُّرُ يَشــعَفُ[3]

---

[1] لا ييبس نبتها ولا يتشقق . اللسان مادة صوح .

[2] منع . المعجم الوسيط مادة حمى .

[3] البلل والمطر . اللسان مادة ندي .

[4] جمع جنوب وهي الرياح التي تهب من الجنوب . اللسان مادة جنب .

[5] سحابة دَلُوح : مثقلة بالماء . اللسان مادة دلح .

[6] قال الأصمعي: إذا كان البعير أَسود يخالط سواده بياض كدخان الرِّمْثِ فتلك الوُرْقَةُ... ومن ذلك قيــل للرمــاد أَوْرَقُ، وللحَمامة والذِّئبة وَرْقاءُ . اللسان مادة ورق .

[7] الهديل هاهنا الفرخ يغمز من رجله ؛ يقول : من نشاطه كــأنه ظالع لما هو فيه من الطرب . شريب : سكران . ديوان جران العود ص ١٣ .

وذكر أوقات الوداع وبين الأحباب والأصحاب وما في ذلك من معاناة وحزن :

بانَ الخَليطُ[4] فَهالَتكَ التَهاويلُ[5] وَالشَوقُ مُحتَضَرٌ وَالقَلبُ مَتبولُ[6]

يُهدي السَلامَ لَنا مِن أَهلِ ناعِمَةٍ إِنَّ السَلامَ لِأَهلِ الوُدِّ مَبذولُ

إن تجربة جران العود الإنسانية كانت نبعاً يستقي منه فيصوغ صوره الشعرية الجميلة المؤثرة ؛ فهو صاحب التجربة الخاصة مع المرأة ! حيث كانت المرأة في حياته محبوبة الفؤاد ، وكانت كذلك معذبة الفؤاد وجالبة الهم والبؤس .

فهو العاشق المحب الذي تفنن في وصف محبوباته ، وهو الزوج الذي ابتلي بزوجتين أذاقتاه البؤس والعذاب .

فخرج من تجربة الحب بصور غاية في الجمال والحلاوة . وخرج من تجربة الزواج البائس بصور تصور الصفات القبيحة في هيئة غاية في السوء والقبح .

"إن حياته الخاصة حياة مليئة بالصخب ، وقد حرص على توظيف شعره للتعبير عن حالته الاجتماعية هذه ومعاناته التي برزها بهذا الشكل المتميز ؛ فقد كانت له ضرتان كان يلاقي منهما ما يلاقيه من متاعب ، ولعل تصويرهما بالغول والسعلاة يكشف عن الوجه القبيح والخلق السيئ الذي كانت عليه كل منهما بعد أن استدل الستار على ذلك من حلقه المخدش وترقوته المجرحة ... ويوغل الشاعر في تجسيد الصورة وهو يزين جوانبها ويظهر دقائقها ...إنها صورة اجتماعية معبرة تجرأ الشاعر في وصفها وإبرازها . كما تلذذ بوصف تجربته المحببة إلى نفسه ؛ فالذكريات التي يتحدث عنها الشعراء تقترن بأحداث

---

[1] لم أجد لها ذكر إلا في بيت للقطامي في قوله : و لم يَحِلّوا باحواسِ الغميسِ إلى شَطَّي عُويقةَ فالرَّوحاءِ من خِيمَا . ديوان القطامي ، وتروى (بسويقة) و(بعريضة) . ديوان جران العود ص ١٣ .

[2] جبل لبني أسد . اللسان مادة قسس . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٧٣ .

[3] يحرق القلب . الصحاح مادة شعف .

[4] الخَليطُ المُخالِطُ، كالنديم المُنادِم، والجليس المُجالِس . الصحاح مادة خلط .

[5] التهاويل ما هال و أفزع . الصحاح مادة هول . اللسان مادة هول .

[6] قلب متبول غلبه الحب وهيمه . اللسان مادة تبل .

عزيزة عليهم لا يفتؤون يذكرونها ويسترجعونها في شوق جارف ، وحـــس متصـــل ، وحسرة دائمة ولوعة لا تهدأ ."[1]

ومن التجارب التي عاشها فراق الديار والأحباب حيث ، ذكر في أكثر من موضع في شعره أثر ذلك عليه . وانطلق يصف الرحلة والديار التي أحبها ، ووقف علـــى الطلـــل وناجاه وحاوره وبكاه ، وبثه شجنه .

" إن جران العود الذي يمثل امتدادا لاتجاه فني عرفه الشعر العربي يقدم لنا لوحة جديدة من لوحات الشعر القصصي فهو يباشر القصيدة ، بالذكريات التي أعادت إلى نفسه مـــا كان بعيداً عنها فأهاجته .والدموع التي ذرفت وهي تستجيب لدواعي الحنين والأيام التي قضاها وهي تتمتع بالمناظر الموحية ، ويزهو بسقيط الندى وهو يضع إكليل الـــذكريات العزيزة ويتابع خطوات العيس وهي ترسم خطوات الطريق على الجندل الصم بعـــد أن أجهدها المسير وأضرت بها مشقة الدرب المترامي "[2]

[1] ديوان جران العود النميري ، تحقيق د نوري حمودي القيسي . ص ١١ ، ١٢ . بتصرف

[2] المرجع السابق ص ١٢،١٣.

الفصل الثاني
التشبيه في شعر جران العود

- حول التشبيه باختصار
- التشبيه في شعر جران العود

١. المرأة .

٢. الطلل .

٣. الحيوان والطير.

٤. جران العود وحديثه عن نفسه .

حول التشبيه باختصار

أكثر الشعراء والأدباء من استعمال التشبيه في أشعارهم وأساليبهم لما له من قيمة فنية وما يتيح لهم من التصرف في القول فاعتنوا به ونوعوا في استعمالاتهم له . وجعلوه أداة يعبرون بها عن خلجات نفوسهم ومشاعرهم ، كما صوروا به الأفكار وأخرجوها به عن تجريدها .[1]

والتشبيه في اللغة :

جاء في اللسان : "الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله..."[2]

فالتشبيه التمثيل ، وهو مصدر مشتق من الفعل شبَّه بتضعيف الباء .

التشبيه في اصطلاح البلاغيين :

تعددت تعريفات البلاغيين للتشبيه غير أنها وان اختلفت لفظاً فإنها متقاربة في المعنى .

فابن رشيق يعرفه بأنه :"صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ..."[3]

وأبوهلال العسكري يعرفه بقوله :"التشبيه :الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ..."[4]

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله :"التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى "[5]

ويرى الإمام عبدالقاهر أن التمثيل نوع من أنواع التشبيه حيث يقول :"والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه ، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً ..."[1]

---

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد .د إبراهيم بن عبدالرحمن الغنيم ، الشركة العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٦هـ . ص ١٣٢

٢ اللسان مادة شبه .

٣ العمدة ١ /٢٥٦ .

٤ الصناعتين ص ٢٣٩.

٥ التلخيص من مجموع المتون الكبرى ص ٤٧٣

أركان التشبيه :

أربعة أركان هي :

المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه .

والمشبه والمشبه به يسميان طرفا التشبيه وهما قد يكونا محسوسين ، وقد يكونا معقولين ، وقد يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً ، أو على العكس من ذلك .

أما أداة التشبيه وهي مايربط المشبه بالمشبه به فقد تكون حرفاً أو فعلاً أو اسماً .

وأما الركن الربع وهو ووجه الشبه وهو المعنى الذي يلاحظ للجمع بين المشبه والمشبه به ، وينبغي أن يكون هذا الوجه في المشبه به أقوى منه في المشبه حتى يصبح تشبيهاً.

وهذا الوجه أيضاً إما أن يكون حسياً أو عقلياً ، وإما أن يكون مفرداً أو متعدداً ، وقد يأتي صورة منتزعة من أشياء متعددة .

أقسام التشبيه :

هناك عدة تقسيمات وأنواع للتشبيه ولكن أشهرها تقسيمه بثلاث اعتبارات :

١. من حيث طرفاه
٢. من حيث الأداة
٣. من حيث وجه الشبه

التشبيه في شعر جران العود

أكثر جران العود من استعمال التشبيه في شعره ونوع فيه . وباستقراء ديوانه نجد أن الموضوعات التي ركز عليها في صوره وتشبيهاته هي:

١ -المرأة .

---

[1] أسرار البلاغة ٧٥ .

٢-الطلل .
٣-الحيوان والطير.
٤-حديثه عن نفسه .

أولاً / المرأة :

حفل شعر جران العود بكثير من التشبيهات والصور التشبيهية في موضوع المـــرأة ، وهو عندما يذكر المرأة في شعره يذكرها من جانبين كما مر في الفصل الأول : جانـــب المرأة صاحبة الصفات الذميمة بكل معانيها ، وجانب المرأة صاحبة الصفات الحميدة بكل معانيها .

الجانب الأول : جاءت فيه تشبيهات وصور تشبيهية بينت بشاعة زوجتيه ، وقـــد حاولت أن أجمعها وأحللها لأقف على براعة الشاعر في تلك الصور التشبيهية :

تشبيه شعرها بالحيات السود التي ترتفع على بطن وادٍ فيه رمل وحجارة حيث تكون تلك الحيات السود واضحة تماماً ؛ وذلك في قوله[1] :

وَلا فاحِمٌ[2] يُســـقى الـــدِهانَ كَأَنَّـــهُ	أَساوِدُ[3] يَزهاهـــا[4] لِعَينَيـــكَ أَبطَـــحُ
وَأَذنابُ خَيلٍ عُلِّقَـــت في عَقيصَـــةٍ[5]	تَرى قُرطَها مِـــن تَحتِهـــا يَتَطَـــوَّحُ

[1] ديوان جران العود النميري / رواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـــ ص١ .

[2] الشعر الأسود

[3] الأَسْوَدُ: العظيمُ من الحيَّات وفيه سوادٌ، والجمع أَسْوَدات وأَساوِدُ وأَساويدُ...و الأَسودُ أَخْبثُ الحيات وأَعظمها وأَنكاها ... لسان العرب مادة سود .

[4] يرفعها .من شرح أبي جعفر بن حبيب لديوان جران العود .برواية أبي سعيد السكري الطبعة الأولى ١٣٥٠هـــــ ١٩٣٠م .

٥ العَقْصُ: أَن تَلْوِيَ الخُصْلة من الشعر ثم تَعْقِدها ثم تُرْسِلَها... قال ابن الأَثير: العَقِيصةُ الشعرُ المَعْقوص وهو نحوٌ من المَضْفور، وأَصل العَقْص اللّيُّ وإِدخالُ أَطراف الشعرفي أُصوله،..قال الليث: العَقْصُ أَن تأْخذ المرأَة كلَّ خُصْلة مـــن شعرها فتَلْويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تُرْسلَها، فكلُّ خُصْلة عَقِيصة؛ قال: والمرأَة ربما اتخذت عَقِيصةً مـــن شعر غيرها... لسان العرب مادة عقص.

وقد نجح جران العود في اختيار المشبه به (أساود) فهي طويلة سوداء لامعة وهـذه علاقة واضحة بين المشبه (الشعر الأسود) والمشبه به . فشعرها طويل قد دهنته وأكثرت الدهان فكان أسود لامعا مثل الحيات السود .

وجاء الشاعر في صورته بكلام مترابط مترتب على بعض ، يقوم بعضه بخدمة بعضه حتى خرج المعنى واضحا جليا مدهشا ممتعا .

وهذه ميزة من ميزات النظم كما يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني[1] رحمه الله :"معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعـض ... واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك ،أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ،حتى يُعلَّق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسـبب مـن تلك... وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا الصنيع ونحوه ، وكان ذلك كله ممالا يرجع منه إلى اللفظ شيء،ومما لا يُتصور أن يكون فيه ومن صفته ، بان ذلك أن الأمر على ما قلناه،من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجـرد أصـواتاً وأصداء حروف ، لما وقع في ضمير ولا هَجَسَ في خاطر ، أن يجب فيها ترتيب ونظم ، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل ... "[2]

والتشبيه هنا حسي مفرد نظمه جران العود ورتبه فكان مثيراً مدهشاً ، فشعر زوجته أسود وعبر بكلمة يُسقى و لم يقل يُدهن ؛ فهي تكرمه بالدهان . ثم شبه هـذا الشـعر بالحيات السود التي قد رفعها الأبطح ووضحها، وهي مختبئة ، فالشعر الأسود الذي قـد دهن وأكرم بالدهان قد التصق بالرأس والحيات السود قد التصقت بالأرض واختبـأت ولكن ارتفاع الأرض وانبساطها يبرزها ويظهرها.

فتحقق في هذا التشبيه الإدهاش والإمتاع بهذا الترتيب والربط بين كلماته .

---

[1] عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعرقيق. توفي سنة ٤٧١ هـ (الأعلام ٤/٤٨،٤٩) .

٢ دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني بالقـاهرة ودار المدني بجدة الطبعة الثالثة . بتصرف ص ٤، ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

ولاشك أن هذا السياق تقف وراءه نفس جران العود المفجوعة بهذه المرأة ! وكـأنه يفرغ هذه الفجيعة فيشبهها بكل صفات القبح والإخافة .

فشعرها الأسود الذي قد سقي الدهان يشبه الحيات السود ! ولعلنا هنا ندرك الفرق بين هذا الوصف وبين قول عنترة[1] في وصف شعر معشوقته :

ويطلع ضوء الصبح تحـت جبينـها فيغشاه ليلٌ من دجى شعرِها الجعـدِ

فهذا وصف محب عاشق وذلك وصف مفجوع مبغض .

والكلمات التي استعملها شاعرنا في تشبيهه تنبينا عن لغة الشاعر البدوية الـتي قـد اندمجت بالصحراء وبيئتها .

وفي قوله[2] :

وَأَذنابُ خَيـلٍ عُلِّقَـت في عَقيصَـةٍ تَرى قُرطَها مِـن تَحتِهـا يَتَطَـوَّحُ

شبه شعرها بأذناب الخيل المعلقة ؛ فقد اختار أن يكون المشبه به (أذناب الخيل المعلقة في عقيصة).

فجران العود يصف شعر زوجته في كل حالاته ليبين قبحه ؛ فقد وصفه وهو قـد سقي الدهان والتصق برأسها فشبهه بالحيات السود ، ثم وصفه وهو قد سـقي الـدهان وانسدل فكان كأذناب الخيل .

جاء بهذا التشبيه مفرداً حسياً فقد شبه شعرها وهو قد سقي الدهان وانسدل بأذناب الخيل المعلقة في عقيصة .وهوتشبيه حسي كلا طرفيه حسيان .

وقد صاغ عباراته وجعل ألفاظه تخدم معانيه فكان مدهشاً مقنعاً ممتعـاً دالاً علـى الوصف الذي أراد أن يوصله للقارئ والسامع .وتلك الحالة النفسية التي عاشها مع زوجته . بادية في لغته البدوية وتأثره بما حوله .

وشعر هذه المرأة السيئة الطباع أيضاً يبدو كالعقارب التي تشول بأذنابها القصـيرة كما في قوله[3] يصف شعر زوجته رزينة :

تَرى رَأسَها في كُلِّ مَبدىً وَمَحضَـرٍ شَعاليلَ[1] لَم يُمشَط وَلا هُـوَ يُسـرَحُ

---

١ شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العـربي الطبعة الثانية ص ٦١

٢ الديوان ص ٣٨

٣ ديوان جران العود ص ٦ .

وَإِن سَرَّحَتهُ كـــانَ مِثــلَ عَقَــارِبٍ　　　تَشـــولُ[2] بِأَذنـــابٍ قِصـــارٍ وَتَـــرمَحُ[3]

جعل (العقارب التي تشول بأذناها) مشبهاً به ليصور غاية القبح والإيذاء ،وهو تشبيه مركب حيث شبه شعرها وهو مسرح بالعقارب وهي تشول بأذناها القصار وتـــرمح ، وهو تشبيه حسي فالطرفان حسيان .

استطاع جران العود من خلال صياغته للكلمات ونظمه الذي جعل اللفظ يخدم المعنى أن يوصل صورة واضحة مدهشة .

فشعر زوجته ليس من الشعور التي تستهوي الرجال وتستميلهم ! بل هو شعر متفرق لا يكون جميلا إذا مشط ، ولا يكون جميلاً إذا أرسل وترك.

وإن سرحته واجتهدت في ذلك صار كالعقارب التي ترفع أذناها القصار لتلدغ بها .

لقد أوغل في وصف دقائق صفات شعر زوجته ليبين قبحه .فهو يبث فجيعته بهـــذه المرأة فيصورها بهذه الصورة .

وأحاسيس جران العود النفسية تبرز هنا واضحة في وصفه لشعر زوجته التي كرهها وأبغضها ، وبغضه لها يجعله يراها قبيحة في كل أحوالها حتى تلك الأحوال التي تتزين فيها (وإن سرحته) ! فالقبح الظاهر في الصورة ماهو إلا انعكاس لإحساسه تجاهها ، وقد عبر بـــ (إن) الدالة على الشك والتقليل ؛ فلم يقل (إذا سرحته) .

ولنا أن نتأمل كيف جاء ذكر العقارب هنا في هذه الصورة المخيفة القبيحة ، وكيف جاء في قول المجنون[4] :

---

١ متفرق . اللسان مادة شعلل.

٢ ترفع أذناها . اللسان مادة شول.

٣ جاء في اللسان رماح العقارب شولاتها مادة رمح وشولة العقرب ما شال من ذنبها مادة شول .

[4] (مجنون ليلى) قيس بن الملوح بن مزاحم العامري: شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنونا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب " ليلى بنت سعد ". قيل في قصته: نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشـــعار ويأنس بالوحوش، فيرى حينا في الشام وحينا في نجد وحينا في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله سنة ٦٨ هـــ. وقد جمع بعض شعره في " ديوان – ط " وصنف ابن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) كتابا في أخباره سماه " بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر – خ " في دار الكتب. وكان الأصمعي ينكر وجـــوده، ويـــراه اسمـــا بـــلا مسمى.والجاحظ يقول: ما ترك الناس شعرا، مجهول القائل، فيه ذكر ليلى إلى نسبوه إلى المجنون. ويقول ابن الكلبي: حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، (الأعلام ٢٠٩/٥) .

إنَّ الغَــــوانِيَ قَتَّلَـــــت عُشّـــــاقَها		يا لَيتَ مَــــن جَهَــلَ الصَــبابَةَ ذاقَهـــا

في صُـــــدغِهِنَّ عَقَـــارِبٌ يَلسَـــعنَنا		مـــا مَـــن لَسَـــعنَ بِواجِــدٍ تِرياقِهـــا

إِنَّ الشِــفاءَ عِنــاقُ كُــلِّ خَريــدَةٍ		كَالخَيزُرانَـــــةِ لا نَمَـــــلُّ عِناقَهـــــا

فجيعة جران العود التي ساقته ليقبح زوجته جعلته يأتي بذكر العقارب بهذا الأسلوب المخيف، وعشق وحب المجنون جعله يأتي بذكر العقارب في هذا السياق .

لقد انفرد جران العود بهذا الوصف لشَعْرِ المرأة فلم يسبقه شاعر ! حيــث لم يقــف الباحث على وصف مثل هذا الوصف .

وتشبيه عظامها بالأعواد المعوجة التي أزال الناحت عنها اللحاء . فالمشبه به (العصي المعوجة العارية من اللحاء) ويااله من وصف يبين القبح .في قوله[1] :

وَيَغدو بِمِسحاح[2] كَــأَنَّ عِظامَهــا		مَحــاجِنُ[3] أَعراهــا[4] اللِحــاءَ[5] المُشَــبِّحُ[6]

لقد نجح جران العود في تقبيح زوجته ووصفها بهذا الوصف ، حتى كــأن الســامع والقارئ يبصر عظامها وهي تسرع في مشيها .

وهو تشبيه مقيد حسي حيث شبه العظام بالعصي العارية في حالة المشي .

صاغ صورته بنظم جميل مدهش ممتع مقنع ؛ حيث رتب المعاني على بعضها وجعل ألفاظه تخدم معانيه .

---

[1] الديوان ص ٢ .

[2] في منتهى الطلب من أشعار العرب /الموسوعة الشعرية (مسحاج) فأما المسحاح فقد ذكر أبوجعفر ابن حبيب أنها المرأة السريعة المشي وهو عيب في النساء و لم أقف على هذا المعنى في المعاجم العربية التي رجعــت إليهــا غــير أني وجدت معنى قريبا في اللسان وأساس البلاغة وهو قولهم : (وفرس مِسَحٌّ، بكسرالميم: جَوادٌ سريع كأَنه يَصُبُّ الجَرْيَ صَـبّاً، شُبِّه بالمطر في سرعة انصبابه ...)

[3] جمع محجن وهي العصا المعوجة . اللسان مادة حجن .

[4] العُري خلاف اللبس وهي هنا بمعنى نزع عنها اللحاء . اللسان مادة عرا .

[5] اللحاء قشر الشجر . اللسان مادة لحا

٦ شَبَّحَ الشيءَ: عَرَّضَه، وتشْبِيحُه: تعريضه. وشَبَحْتُ العُود شَبْحاً إذا نَحَتَّه حتى تُعَرِّضَه. اللسان مادة شبح .

فلم يقل كأن عظامها المحاجن العارية فقط بل أضاف معاني أخرى تزيد جلاء الصورة وتوضحها وتثبت الرسالة التي أرادها وهي قبح زوجته .فهي سريعة المشـــي وعظامهـــا تكشفت للناحت الذي فجع بقبح شكلها .

ثم يتابع هذا الوصف بوصف قبيح آخر في قوله[1]:

إِذا اِبتُزَّ[2] عَنها الدِرعُ قيلَ مُطَـــرَّدٌ[3]   أَحَـــصُّ[4] الـــذُنابى[5] وَالـــذِراعَينِ أَرسَـــحُ[6]

لقد صورها وهي بذلك الشكل (عظامها التي تشبه العصي المعوجة العارية) ومشيها السريع بذكر النعام الذي طرده الناس فنفر وهو لاريش عليه وذنبه خفيف الريش وهـــذا أسمج ما يكون وأقبح.

ساق تشبيهه في نظم جميل؛ فلم يقل إذا سقط عنها الدرع وإنما قال إذا ابتز بصـــيغة المبني للمجهول ليبين أنها كانت حريصة على عدم سقوط درعها ولكنه سقط منزوعا دون رغبتها فبان ما تحته من قبح .ثم قال (قيل مطرد) فنكر القائل ليبين أن الوصف صـــار سائراً عند كل من رآها ثم لم يكتف بذلك بل شبهها بذكر النعام الذي قد سقط ريـــش ذنبه وذراعيه .

لقد قبح زوجته وآلمها بهذا الوصف الذي لم يسبق إليه .

واستمر في هجاء زوجته فشبهها بالعقاب والغراب والطيور التي يُتشاءم بها في قوله[7] :

:

---

[1] ديوان جران العود ص ٢ .

٢ نزع عنها . اللسان مادة بزز .

٣ المطرد : يعني الظليم طرده الناس فنفر وهو أسمج ما يكون إذا نفر . من شرح أبي جعفر بن حبيب لديوان جران العود.

٤ لاريش عليه . اللسان مادة حصص .

٥ الذنب . اللسان مادة ذنب

٦ الرَّسَحُ: خِفَّةُ الأَلْيَتَين ولصوقهما. اللسان مادة رسح .

٧ ديوان جران العود ص ٣

جَرَت يَومَ رُحنا بِالرِكابِ نَزُفُّها عُقابٌ وَشَحّاجٌ[1] مِنَ الطَيرِ مِتيَحُ
فَأَمّا العُقابُ فَهيَ مِنها عُقوبَةٌ وَأَمّا الغُرابُ فَالغَريبُ المُطَوَّحُ

وقوله[2] :

عُقابٌ عَقَنْبَاةٌ[3] كَأَنَّ وَظيفَها[4] وَخُرطومَها[5] الأَعلى بِنارٍ مُلَوَّحُ[6]

فهي لا تشبه العقاب العادية بل العقاب العقنباة وهي الداهية القوية المخالب من العقبان ولون ساقها ومنقارها مسود كأن النار قد أحرقته وهذه أيضاً علامات القوة والشدة .وهي تشبه الشحاج وهو الغراب .

ثم شبه زوجتيه بالغول والسعلاة . من شدقما وقبح صورقما وذلك في قوله[7] :

هُما الغُولُ[8] وَالسِعلاةُ[9] حَلقي مِنهُما مُخَدَّشُ ما بَينَ التَراقي مُجَرَّحُ

فالمشبه به الغول والسعلاة مخلوقان مخيفان متخيلان واختيار المشبه به بهذه الهيئة له تأثير قوي في بيان صفة المشبه وهي الإخافة والإفزاع بسبب قبح المنظر والإيذاء .

وهو تشبيه مفرد عقلي وهمي[1] لأن المشبه به بهذه الهيئة فهما في الأصل مخلوقان متخيلان . وقد برع جران العود في رسم هذه الصورة إذ انتقى كلماته لتؤدي المعنى الذي

---

١ أراد الغراب هنا بدلالة البيت الذي يليه والشُحاج والشحيج صوت البغل والحمار والغراب إذا أسن . اللسان مادة شحج .

٢ ديوان جران العود ص ٤ .

٣ عُقابٌ عَقَنْباةٌ، وعَبَنْقاة، وقَعَنْباة، وبَعَنْقاة، على القَلْبِ: حديدةُ المَخالِبِ. وفي التهذيب:هي ذاتُ المَخالِبِ المُنْكَرةِ، الخَبيثة؛... وقيل: هي السريعة الخَطْفِ، المُنْكَرَةُ؛ وقال ابن الأَعرابي: كلُّ ذلك على المبالغة، كما قالوا: أَسَدٌ أَسِدٌ، وكَلْبٌ كَلِبٌ. وقال الليث: العَقَنْباةُ الداهِيةُ من العِقْبان... اللسان مادة عقب .

٤ الوظيف ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق من كل ذي أربع . اللسان مادة وظف . وفي موضع آخر من اللسان قال هو عظم الساق مادة زجج .

٥ الخرطوم من الطير المنقار . اللسان مادة خرطم .

٦ تغير لونه من النار . اللسان مادة لوح .

٧ ديوان جران العود ص ٤ .

٨ كل ما أهلك فهو غول وقد جاء في اللسان معان أخرى تدور حول هذا المعنى ومعان تجعل الغول من الشياطين ...اللسان مادة غول .

٩ السعلاة والسعلا هي الغول قيل هي ساحرة الجن ... اللسان مادة سعل .

يريده ؛ فرسم صورة غاية في القبح والفزع .وهي صورة لم يُسبق إليها رسمها بثقافته ولغته البدوية مندمجا بما حوله وهنا برز اندماجه بأساطير الصحراء وتخيلات أهلها .

ويمضي جران العود في وصف زوجته رزينة وسوء عشرتها التي زادت من قبح صورتها فيشبه غدوها بغدو الذئب[٢] الذي يهجم على الغنم أول الصبح لعلمه بأن كلاب الحراسة قد أجهدها السهر في قوله[٣]:

تُصَبِّرُ[٤] عَينَيها وَتَعصِبُ رَأسَها وَتَغدو غُدُوَّ الذِئبِ وَالبومُ يَضبَحُ[٥]

ولاشك أن اختيار المشبه به بهذه الهيئة له أثره القوي في الصورة التي رسمها ؛ فزوجته تهجم عليه في الصباح وقد تعب من معاناته معها في الليل والذئب يهجم على الغنم وقد تعب الحراس من منعه في الليل .

فهو تشبيه مركب حسي منتزع من متعدد ؛ هو لم يشبه زوجته بالذئب فقط ! بل وصفها وقد صبرت عينيها وعصبت رأسها وهي غادية في الصباح بالذئب الذي يغدو والبوم يضبح منذراً بالشؤم.

وقد نجح جران العود في إبراز هذه الصورة بقوة ملكته ولغته ، منطلقاً من مشاعر نفسه المفجوعة بهذه الزوجة .

إن معاناة جران العود من زوجتيه تجعله يركز على تفاصيل دقيقة في أشكالهما فهاهو يصف أظفار زوجته رزينة ويشبهها بمخالب العقاب ويشبه رجليها بخف الحيوان وبالغ في تشبيه رجلها بالخف عندما جعله خفا مقوسا كحرف ساق النعامة الروحاء وهي التي يتسع مابين فخذيها وكل نعامة كذلك ؛ في قوله[٦] :

---

[١] الوهمي : ماليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أُدرك لم يدرك إلا بها ، فعدم إدراكه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلي الخالص (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ، عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، ١٥/٣ .

٢ جاء في كتاب الحيوان للجاحظ :"أنَّ أكثرَ ما يعرِض الذّئبُ للغنم مع الصُّبْح، وإنَّما رقَب فتْرةَ الكلب وكلالَه، لأنْه باتَ ليلتَه دائباً يحرس... "

٣ ديوان جران العود ص ٥ .

٤ تجعل حاوليهما الصبر .

٥ ضبح البوم صوَّت . اللسان مادة ضبح .

٦ ديوان جران العود ص ٦ .

لَها مِثلُ أَظفارِ العُقــابِ وَمَنسِـــمٌ[1] أَزُجُّ[2] كَظُنــــوبِ[3] النَعامَــــةِ أَروَحُ[4]

ويمضي شاعرنا في وصفه الدقيق لسوء زوجته ؛ فيصف صوتها وهي قد رفعته مجلجلاً فصار يشبه صوت وقع مطرقة الحداد على السندان ؛ فيقول[5] :

وَأَنقَذَني مِنها اِبــنُ رَوقٍ وَصَــوتُها كَصَوتِ عَلاةِ[6] القَينِ[7] صُلبٌ صَــمَيدَحُ[8]

وشبه الشاعر صنفاً من النساء بالغل المقمل وهو القيد يكون من جلد وعليه شعر فيقمل في عنق الأسير فيؤذيه فيكون أنكى من غيره من القيود، وهو غل قــوي لا يفكه إلا الرجل المقدام القوي ؛ إذ يقول[9] :

وَمِنــهُنَّ غُــلٌّ مُقمِــلٌ[10] لا يَفُكُّــهُ مِنَ القَومِ إِلّا الشَحشَحانُ[11] الصَــرَنقَحُ[1]

---

١ الظفر في مقدمة الخف ولكل خف منسمان ... اللسان مادة نسم.

٢ مقوس . اللسان مادة زجج .

٣ الظُّنْبوبُ: حَرْفُ الساقِ اليابسُ من قُدُمٍ، وقيل: هو ظاهرُ الساق، وقيل: هو عَظْمه.. اللسان مادة ظنب .

٤ الرَّوَحُ: اتساعُ ما بين الفخذين أَو سَعَةٌ في الرجلين، وهو دون الفَحَجِ، إِلاَّ أَن الأَرْوح تتباعَــدُ صــدورُ قدميــه وتَتَدانى عَقِباه. وكل نعامة رَوْحاء ؛ قال أَبو ذؤيب:

وزَفَّتِ الشَّوْلُ من بَرْدِ العَشِيِّ، كما زَفَّ النَّعامُ إِلى حَفَّانِه الرُّوحِ اللسان مادة روح .

٥ ديوان جران العود ص ٧ .

٦ الزُّبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد ، وتسمى السَّنْدان . اللسان مادة علا. وتسمى الصَّلاءَة . اللسان مادة سند .

٧ الحداد . اللسان مادة قين .

٨ صلب شديد . اللسان مادة صمدح .

٩ ديوان جران العود . ص ٨ .

١٠قولهم: غُلٌّ قَمِلٌ، أَصله أَنهم كانوا يَغُلُّون الأَسِير بالقِدِّ وعليه الشَّعر فَيَقْمِل القِدُّ في عنقُه. اللسان مادة غلل.

١١ قال أبو عبيد وكل ماضٍ في كلام أو سير فهو شَحْشَح. وقال الأموى: الشَحْشَح المواضب على الشيء... وقال ابن الأعرابي رجل شَحْشَح وشَحشاح وشحيح وشَحْشحان بمعنى واحد. تهذيب اللغة مادة شح .

والشَّحْشَحُ والشَّحْشاحُ: الغَيُورُ والشجاع أَيضاً...والشَّحْشَحُ والشَّحْشاح أَيضاً: القويُّ. وخطيب شَحْشح وشَحْشاحٌ: ماضٍ، وقيل: هما كل ماضٍ في كلام أَو سَيْر... اللسان مادة شحح .

وفي هذه الصورة نحس جران العود وهو يتألم من هذا الصنف من النساء حتى وصفه بالغل المقمل ؛ إن نفسيته المتألمة ، ومشاعره المتعبة ، التي أرهقها العيش مع زوجتين مُعَذِّبَتَيْن ، قد نسي معهما السعادة والهناء ؛ جعلته يحس بأنه مأسور قد غُل بغل قوي لم يستطع أن يفكه .

وهنا نتساءل هل الصورة هنا تشبيه أم تجريد[2] ؟ وأيهما أقوى في إيصال معاناة شاعرنا، وأبلغ في وصفها ؟

نستطيع تقرير ذلك إذا تأملنا في سياق القصيدة حيث نجد هذا البيت جاء بعد قول الشاعر[3] :

وَلَسنَ بِأَسواءٍ فَمِنهُنَّ رَوضَةٌ ... تَهيجُ[4] الرِياضُ غَيرَها لا تَصَوَّحُ[5]

جُمادِيَّةٌ[6] أَحمى[7] حَدائِقَها النَدى[8] ... وَمُزنٌ تُدَلّيهِ الجَنائِبُ[9] دُلَّحُ[10]

فالشاعر في سياق حديثه عن ذم زوجتيه ووصفهما بأقبح الصفات أضاءت في ذاكرته امرأة من النساء اللائي يختلفن عن زوجتيه فأنس لتذكرها و لم يستطع أن يفارق تلك

١ الماضي الجريء والصَّرَنْقَحُ أَيضاً: المحتال؛ الأَزهري: الصَّرَنْقَحُ من الرجال الشديد الشَّكيمة الذي له عزيمة لا يُطْمَع فيما عنده ولا يُخْدَعُ؛ وقيل: الصَّرَنْقَحُ الظريف. اللسان مادة صرقح .

[2] التجريد : أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغةً في كمالها . (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٣٨/٤)

٣ ديوان جران العود.ص ٧ ، ٨ .

٤ تيبس وتصفر . اللسان مادة هيج .

٥ لا ييبس نبتها ولا يتشقق . اللسان مادة صوح .

٦ ينزل مطرها في جمادى . وقد سمي الشهران جمادى الأولى وجمادى الآخرة بأنهما شهرا برد وشدة حيث يجمد الماء فيهما .ينظر اللسان مادة جمد ، والمعجم الوسيط مادة جمد .

٧ منع . المعجم الوسيط مادة حمى .

٨ البلل والمطر . اللسان مادة ندي .

٩ جمع جنوب وهي الرياح التي تهب من الجنوب . اللسان مادة جنب .

١٠ سحابة دَلُوح : مثقلة بالماء . اللسان مادة دلح .

الذكرى الكريمة على نفسه فوصفها في بيتين أضاءا ظلام قصيدته وهو يهجو زوجتيه ويروي معاناته معهما .

فبين أن النساء لسن سواء في الشر والسوء والقبح ؛ بل إن هناك صنف منهن كريم الطبع جميل الخُلق . كالروضة الكريمة التي سيأتي الحديث عنها .

ولكن فجيعته في زوجتيه لم تفارقه فعاد واصفاً سوءهما بقوله:

وَمِنهُنَّ غُلٌّ مُقمِلٌ لا يَفُكُّهُ مِنَ القَومِ إِلّا الشَحشَحانُ الصَرَنقَحُ

إذن هو يذكر صنفاً من النساء ، أي يقول بعضهن (فمن) هنا تبعيضية وليست ابتدائية فهو تشبيه .

الجانب الثاني : وصف المرأة صاحبة الصفات الحميدة بكل معانيها :

وبقدر ما تعجبُ من طرافة وقبح تلك التشبيهات التي شبه الشاعر المرأة بها ؛ تقف مشدوداً لوصفه الجميل للمرأة وهو يصف أخلاقها ، وجمالها ، وحبه لها ، وتلك اللحظات التي صورها وكأن الزمان قد هان إلا هذه الساعة منه، وكأن الأرض كلها قد ضاقت إلا تلك المواضع التي لاقى فيها أولئك النسوة .كما قال القائل :

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا[1]

فهاهو جران العود يبين أن النساء لسن سواء على خلق سئ واحد ؛ بل منهن صاحبات خلق حميد شبهها بالروضة التي تصفر الرياض وييبس نبتها إلا هي فقد منعها

[1] مسرحية مجنون ليلى ، أحمد شوقي بك ، مطبعة مصر ١٩١٦م .ص ١١٤.

وحماها المطر الذي كثر حيث إنه ينزل من سحاب مليء مثقل بالماء ، فأجلس الناس عن الأسفار والمرور بها ؛ فكلؤها تام لم يُرع .

ويلا طرافة وجمال ثنائه على هذا النوع من النساء إذ جعل مطرها ينزل في جمـــادى المعروف عند العرب بأنه وقت برد وبؤس يجمد فيه الماء غير أن هذه المرأة تشبه الروضة الطيبة التي ينزل مطرها في جمادى ؛ وهو مطر جاءت به رياح الجنوب الطيبة التي يتفاءل بها الناس فيقول[1] :

وَلَسنَ بأَســواءٍ فَمِنــهُنَّ رَوضَــةٌ ... تَهــيجُ الرِيــاضُ غَيرَهــا لا تَصَــوَّحُ

جُمادِيَّةٌ أَحمى حَــدائِقَها النَــدى ... وَمُــــزنٌ تُدَلّيــــهِ الجَنائِــــبُ دُلَّـــحُ

المشبه به (الروضة التي منعها وحماها المطر الكثير الذي نزل من السحاب المثقل بالماء والذي قد هطل في جمادى المعروف عند العرب بشدته وبرده ، وقد ساقت رياح الجنوب الطيبة هذه السحب الكريمة)

يالها من صورة جميلة لهذه المرأة ، لقد اختار شاعرنا المشبه به بهذه الهيئــة المركبــة المتداخلة فكان هذا الاختيار مؤثراً أيما تأثير في المعنى وفي بناء الصورة التشبيهية .

بل إن المعاني في هذه الصورة تتنامى وتتوالى في أداءٍ مميز من شاعرنا ليبين مزية محبوبته وروعتها .

فقد شبهها بروضة استثنائية لأنها امرأة استثنائية بكل صفاتها .

جاء بصورته التشبيهية مركبة عقلية ؛ حيث يُعمِلُ القارئ والسامع عقله متأملاً ليقف على جوانب الجمال والروعة في هذه الصورة التشبيهية الجميلة .

صاغها جران العود ورسمها واختار ألفاظها فقامت بالمعنى الذي أراد خير قيام ، فكانت هذه الصورة كغمامة كريمة لها ظلها المؤنس وماؤها العذب .

مما يجعل القارئ والسامع يتوق أن يبصر تلك المرأة المحبوبة بهــذه الصــفات الاستثنائية.

إن شاعرنا المفجوع بزوجتيه ـ الذي عاش وكأنه أسير أُبعد عن محبوبات قلبه من النساء اللاتي تعلق قلبه بهن ، ولم يوفق للزواج ولو بإحداهن لسبب لم يقف عليه

---

١ ديوان جران العود.ص ٧ ، ٨ .

الباحث !_ ينحى في شعره ليبدي مظاهر الاختلاف الكبير بين محبوبات قلبه اللاتي تغزل بهن ، وذكرهن بأجمل الصفات الاستثنائية وبين زوجتيه .

غير أن المطلع على هذه المقارنة يدرك تلك النفسية المشتاقة المتيمة التي قد ذابت شوقاً لمحبوبته التي وصفها بقوله السالف :

وَلَسنَ بِأَسواءٍ فَمِنهُنَّ رَوضَةٌ تَهيجُ الرِياضُ غَيرَها لا تَصَوَّحُ
جُمادِيَّةٌ أَحمى حَدائِقَها النَدى وَمُزنٌ تُدَلّيهِ الجَنائِبُ دُلَّحُ

وكما أثنى الشاعر على خلق بعض النساء وامتدحه، وصورها في صورة تأخذ بالألباب ؛ صوَّر جمال النساء وتعلق قلبه بهن فقال[1] :

وَبيضاً[2] يُصَلْصِلْنَ[3] الحُجولَ[4] كَأَنَّها رَبائِبُ أَبكارِ المَها المُتَأَلِّفُ

حيث تذكر النسوة اللاتي أخذن لبه في لحظة تذكر فيها الصبا فانهلت دموعه واشتاق إلى من يحب ، وزاد شوقه وولعه حمائم أخذن يهتفن فتذكر أولئك النساء الجميلات اللاتي لبسن الخلاخيل فكان لها صوت مميز ؛ ولجمال عيونهن وبهاء طلعتهن شبههن بأبكار المها الأليفة .

"قال الأصمعي : إذا ذكر الشاعر البقر فإنما يريد حسن الأعين ،وإذا ذكر الظباء فإنما يريد حسن الأعناق"[5] . غير أن هذا التحديد في نظر الباحث فيه تحجر واسع فلماذا يكون

---

١ ديوان جران العود ، شرح وتعليق كارين صادر ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان .ص ٥٠ .

٢ من المَجَازِ: "بَيْضَةُ الخِدْرِ: جَارِيَتُه"، لأَنَّهَا في خِدْرُهَا مَكْنُونَةٌ. وفي البَصَائِر: وكَنىَ عن المَرْأَةِ بالبَيْضَة تَشبيهاً بِهَا في اللَّوْن، وفي كَوْنِهَا مَصُونَةً تَحْتَ الجَنَاحِ، ويُقَال: هِيَ من بَيْضَاتِ الحِجَالِ. وأَنْشَدَ الصَّاغَانِيّ لامْرِئ القَيْس:
وبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ... (تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ،دار الهداية ٢٦٠/١٨)

٣ الصلصلة الصوت إذا ضوعف . اللسان مادة صلصل .

٤ الخلاخيل . المعجم الوسيط مادة خلخل.

٥ ديوان جران العود .ص ١٣ . وجاء في اللسان مادة مها : المهاة بقر الوحش، سُمِّيت بذلك لبياضها على التشبيه بالبِلَّورْة والدُّرَّة، فإِذا شُبِّهت المرأَة بالمَهاةِ في البَياض فإِنما يُعنى بها البِلَّوْرة أَو الدُّرَّة، فإِذا شُبهت بها في العينين فإِنما يُعنى بها البقرة .

يكون التشبيه بالبقر الوحشي فقط في حسن الأعين في الوقت الذي نستطيع أن نستجلي معاني أخرى يحددها السياق .

شبه الشاعر النساء الجميلات المصونات اللاتي يمشين ولخلاخيلهن صوت بأبكار المها اللاتي ربين في البيوت فألفت الناس وذهبت وحشتها .

وقد وفق في هذه الصورة التشبيهية الجميلة ،وكان لاختيار المشبه به أثر على الصورة ؛ إذ بين أنهن نساء مصونات وصاحبات طبع لطيف أليف .

إن المشبه والمشبه به في هذه الصورة بينهما من العلاقة الحميمية الوثيقة ما يجعل القارئ والسامع يسرح بفكره ليجد صور التشابه بينهما ، فالنساء جميلات وربائب أبكار المها جميلات ، والنساء مصونات وربائب أبكار المها مصونات محروسات ، والنساء يمشين مع بعضهن في مجموعات وكذلك المشبه به ربائب أبكار المها المتألف .

وهو تشبيه مركب حسي صاغه شاعرنا بلغته المستمدة من بيئته ونفسه المتدفقة حباً وشوقاً لهذا الصنف من النساء .

لقد شغل موضوع المرأة جانباً كبيراً من شعر جران العود ، وأبدع أيما إبداع في صوره التشبيهية ؛ولنقف على هذه الصورة الجميلة التي تجبر قارئها وسامعها على تخيل هذه المرأة بل وتمني رؤيتها ولو للحظة ؛ حيث يقول[1] فيها :

وَفي الحَــيِّ مَــيلاءُ[2] الخِمــارِ كَأَنَّهــا   مَهاةٌ بِهَجــلٍ[3] مِــن أُدَيمٍ[4] تَعَطَّــفُ[5]

شَموسُ[6] الصِبا وَالأُنسِ مَخطوفَةُ الحَشــا   قَتولُ الهَوى لَو كانَتِ الدارُ تُســعِفُ

---

١ ديوان جران العود .ص ١٥، ١٦.

٢ الميلاء: ضرب من الاعتمام، حكى ثعلب: هو يعتم الميلاء أي يميل العمامة. .. وقيل: المائلات المتبرجات، وقيل: مائلات الرؤوس إلى الرجال. ، وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة فيها إغراء... اللسان مادة ميل .بتصرف

٣ الهَجْل: المطمئن من الأَرض نحو الغائط. الأَزهري: الهَجْل الغائط يكون منفرجاً بين الجبال مطمئنّاً مَوْطِئه صُلْب... اللسان ٣٨/١٥.

٤ أُدَيم بلفظ التصغير : أرض تجاور تثليث تلي السراة بين تهامة واليمن ، كانت من ديار جهينة وجرم قديماً.(معجم البلدان ١/ ١٢٧) وأَديم بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى وجه الأرض . اللسان مادة أدم . وكلا اللفظين ورد في ديوان جران العود على اختلاف الطبعات والناشرين .

٥ التثني في المشية . وقد يكون المعنى تشبه مهاة عطوف ينظر اللسان مادة عطف .

٦ الشَّمُوسُ من النساء: التي لا تُطالِعُ الرجال ولاتطمعهم . اللسان مادة شمس .

كَـــأَنَّ ثَناياهـــا العِـــذابَ وَريقَهـــا ... وَنشـــوَةَ فيهـــا خالَطَتـــهُنَّ قَرْقَـــفُ[1]
تُهـــينُ جَليـــدَ القَـــومِ حَتّـــى كَأَنَّـــهُ ... دَوٍ[2] يَئِسَـــت مِنـــهُ العَوائِـــدُ مُـــدنَفُ
وَلَيسَت بِـــأَدنى مِـــن صَـــبيرٍ[3] غَمامَـــةٍ[4] ... بِنَجـــدٍ عَلَيهـــا لامِـــحٌ[5] يَتَكَشَّـــفُ
يُشَـــبِّهُها الرائـــي الُمشَـــبِّهُ بَيضَـــةً ... غَدا في النَدى عَنها الظَليمُ الهَجَنَّـــفُ[6]
بِوَعساءَ[7] مِن ذاتِ السَلاسِـــلِ[8] يَلتَقـــي ... عَلَيها مِنَ العَلقى[9] نَبـــاتٌ مُؤَنَّـــفُ[10]

فهذه الأبيات احتوت على تشبيهات كثيرة رسمت بمجموعها لوحة جميلة لهذه المحبوبة فقد شبهها بالمهاة :

وَفي الحَـــيِّ مَـــيلاءُ الخِمـــارَ كَأَنَّهـــا ... مَهـــاةٌ بِهَجـــلٍ مِـــن أَديمٍ تَعَطَّـــفُ

حيث شبه محبوبته الجميلة التي لبست الخمار بطريقة تميل قلوب الرجال بالمهاة العطوف التي تعيش بأرض هادئة ، قد اطمأنت وانخفضت فنبتها ناعم طري .

رسم الشاعر هذه الصورة في علاقة وثيقة بين المشبه والمشبه به ؛ فالمشبه امرأة جميلة لها مشيتها الخاصة المغرية ، وقلبها المرهف العطوف ، والمشبه به مهاة جميلة عطوف بأرض هادئة ناعمة النبت .

---

١ القَرْقَف: الخمر، وهو اسم لها، قيل: سميت قَرْقَفاً لأَنها تُقَرْقِفُ شارِبَها أَي تُرْعِده، اللسان مادة قرقف .

٢ مريض . اللسان مادة دوا .

٣ الصبير السحاب الأَبيض الذي يصبرُ بعضه فوق بعض درجاً... اللسان مادة صبر .

٤ الغمامة السحابة البيضاء .اللسان مادة غمم .

٥ برق . اللسان مادة لمح .

٦ الجافي . اللسان مادة هجنف .

٧ الوَعْساء والأَوْعَسُ والوَعْس والوَعْسة، كلُّه: السهل اللين من الرمل، وقيل: هي الأَرض اللينة ذات الرمل، وقيل: هي الرمل تغيب فيه الأَرجل... اللسان مادة وعس .

٨ رمل يتعقد بعضه على بعض . اللسان مادة سلسل .

٩ العَلْقَى: شجر تدوم خضرته في القَيْظ ولها أَفنان طوالٌ دقاق وورق لِطاف... اللسان مادة علق .

١٠ التأنيف من كل شيء التحديد . اللسان مادة أنف . والمعنى أن نبات العلقى قد أحاط بها وحدد مكانها .

وهو تشبيه مفرد حسي صاغه جران العود واختار ألفاظه بعناية فقامت بالمعنى وأدته بأسلوب جميل مؤثر بادياً في ذلك تلك الدوافع النفسية المخبوءة التي تذوب حباً وشوقاً لمثل هذه المرأة في الوقت الذي بُلي شاعرُنا بالغول والسعلاة !

واللغة مستمدة من بيئة الصحراء فقد ذكر معلومات عن الأرض والنبت لا يعرفها إلا أهل تلك البيئات الذين خبروها .

ثم استمر شاعرنا في تشبيهاته فشبه ثناياها وريقها ورائحة فمها محبوبته الطيبة برائحة الخمر:

كَأَنَّ ثَناياها العِذابَ وَريقَها وَنشوَةَ فيها خالَطَتهُنَّ قَرْقَفُ

لأن من قبلها تأخذه من الرعدة والاضطراب بسبب لذة تقبيلها كمن شرب الخمر التي تسبب الرعدة .

فالعلاقة بين المشبه والمشبه به علاقة قوية نجح الشاعر من خلالها في إيصال جمال ولذة تقبيل مبسم محبوبته .

وهو تشبيه متعدد من تشبيهات الجمع الحسي حيث شبه عدة أشياء بشيء واحد ورتب ألفاظه وأخدمها لبعضها فجاء التشبيه مبهرا مدهشا ممتعاً .

ثم انتقل ليذكر أثر جمالها على من حولها وهي المرأة النافرة البعيدة عن الريب :

شَموسُ الصِبا وَالأَنسِ مَخطوفَةُ الحَشا قَتولُ الهَوى لَو كانَتِ الدارُ تُسعِفُ

فبين أن من رآها وقع في حبها ومرض بسبب ذلك لأنها متمنعة منه :

تُهينُ جَليدَ القَومِ حَتّى كَأَنَّهُ دَوٍ يَئِسَت مِنهُ العَوائِدُ مُدنَفُ

شبه من وقع في حبها ولم يستطع الوصول إليها بالمريض الذي يئس منه من يعوده ؛ فالعلاقة بين المشبه والمشبه به قوية جداً ؛ فكلاهما وقع في المرض والعلة التي لايُدرى ماسببها .كما قال المجنون :

مَتى يَشتَفي مِنكِ الفُؤادُ المُعَذَّبُ وَسَهمُ المَنايا مِن وِصالِكِ أَقرَبُ

فَبُعــــدٌ وَوَجـــــدٌ وَاِشـــتِياقٌ وَرَجفَـــةٌ		فَلا أَنـــتِ تُـــدنيني وَلا أَنـــا أَقــرَبُ
كَعُصـــفورَةٍ في كَـــفِّ طِفـــلٍ يَزُمُّهـــا		تَذوقُ حِياضَ المَوتِ وَالطِفـــلُ يَلعَـــبُ
فَلا الطِفلُ ذو عَقـــلٍ يَـــرِقُّ لِمـــا بِهـــا		وَلا الطَيرُ ذو ريـــشٍ يَطـــيرُ فَيَـــذهَبُ

ولقد صاغ جران العود هذا التشبيه المركب العقلي بألفاظ رتبها وأخدمها لبعضها لتؤدي المعنى الجميل الذي رسمه .

لقد وصف من وقع في حبها بأنه جليد قوي غير أنه ضعف أمام جمالها الفتان. وتعبيره بــ(تهين) أدت هذه الكلمة المعنى المراد بكل أبعاده فهو رجل جليد له مكانته . ونفورها منه إهانة له وهو أمام جمال فتان آسر مرض بسببه فيئست منه العوائد .

لقد رسم صورة متكاملة للمحبوبة التي يتغزل فيها ؛ فهي ميلاء الخمار (كناية عن الإغراء) وهي تشبه المهاة التي تعيش بأرض هادئة قد اطمأنت وانخفضت فنبتها ناعم طري ؛ فمحبوبته ناعمة تعطف ، وهي مع ذلك شموس الصبا أي نافرة عن الريبة وهي مخطوفة الحشا أي ضامرة البطن وهي بجمالها سوف تقتله لو دنت دارها من داره لأنه يهواها .

ورائحة فمها طيبة كرائحة الخمر التي إذا شربها الشارب أخذته القرقف وهي الرعدة . فهي بهذه الصفات الفاتنة تهين جليد القوم (وكأنه يرمز إلى نفسه) لوقوعه في حبها حتى يبدو مع أنه جليد قوي كمريض يئست منه العوائد .

ثم يأتي الشاعر بوصف فيه طرافة عندما قال :

وَلَيسَت بِـــأَدنى مِـــن صَـــبيرِ غَمامَـــةٍ		بِنَجـــدٍ عَلَيهـــا لامِـــحٌ يَتَكَشَّـــفُ

حيث لم يصرح بأنها مثل الغمامة أو أقل منها بل قال ليست بأدنى . فهي ليست تشبه السحابة البيضاء تماما وليست بأدنى منها .

"إنه يمثل نمطاً جديداً من التشبيه الذي ينحو به إلى الواقعية ، فالمعنى أنها ليست بأقل من سحاب غمامة ، والنمط المعهود للوصف أن يصرح الشاعر بأن المحبوبة إما أنها مثل المشبه به أو تفوقه ، أو أن المشبه به لا يفوقها "[1]

---

١ ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري محمد الهرفي دار المعالم الثقافية ١٤١٧هـ ص ٦١ .

وإن كنا في دراستنا البلاغية نعد هذا تشبيها ضمنيا حيث شبهها بالســحابة البيضاء التي لها بريق في إغرائها. فهو تشبيه مستنبط من فحوى النص .

يشـــبهها الرائـــي المشـــبه بيضـــة   غدا في الندى عنها الظلـيم الهجنـف

بوعساء من ذات السلاســل يلتقـــى   عليهـــا مـــن العلقـــى نبـــات مؤنـــف

فهي تشبه البيضة لصفائها ورقتها وهي بيضة بأرض سهلة من الرمل الذي أصابه المطر ، وقد نبت حولها العلقى.

وينتقل جران العود بصوره التشبيهيه ليتحدث عن لقائه بالنساء ويجعل الحديث هذه المرة على لسان تلك المرأة الجميلة التي أحبته وأحبت لقاءه واصفاً العيس في سيرها[1] :

وَقالَت لَنا وَالعيسُ[2] صُعرٌ[3] مِنَ البُـرى[4]   وَأَخفافُهـا بِالجَنـدَلِ الصُـمِّ تَقـذِفُ

وَهُـنَّ جُنـوحٌ[5] مُصـغِياتٌ[6] كَأَنَّمـا   بُراهُنَّ مِـن جَـذبِ الأَزِمَّـةِ عُلَّـفُ

حُمِدتَ لَنـا حَتّـى تَمَنّـاكَ بَعضُـنا   وَأَنتَ اِمرُؤٌ يَعـروكَ حَمـدٌ فَتُعـرَفُ

رَفيعُ العُلا في كُـلِّ شَـرقٍ وَمَغـرِبٍ   وَقَولُـكَ ذاكَ الآبِـدُ المُتَلَقَّـفُ

وَفيـكَ إِذا لاقَيتَنـا عَجرَفِيَّـةٌ   مِراراً وَمـا نَسـتيعُ مَـن يَتَعَجـرَفُ

تَميلُ بِـكَ الـدُنيا وَيَغلِبُـكَ الهَـوى   كَما مـالَ خَـوّارُ النَقـا[7] المُتَقَصِّـفُ

وَنُلقـى كَأَنّـا مَغـنَمٌ قَـد حَوَيتَـهُ   وَتَرغَبُ عَن جَزلِ العَطـاءِ وَتُسـرِفُ

فَمَوعِدُكَ الشَـطُّ الَّـذي بَـينَ أَهلِنـا   وَأَهلِكَ حَتّى تَسـمَعَ الـديكَ يَهتِـفُ

---

١ ديوان جران العود ص ١٧،١٦.

[2] العيسُ بالكسر: الإبل البيضُ يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعْيَسُ، والأنثى عَيْساءُ بيِّنة العَيَسِ. الصحاح مادة عيس

٣ موائل .

٤ واحد البرى بُرَة وهي الحلقة في أنف البعير ، وكل حلقة برة . ديوان جران العود ص ١٦ .

٥ جنوح : قد أكببن في السير . ديوان جران العود شرح كارين صادر ص ٥٥

٦ مصغيات : مائلات .المرجع نفسه ص٥٥

٧ النِّقْو والنَّقا: عَظْمُ العَضُد، وقيل: كل عظم فيه مُخٌّ، والجمع أَنقاء. والنِّقْوُ: كل عظم من قَصَب اليدين والــرجلين نِقْوٌ على حياله. الأَصمعي: الأَنْقاء كل عظم فيه مخ، وهي القَصَب، قيل في واحدها نِقْيٌ ونِقْوٌ. ورجل أَنْقى وامرأَة نَقْواء: دقيقا القَصَب.. اللسان مادة نقا .

شبه الإبل وهي تسير مائلة برؤوسها والبُرى في أنوفها بالإبل المائلة برؤوسها لترعى تمر الطلح الذي يشبه البُرى .تشبيه مركب حسي رسم به جران العود صورة جميلة مستفيداً من بيئته البدوية.في علاقة حميمية بين المشبه والمشبه به وفي نظم جميل كان له الأثر الأجمل في إبراز الصورة التي أرادها .

وينقل عن هذه المرأة التي أحبته وأحبها تشبيه أثرِ الهوى عليه وغلبتِه له بميلان الرجل الضعيف الذي قد ضعفت عظامه وتقصفت .

ثم صور حاله وفرحه عند لقائهن بفرحة الذي وجد مغنما.

وكما كان جران العود يركز على التفاصيل في ذمه للمرأة صاحبة الصفات الذميمة ؛ نجده هنا يركز على التفاصيل ليصف اضطراب قلوب المحبين عند اللقاء الخفي ، وقد امتزجت مشاعر الحب والشوق بمشاعر الخوف من افتضاح أمرهم؛ عندما يقول[1] :

فَبِتنا[2] قُعوداً وَالقُلوبُ كَأَنَّها   قَطاً شُرَّعُ[3] الأَشراكِ[4] مِمّا تَخَوَّفُ

لقد شبه جران العود قلوبهم وهي مضطربة خائفة من الفضيحة بالقطا شرع نحو الأشراك ؛ لخوفها من شيء يطاردها فاجتمع عليها خوفان ! خوف المُطارِد وخوف الأشراك .

ولقد نجح في اختيار المشبه به ؛ فقلوبهم وهم في لقائهم خائفة مترقبة ، والقطا إذا مر بمنطقة يخافها كان حذراً مترقباً ، بل ذُكر أن القطا يبتعد عن المكان الذي يتعرض فيه للخطر لفترات طويلة قد تصل لسنوات .

إنه وصف دقيق لتلك الحالة التي يعيشونها وهم في لقائهم . استطاع جران العود أن يوصل لنا من خلال توظيف التشبيه العقلي المركب الذي اختار ألفاظه بعناية فائقة ورتبها ليوصل ذلك المعنى الدقيق الذي أراد فلم

---

١ ديوان جران العود . ص ٢٠ .

٢ باتَ يفعل كذا وكذا يَبِيتُ ويَباتُ بَيتاً وبَياتاً ومَبيتاً وبَيْتُوتة أَي ظَلَّ يفعله لَيْلاً... وقال الزجاج: كل من أَدركه الليلُ فقد باتَ ... اللسان مادة بيت .

٣ يقال دواب شُرَّع أي شرعت نحو الماء . اللسان مادة شرع .

٤ .الشَّرَكُ: حبائل الصائد وكذلك ما ينصب للطير، واحدته شَرَكَة وجمعها شُرُكٌ، وهي قليلة نادرة. وشَرَكُ الصائد: حبالَته يَرْتَبِك فيها الصيد.اللسان مادة شرك . وتجمع على أشراك .أساس البلاغة مادة شرك .

يقل : فبتنا قعوداً والقلوب خائفة ؛ بل وصف قلوبهم بوصف أدق وأبلــغ فهم ليسوا خائفين فقط بل في حالة خوف وترقب .

وتشبيه القلوب والنفس بالقطا و اضطرابه في الشرك أسـلوب قـد ورد على ألسنة عدد من الشعراء ؛ فهذا عروة بن حزام [1]يقول في حاله حاله مع محبوبته عفراء :

كَـأَنَّ قَطــاةً عُلِّقَــتْ بِجَناحِهــا   على كَبِــدي مــن شِــدَّةِ الخَفَقــانِ

وهذا جرير[2] يصف قلوب الناس وهم خائفون من الحجاج :

وَخافوكَ حَتّى القَومُ تَنزو قُلــوبُهُم   نُزاءَ القَطــا اِلتَفَّــت عَلَيــهِ الحَبائِــلُ

وقول الشاعر[3] :

كَأَنَّ القَلــبَ لَيلَــةَ قيــلَ يُغــدى   بِلَيلــــى العامِرِيَّـــــةِ أَو يُـــــراحُ
قَطـــاةٌ عَزَّهـــا شَـــرَكٌ فَباتَـــت   تُجاذِبُـــهُ وَقَـــد عَلِـــقَ الجَنـــاحُ
لَها فَرخـــانِ قَـــد تُرِكـــا بِقَفـــرٍ   وَعُشُّـــــهُما تُصَـــــفِّقُهُ الرِيـــــاحُ
إِذا سَـــمِعا هُبـــوبَ الـــريحِ هَبّـــا   وَقـــالا أُمَّنـــا تَـــأتي الـــرَواحُ
فَلابِالليــل نالَــت مــا تُرَجّـــي   وَلا في الصُـــبحِ كـــانَ لَهـــا بَـــراحُ

ثم عاد جران العود ليصف حالهم في تلك الليلة فقال[1] :

---

[1] عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة: شاعر، من متيمي العرب. كان يحب ابنة عم له اسمها " عفــراء " نشأ معها في بيت واحد، لان أباه خلفه صغيرا، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهرا لا قــدرة لــه عليه، فرحل إلى عم له باليمن، وعاد، فإذا هي قد زوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحــق بهــا، فأكرمــه زوجها، فأقام أياما وودعها وانصرف، فضنى حبا، فمات قبل بلوغ حيه سنة ٣٠هـ.ودفن في وادي القرى (قــرب المدينة) له ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٢٢٦/٤)

[2] جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم:أشعر أهل عصره. ولد ومــات في اليمامــة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم – وكان هجاءا مرا – فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا. وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق وأخباره مع الشــعراء وغيرهــم كــثيرة جدا.(الأعلام ١١٨/٢،١١٩)

٣ هذه الأبيات على اختلاف بسيط في ألفاظها رويت لعدد من الشعراء ويميل الباحث إلى أنهــا لقيس بن الملوح المجنون .

وَبِتنـــا كَأَنّـــا بَيَّتَتنـــا لَطيمَـــةٌ[2] مِنَ المِسكِ أَو خَوارَةُ الـــريحِ قَرقَـــفُ

شبه حالهم وقد قضوا ليلتهم في لقاء حب وأنس ووصال بمن باتوا بمكان يعبق بالرائحة الطيبة ، فالمشبه به هو من بات بحضرة قارورة مسك أو خمر طيب الرائحة ؛ فاســتمتع طوال الليل بتلك الرائحة الجميلة التي لا تمل بل تتوق النفس لها وهي بحضرتها .

ولقد وفق جران العود في ذلك ؛ فمن بات بحضرة حبيبه قضى الليل في أمتع وأهنــأ حال ومن قضى الليل بحضرة طيب جميل الرائحة كذلك .

والطيب كلما شُم طُلب المزيدُ منه ، والحبيب كلما طال مكث حبيبه معه طلب المزيد . والطيب يلتصق ريحه بثياب الحبيب والحبيب تلتصق رائحته الطيبة بثياب حبيبه .

وهو تشبيه مركب حسي ، صاغه شاعرنا صياغة جميلة واختار ألفاظه بعناية فلم يقل كأننا معهن كمن جلس مع الطيب بل عبر بكلمة بيتتنا ليبين أنهم قضوا ليلهم في أحسن حال وأهنئه .

إن نفس جران العود الذائبة في الحب تجعله يختار كلماته لتدل على ما في نفسه من وله وحب وشوق .

ثم انطلق يصف ما تم في هذا اللقاء من سماع الحديث من تلك الأفواه العذبة التي كأنها لطيمة مسك أو قارورة خمر القرقف فهو يسمع ذلك الحديث ويسحره ويأخذ لبه[3] :

يُنازِعنَنـــا لَـــذّاً رَخيمـــاً[4] كَأَنَّـــهُ عَوائِرُ[5] مِن قَطـــرٍ حَـــداهُنَّ صَـــيِّفُ[6]

إنه كلام جميل بصوت رخيم يشبه قطرات مطر الصيف ، ولقد كان جران العـــود دقيقا كعادته في هذا التشبيه إذ شبهه بمطر الصيف الذي ينزل على أرض قد اشتاقت له

---

١ ديوان جران العود . ص ٢٠ .

٢ قارورة المسك . اللسان مادة لطم .

٣ ديوان جران العود . ص ٢٠ .

٤ الرَّخِيم: الحَسَنُ الكلام. والرَّخامةُ: لين في المَنْطِق حسن في النساء. ورَخَمَ الكلامُ والصوتُ ورَخُمَ رَخامةً، فهـــو رَخِيمٌ: لانَ وسَهُلَ.اللسان مادة رخم .

٥ العائِرُ من السِّهام: ما لا يُدْرَي رامِيهِ وكذا من الحِجَارَة. ... والجمع العَوَائِر . تاج العروس من جواهر القـــاموس مادة عور .

٦ المطر ينزل في الصيف . اللسان مادة صبف .

.وكأن جران العود يقول شوقي لكلامهن العذب كشوق الأرض في الصيف للمطـــر. حيث شبه حديث محبوبات قلبه بقطرات المطر المتفرقة التي تنفع النبت لأنها متفرقـــة لا تؤذيه بقوة تساقطها .

ولقد برع وأبدع الشاعر في اختيار المشبه به (قطرات المطر المتفرقة النازلة في الصيف) إذ حقق ما أراد بيانه ؛ فحديث محبوبات القلب حديث محبب للنفس ، والمطر في الصيف محبب للنفس ، وحديثهن حديثٌ تشتاق له الـــنفس والمطـــر في الصيف مطر تشتاق له النفس والأرض الظامئة .

وهو تشبيه مركب عقلي صاغه الشاعر صياغة حرص فيها على اختيار الكلمـــات ورتبها لكي تؤدي المعنى الذي قام في نفسه .

فلقد قام في نفسهِ المُحِبَّةِ المتيمة المعذبة المفجوعة بزوجتيه من الشوق لمحبوبات قلبـــه الكثير من المشاعر التي عبر عنها بهذه الأبيات الرقيقة .

والبيت يذكرنا بقول الراعي النميري[1] :

وَحَـــديثُها كَـــالقَطرِ يَســـمَعُهُ   راعـــي سِـــنينَ تَتابَعَـــت جَـــدبا

فَأَصاخَ يَرجـــو أَن يَكـــونَ حَيـــاً   وَيَقـــولُ مِـــن فَـــرَحٍ هَيـــا رَبّـــا

وكلا الشاعرين من نمير وهما في العصر الأموي وجران العود بدوي فلعـــل الراعـــي استفاد من جران العود في هذا البيت .

و لم يفت جران العود أن يصف كيف كان يسرع للقاء حبيبات قلبه اللاتي اســـتحق حبهن لما كان به من صفات ؛ إذ يشبّه إلمامه بهن بإلمام القطامي بالقطا وأنه أسرع منـــه حين يخطف صيدته فيقول[2] :

يُلِمّ[3] كَإِلمامِ القُطـــامي[1] بِـــا لقَطـــا   وَأَســـرَعُ مِنـــهُ لَمَّـــةً حـــينَ يَخطَـــفُ

---

[1] عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه، ولقـــب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل: كان راعي إبل، من أهل باديه البصـــرة.عاصـــر جريرا والفرزدق. وكان يفضل الفرزدق، فهجاه جرير هجاءا مرا. وهو من أصحاب " الملحمات " وسمـــاه بعـــض الرواة: حصين بن معاوية ، توفي سنة ٩٠ هـــ

٢ ديوان جران العود . ص٢٤ .

٣ ينزل . اللسان مادة لمم .

لقد تفنن جران العود في وصف لقاء المحبين ، وبرع في ذكر تفاصيله ، وما يدور في قلوبهم من لذة اللقاء ، فهاهو يتذكر طللاً ؛ له فيه لقاء مع محبوبته[2] :

وَخودٍ[3] قَـد رَأَيـتُ بِهـا رَكـولٍ ... بِرِجلَيها الـدِمَقسَ مَـعَ الحَريـرِ[4]

إِذا اِسـتَقبَلتَها[5] كَرَعَـت[6] بِفيهـا ... كُـروعَ العَسـجَدِيَّةِ[7] في الغَـديرِ[8]

كِلانـا نَسـتَميتُ إِذا اِلتَقَينـا ... وَأَبـدى الحُـبُّ خافِيَـةَ الضَـميرِ

فَتَقـتُلُني وَأَقتُلُهـا وَنَحيـا ... وَنَخلِـطُ مـا يُمَـوِّتُ بِالنُشـورِ

وَلَكِنّـا يُمَوِّتُنـا رَسـيسٌ[9] ... تَمَكَّـنَ بِـالمَوَدَّةِ في الصُـدورِ

رَشيفَ[10] الخامِساتِ[11] وَقيطَ[12] هَضبٍ[1] ... قَليـلَ المـاءِ في لَهَـبِ الحَـرورِ[2]

---

١ القُطامِيُّ: الصَّقْر، ويُفتح. وصَقر قَطام وقَطامِيٌّ وقُطامِيٌّ: لَحِمٌ، قيس يفتحون وسائرالعرب يضمون وقـد غلـب عليه اسماً، وهو مأْخوذ من القَطِم وهو المشتهي اللحْم وغيره. اللسان مادة قطم .

٢ ديوان جران العود . ص٢٤.

٣ الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً؛ وقيل: الجارية الناعمة . اللسان مادة خود .

٤ إذا مشت جرت ثيابها فضربت أذيالها برجلها .

٥ كافحتها وقبلتها . ديوان جران العود ص ٢٥ .

٦ كَرَعَ في الماء يَكْرَعُ كُرُوعاً وكَرْعاً: تناوله بفِيه من موضعه من غير أَن يشرب بكَفَّيْه ولا بإِناء، وقيـل: هـو أَن يدخل النهر ثم يشرب، وقيل: هو أَن يُصَوِّبَ رأْسَه في الماء وإِن لم يشرب. ... كَرَعَ إذا تناوَلَ الماءَ بفِيه من موضـعه كما تفعل البهائم لأَنها تدخل أَكارِعَها. اللسان مادة كرع .

٧ العَسْجَدية ركاب الملوك، وهي إِبل كانت تزين للنعمان. وقال أَبو عبيدة: العسجدية ركاب الملوك الـتي تحمـل الدِّقَّ الكثير ... اللسان مادة عسجد .

٨ الغَدِير: القطعة من الماء يُغادِرُها السيل أَي يتركها... اللسان مادة غدر .

٩ قال أَبو مالك: رَسِيسُ الحمى أَصلها؛ قال ذو الرمة:إِذا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ، لم أَجدْ رَسِيسَ الهَوَى مـن ذكـرِ مَيَّـةَ يَبْـرَحُ أَي أَثبتَه. والرَّسِيسُ: الشيءِ الثابت الذي قد لزم مكانه؛ وأَنشد: رَسِيس الهَوَى من طُـول مـا يَتَـذَكَّرُ ورسَّ الهـوى في قلبـه والسَّقَمُ في جسمه رَسّاً ورَسِيساً وأَرَسَّ: دخل وثبت. ورسُّ الحُبِّ ورَسِيسُه: بقيته وأَثره. ... اللسان مادة رسس .

١٠ الرّشْفُ: المَصُّ. وتَرَشَّفَه وارْتَشَفَه: مصَّه. والرَّشِيفُ: تَناوُلُ الماء بالشَّفَتَيْنِ، وقيل: الرَّشْفُ والرَّشِيفُ فَوْق المَصِّ... اللسان مـادة رشف.

١١ الخمس بكسر الخاء إظماء الإبلِ ....قال أَبو سَهْل الحَوْلِيُّ: الصَّحِيحُ في الخِمْسِ من أَظْمَاءِ الإِبل: أَن تَرِدَ الإِبِـلُ الماءَ يوماً فتَشْرَبهَ، ثمَّ تَرْعَى ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثمّ تَرِدَ الماءَ اليومَ الخامِسَ، فيَحْسُبُون اليومَ الأَوّلَ والآخر . تاج العروس مـادة خمس . والإبل خامسة وخوامس . اللسان مادة خمس .

١٢ الوَقِيطُ: حُفْرَةٌ في غِلَظٍ أَوْ جَبَلٍ تَجْمَعُ ماءَ المَطَرِ، وفي الصّحاح: يَجْتَمِعُ فيه ماءُ السَّمَاءِ ....تاج العروس مادة وقط .

وَلَـــيسَ بِعائِـــدٍ يَـــومُ اِلتَقَينـــا	بِـــرَوضٍ بَـــينَ مَحنِيَـــةٍ[3] وَقُـــورِ[4]
فَتَقضِـــيني مَواعِـــدَ مُنسَـــآتٍ[5]	وَأَقضِـــي مـــا عَلَـــيَّ مِـــنَ النُـــذورِ
وَأَشفي إِن خَلَـوتُ الـنَفسَ مِنـها	شِـــفاءَ الـــدَهرِ آثِـــرَ ذي أُثَـــيرِ[6]

فهو يشبه تقبيلها له إذا قبّلها بكروع العسجدية – وهي نوع من الإبل – في الغدير. ويذهب الباحث إلى أن الشاعر لا يقصد طريقة الشرب ولكن إقبال العسجدية على الغدير فمحبوبته تقبل عليه بشوق كما تقبل الإبل على الماء بشوق .لقد شبه استقبال محبوبته له إذا أراد تقبيلها بإقبال العسجدية على الغدير .

فالمشبه به العسجدية المقبلة على الغدير لتشرب ؛ ولاشك أن اختياره لهذا المشبه بـــه تحديداً له أثره القوي على الصورة ، وإن كان القارئ _البعيد عن حياة الصحراء وعلاقة البدو بالإبل _ ينفر من هذا التشبيه بداية ! ولكن إذا دققنا النظر وأعدناه وتخيلنا الناقـــة كيف تقبل على الماء ؛ وجدنا أن المشبه به في هذا البيت قام بالمعنى خير قيام ، وكان له أثره القوي على الصورة ؛ فالعلاقة بين المشبه والمشبه به قوية ؛ فالمحبوبة تقبل على حبيبها بشوق ، وكذلك الناقة تقبل على الماء بشوق ، والمحبوبة تقبل بفمها الجميل على حبيبها الذي استعد لتقبيلها ، وكذلك الناقة الظامئة تقبل على الماء بفمها في مشهد عجيب .

لقد نجح الشاعر في اختياره للمشبه به وهو اختيار نابع من لغـــة الشـــاعر وثقافتـــه المستمدة من بيئته البدوية ، والتشبيه هنا تشبيه مركب حسي صاغه شاعرنا ورتب ألفاظه ليبين ما قام في نفسه من حب وتعلق بتلك المحبوبة .

وهو تشبيه تفرد به شاعرنا فلم يُسبق إليه حسب ما وقف عليه الباحث .

---

١ الهَضْبَةُ: كلُّ جَبَلٍ خُلِقَ من صخرةٍ واحدةٍ؛ وقيل: كلُّ صخرةٍ راسيةٍ، صُلْبةٍ، ضَخْمةٍ: هَضْـبةٌ؛ وقيـل: الهَضْـبةُ والهَضْبُ الجَبَل المنْبَسِطُ، يَنْبَسِطُ على الأَرض؛ وفي التهذيب الهَضْبَةُ؛ وقيل: هو الجبلُ الطويلُ، المُمْتَنِـع، المُنْفَـرِدُ، ولا تكون إِلا في حُمْرِ الجبال، والجمع هِضابٌ، والجمع هَضْبٌ، وهِضَبٌ، وهِضابٌ... اللسان مادة هضب .

٢ الحَرُورُ: حر الشمس، وقيل:الحَرُورُ استيقاد الحرّ ولَفْحُه، وهو يكون بالنهار والليل،والسَّمُوم لا يكون إِلا بالنهار. وفي التنزيل: ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ... اللسان مادة حرر .

٣ نزلوا في محنية الوادي، وحنو الوادي، ومنحناه ومنعطفه، وفي محانيه وأحنائه . أساس البلاغة مادة حني .

٤ القارة والقور أصاغر الجبال . أساس البلاغة مادة قور .

٥ نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته . اللسان مادة نسى .

٦ افعل هذا آثرا ما وآثر ذي أثير أولا قال الحارث بن مرارة الحنظلي :

رأتني قد بللت برأس طرف طويل الشخص آثر ذي أثير . أساس البلاغة مادة أثر .

ثم شبه تلك الحالة التي تعروهما وقد التقيا لقاء المحبين الذين أضناهم الغرام بالموت .

وشبه حبه الشديد لها بقتلها له ، وشبه حبها الشديد له بقتله لها . ووصف ذلك الحب المتأصل في نفوسهم بالداء الذي يميت . وشبه هذا الحب بينهما بحالة النوق الخامسة الظامئة التي وجدت ماء قليلاً في حفرة في هضبة من الأرض والشمس قد ألهبت المكان بحرارها .

وكما تفنن جران العود في ذكر لقاء المحبين ، تفنن أيضاً في وصف المرأة التي أحبها وصورها في صور فاتنة؛فهاهو يصف إحدى محبوباته بقوله[١]:

يَزينُ أَعداءَ[٢] مَتنَيها[٣] وَلَبَّتَها[٤] — مُرَجَّلٌ مُنهَلٌ بالمِسكِ مُعلولُ[٥]

تُمِرُّهُ عَطِفَ الأَطرافِ[٦] ذا غُدَرٍ[٧] — كَأَنَّهُنَّ عناقيدُ القُرى الميلُ[٨]

هيفُ[٩] المُرَدّى[١٠] رَداحٌ في تَأَوُّدِها — مَحطوطَةُ المَتنِ وَالأَحشاءِ عُطبولُ[١١]

كَأَنَّ بَينَ تَراقيها وَلَبَّتِها — جَمراً بِهِ مِن نُجومِ اللَيلِ تَفصيلُ

تَشفي مِنَ السَلِّ وَالبِرسامِ[١] ريقَتُها — سُقمٌ لِمَن أَسقَمَت داءٌ عَقابيلُ[٢]

---

١ ديوان جران العود . ص ٣٧– ٣٩ . وهذه القصيدة نسبت لابن مقبل ، ولقحيف العقيلي ، وقال خالد : هي لحكم الخضري

٢ جوانب . اللسان مادة عدا .

٣ جانبا ظهرها . اللسان مادة متن .

٤ الَّلبة : موضع القلادة .و موضع الذبح وهي ما على الصدر . ومنه أخذه بتلابيبه . اللسان مادة لبب بتصرف .

٥ منهل بالمسك معلول : أي سقي مرة بعد مرة من العَلَل والنَّهَل . ديوان جران العود ص ٣٧ .

٦ عَطِف الأطراف : جاء في شرح ديوان جران العود لابن حبيب ص ٣٧ : أي من جعودته .

٧ الغدائر الذوائب مفردها غديرة . اللسان مادة غدر .

٨ القرى : أراد بها قرى الريف حيث تكثر كروم العنب . الميل : المائلة لامتلائها وثقلها . حاشية ديوان جران العود شرح وتحقيق كارين صادر ص ٨٨ .

٩ الهيفُ: جمع أَهْيَف وهَيْفاء، وهو الضامر البطن... والهَيَفُ، بالتحريك: رقَّة الخصر وضُمور البطن، هَيِفَ هَيَفاً وهافَ هَيْفاً، فهو أَهيف، ولغة تميم: هاف يَهافُ هَيْفاً، وامرأَة هَيْفاء وقوم هِيف. وفرس هَيْفاء: ضامرة. اللسان مادة هيف .

١٠ ويقال للوِشاحِ رداءٌ. وقد ترَدَّت الجارية إذا توَشَّحَت؛ ... وامرأَة هَيْفاءُ المُرَدَّى أَي ضامِرَةُ موضعِ الوِشاحِ. اللسان مادة ردي .

١١ عطبول طويلة العنق ويروى (مخطوفةٌ منتهى الأحشاء عطبول) أي دقيقة الخصر ، والمردى : حيث يقع رداؤها منها . يقول : ذلك منها ضامر... رداح : عظيمة العجز... تأودها : تثنيها ، محطوطة المتن ، قال الأصمعي : ملساء المتن ، كأنها حُطت بالمِحَط، وهي خشبة يسطَّر بها الخرَّازون .يقول : فهي مصقولة الجلد – يبرق جلدها – والحشا : مابين ضِلَع الخِلْف التي في آخر الجنب إلى الورك . شرح ديوان جران العود لابن حبيب ص ٣٧ .

تَشفي الصَدى أَينَما مالَ الضَجيعُ بِها ... بَعدَ الكَرى ريقَةٌ مِنها وَتَقبيلُ

يَصبو إِلَيها وَلَو كانوا عَلى عَجَلٍ ... بالشَعبِ مِن مَكَّةَ الشيبُ المَثاكيلُ

تَسبي القُلوبَ فَمِن زُوّارِها دَنِفٌ ... يَعتَدُّ آخِرَ دُنياهُ وَمَقتولُ

كَأَنَّ ضَحكَتَها يَوماً إِذا اِبتَسَمَت ... بَرقٌ سَحائِبُهُ غُرٌّ زَهاليلُ[٣]

كَأَنَّهُ زَهَرٌ جاءَ الجُناةُ بِهِ ... مُستَطرَفٌ[٤] طَيِّبُ الأَرواحِ مَطلولُ[٥]

كَأَنَّها حينَ يَنضو[٦] الدِرعَ[٧] مَفصِلُها[٨] ... سَبيكَةٌ[٩] لَم تُنَقِّصها المَثاقيلُ

أَو مُزنَةٌ كَشَّفَت عَنها الصَبا رَهَجاً[١٠] ... حَتّى بَدا رَيِّقٌ[١١] مِنها وَتَكليلُ[١٢]

أَو بَيضَةٌ بَينَ أَجمادٍ يُقَلِّبُها ... بِالمَنكِبَينِ سُخامُ الزِفِّ إِجفيلُ[١]

---

١ البِرسامُ: المُومُ. ويقال لهذه العِلَّة البِرسامُ، وكأَنه معرَّب، وبر: هو الصدر، وسَام: من أَسماء الموت، وقيل: معناه الابن، والأَول أَصحُّ لأن العلَّة إذا كانت في الرأْس يقال سِرْسام، وسِرْ هو الرأْس، والمُبَلْسَم والمُبَرْسَم واحد. الجوهري: البِرْسامُ علَّة معروفة، وقد بُرْسِمَ الرجل، فهو مُبَرْسَمٌ. اللسان . مادة برسم . وجاء في حاشية ديوان جران العود البرسام : التهاب الصدر .

٢ العَقَابيلُ: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وقيل: هو الذي يخرج على الشَّفَتَينِ غِبَّ الحُمَّى، الواحدة منهما جميعاً عُقْبُولة وعُقْبُول، والجمع العَقَابيل... اللسان مادة عقبل .

٣ الزَّهَل: امْلِيسَاسُ الشيء وبياضُه، زَهِل زَهَلاً. والزُّهْلول: الأَمْلَس من كل شيء . اللسان مادة زهل .

٤ المستطرف المعجب المستحدث . اللسان مادة طرف .

٥ الأرواح جمع ريح أي طيب الريح . المطلول الذي قد بلله الطل ، وهو الندى . حاشية ديوان جران العود شرح وتحقيق كارين صادر ص ٩٠ .

٦ نَضا ثوبَه عنه نَضْواً: خَلَعه وأَلقاه عنه. ونَضَوْت ثِيابي عني إذا أَلقَيْتَها عنك. ونَضاه من ثوبه: جَرَّدَه ... اللسان مادة نضا .

٧ درع المرأة قميصها ،وهو أَيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها، وكلاهما مذكر، وقد يؤنثان... اللسان مادة درع .

٨ والمَفْصِل: واحد مَفاصِل الأَعضاء. والانْفصال: مطاوِع فصَل. والمَفْصِل: كل ملتقى عظمين من الجسد. وفي حديث النخعي: في كل مَفْصِل من الإِنسان ثُلُث دِيَة الإِصبع؛ يريد مَفْصِل الأَصابع وهو ما بين كل أَنْمُلَتين ... اللسان مادة فصل .

٩ سبيكة قطعة فضة . اللسان مادة سبك .

١٠ الرَّهْجُ والرَّهَجُ: الغبار. .. اللسان مادة رهج .

١١ رَيِّقُ المطر ناحِيته وطرفهُ؛ يقال: كان رَيِّقُهُ علينا وحِمِرُّه على بني فلان؛ وحِمِرُّه: مُعظَمُه، ويقال: رَيِّق المطر أَوَّل شُؤْبُوبه. اللسان مادة ريق .

١٢ وانكلّ السحاب واكتلّ: ضحك بالبرق. أساس البلاغة مادة كلل .

يَخشـــى النَــدى فَيُوَلّيهـــا مَقَاتِلَـــهُ   حَتّى يُوافيَ قَـــرنَ الشَـــمسِ تَرجيـــلُ[2]

رسم شاعرنا لمحبوبته صوراً تشبيهية غاية في الروعة والجمال ، فهو ينتقل من صـــورة لصورة ، ومن تشبيه لتشبيه .

تُمِرُّهُ عَطِـفَ الأَطـرافِ ذا غُـدَرٍ   كَــأَنَّهُنَّ عناقيـــدُ القُـــرى الميـــلُ

فقد شبه شعرها وقد تعطفت أطرافه بعناقيد العنب التي امتلأت بـــالثمر فتمايلت لثقلها . فالمشبه به عناقيد العنب التي امـــتلأت بـــالثمر واختيـــار شاعرنا لهذا المشبه به له أثره القوي على الصورة التشبيهية ؛ فالعلاقة بين المشبه والمشبه به قوية ؛ فالشعر جميل المظهر وعناقيد العنب الممتلئة جميلة المظهر ، والشعر الجميل قد تعطفت أطرافه بشكل مستملح ، وعناقيد العنب لها أطرافها المميزة ، والشعر الجميل بدا حسن المظهر قد أُكرم بالدهان فبدا جميلاً كريماً وكذلك عناقيد العنب .

وهو تشبيه مفرد حسي اختار شاعرنا ألفاظه بعناية فائقة فقام بالمعنى خير قيام ؛ فهو لم يقل شعرها كعناقيد العنب بل حدد هذه العناقيد بأنها عناقيد ممتلئة من عناقيـــد القـــرى الريفية التي تكثر فيها كروم العنب .

ونجد نفس جران العود المحبة هنا شبهت شعر المحبوبة بعناقيد العنب ، وعندما ذكـــر شعر زوجته التي أبغضها وفجع بها شبه شعرها بالحيات السود .

وتشبيه شعر المرأة الجميلة بعناقيد العنب قد ورد على ألسنة عدد من الشعراء:

فمن ذلك قول معن بن أوس المزني[3] :

---

١ قال الأصمعي : الجَمَد من الصَّمَد ، والجميع : أجماد وجِماد ، والصمد : المكان الغليظ فيه صـــخور لا يبلـــغ أن يكون جبلاً ؛ وجمع الصمد : صماد . وسُخام : لين ، وهو من السواد ... وإجفيل : يجفل إذا ذعر أي يســـرع – يعني الظليم – . شرح ابن حبيب لديوان جران العود ص ٣٩ .

٢ ترجيل : ارتفاع ، يجعل صدره يليها وبطنه لئلا يصيبها مطر . شرح ابن حبيب لديوان جـــران العـــود ص ٣٩ . والمقاتل المواضع التي إذا أصيبت منه قتلته ... اللسان مادة قتل .

[3] معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. له مـــدائح في جماعـــة مـــن الصحابة. رحل إلى الشام والبصرة. وكف بصره في أواخر أيامه. وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس و عبد الله بـــن

وَوَحفٍ يُثَنّي في العِقــاصِ كَأَنَّــهُ عَلَيهــا إِذا دَنَّــت غَــدائِرَها كَــرمُ

و تميم بن أبيّ[1] يقول في محبوبته دهماء:

وأَسْــحَمَ مَجَّــاجَ الــدِّهَانِ كَأَنَّــهُ عَنَاقِيــدُ مِــنْ كَــرْمٍ دَنَــا فَتَهَصَّــرَا

ويقول الصمة القشيري[2] :

وداجٍ على اللبــاتِ وحــفٌ كأنــه عناقيدُ جــونٍ مــن كــرومٍ تــدلتِ

وجريرٌ يقول :

تَعُلُّ ذَكِيَّ المِســكِ وَحفــاً كَأَنَّــهُ عَناقيــدُ ميــلٌ لَــم يَنَلــهُنَّ قــاطِفُ

وعمر بن أبي ربيعة[3] يقول :

سَبَتهُ بوَحــفٍ في العِقــاصِ كَأَنَّــهُ عَناقيدُ دَلّاهــا مِــنَ الكَــرمِ قــاطِفُ

و كُثَيِّر[4] عزَّة يقول :

جعفر بن أبى طالب فيبالغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب. وكان معاوية يفضله ويقول: (أشــعر أهــل الجاهلية زهير بن أبى سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس) وهو صاحب لامية العجم التي أولها: (لعمرك ما أدري، وأني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول) مات في المدينة سنة ٦٤ هــ (الأعلام ٢٧٣/٧)

[1] تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب: شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأســلم، فكان يبكي أهل الجاهلية.عاش نيفا ومئة سنة.وعد في المخضرمين.وكان يهاجي النجاشي الشاعر.توفي بعد ٣٧ هــ (الأعلام ٨٧/٢) .

[2] الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر: شاعر غزل بــدوي. مــن شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتيمين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام. ثم خرج غازيا يريد بــلاد الديلم، فمات في طبرستان . وهو صاحب الأبيات التي منها . (قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ، وقل لنجد عنــدنا أن يودعا) توفي نحو ٩٥ هــ (الأعلام ٢٠٩/٣).

[3] عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. و لم يكن في قريش أشعر منه.ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب سنة ٢٣هــ، فسمي باسمه.وكان يفد علــى عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن، فنفــاه إلى " دهلك " ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا.سنة٩٣ هــ (الأعلام ٥٢/٥) .

[4] كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامتــه بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به . وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له " ابن أبي جمعة " و " كثير عزة " و " الملحي " نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته،

وَتُدني عَلى المَتـــنَينِ وَحفـــاً كَأَنَّـــهُ   عَناقيـــدُ كَـــرمٍ قَـــد تَـــدَلّى فَأَنعَمـــا

وبجنون ليلى يقول :

وَأَثلاثُهـــا العُليـــا كَـــأَنَّ فُروعَهـــا   عَناقيدُ تُغـــذى بِالـــدِهانِ وَبِالغِســـلِ

وشبه جران العود تلك العقود التي تزين صدر محبوبته بالجمر الذي يشبه نجوم الليل .

كَـــأَنَّ بَـــينَ تَراقيهـــا وَلَبَّتِهـــا   جَمراً بِهِ مِن نُجـــومِ اللَيـــلِ تَفصـــيلُ

وضحكتها تشبه البرق الذي يلمع لأنها إذا ضحكت بانت أسنانها الجميلة التي تشبه الزهر الذي جاء به الجناة وهو طيب الريح مبلول بماء المطر.

كَأَنَّ ضَحكَتَها يَومـــاً إِذا اِبتَسَـــمَت   بَـــرقٌ سَـــحائِبُهُ غُـــرٌّ زَهاليـــلُ

كَأَنَّـــهُ زَهَـــرٌ جـــاءَ الجُنـــاةُ بِـــهِ   مُستَطرَفٌ طَيِّـــبُ الأَرواحِ مَطلـــولُ

ثم توغل في التشبيه ليشبه جسمها حين تزيل القميص عنه بالفضة الخالصة الـــتي لم تنقصها الموازين لمخالطة شيء غير الفضة لها فهي فضة خالصة شديدة البياض .

كَأَنَّها حينَ يَنضو الـــدِرعَ مَفصِـــلُها   سَـــبيكَةٌ لَـــم تُنَقِّصـــها المَثاقيـــلُ

وشبهها بسحابة بيضاء أزالت الصبا عنها الغبار فأمطرت مطرا طيبا وأبرقت برقـــا جمـــيلا . وكأنه ذهب إلى أبعد من المعنى الظاهري فقد شبه ريقها بالمطر وتبسمها بالبرق .

أَو مُزنَةٌ كَشَّفَت عَنها الصَبا رَهَجـــاً   حَتّـــى بَـــدا رَيِّـــقٌ مِنـــها وَتَكليـــلُ

ثم شبهها أيضاً ببيضة بيضاء ملساء يقلبها الظليم بريشه النـــاعم علـــى أرض صخرية ويحميها من ماء المطر . فكيف سيكون جمـــال منظـــر تلـــك البيضة التي لقيت كل هذه العناية !

أَو بَيضَـــةٌ بَـــينَ أَجمـــادٍ يُقَلِّبُهـــا   بِـــالمَنكِبَينِ سُـــخامُ الـــزِفِّ إِجفيـــلُ

يَخشـــى النَـــدى فَيُوَلّيهـــا مَقاتِلَـــهُ   حَتّى يُوافيَ قَـــرنَ الشَـــمسِ تَرجيـــلُ

قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدا. أخباره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه . توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـــ (الأعلام ٥/٢١٩) .

وكما تعودنا من جران العود إبداعه في تصوير خلجات نفوس المحبين ؛ ينتقل بعد هذه اللوحة المليئة بالتشبيهات المتوالية لمحبوبته ليرسم لها لوحة فيها بيان مشاعرها وهي حريصة على لقائه ، مع خوفها من افتضاح أمرها؛ليشبهها بنعجة من بقر الوحش ، تتوق نفسها لتكون مع صواحبها في سيرهن ومرعاهن ، وهي في الوقت نفسه خائفة على صغيرها من الذئب .

ولقد رسم لوحة حية مليئة بالأحداث ليصور خلجات قلب محبوبته فقال[1] :

أَو نَعجَةٌ[2] مِن إِراخِ[3] الرَملِ أَخذَلَها   عَن إِلفِها واضِحُ الخَدَّينِ مَكحولُ
بِشُقَّةٍ[4] مِن نَقا العَزّافِ[5] يَسكُنُها   جِنٌّ الصَريمَةِ[6] وَالعِينُ المَطافيلُ[1]

١ ديوان جران العود . ص ٤٠ – ٤٢ .

٢ النَّعْجَة: الأُنثى من الضأْن والظِّباءِ والبقرِ الوَحْشِيّ والشَّاءِ الجَبَليّ، والجمع نِعاجٌ ونَعَجات، والعربُ تَكْني بالنعجة والشاة عن المرأَة... ونِعاجُ الرَّمْلِ: هي البَقَرُ... اللسان مادة نعج .

٣ الليث: والأَرْخُ والإِرْخُ والأُرْخِيُّ البقر، وخص بعضهم به الفَتِيّ منها، والجمع آراخٌ وإِراخ، والأُنثى أَرْخَة وإِرْخَة، والجمع إِراخٌ لا غير. والأَرْخُ: الأُنثى من البقر البِكْرُ التي لم يَنْزُ عليها الثيران؛ قال ابن مقبل:
أَو نعجة من إِراخ الرملِ أَخْذَلها،   عن إِلْفِها، واضِحُ الخَدَّينِ مَكْحولُ
قال ابن بري: هذا البيت يقوي قول من يقول إِن الأَرخ الفتية، بكراً كانت أَو غير بكر، أَلاتراه قد جعل لها ولداً بقوله واضح الخَدّين مكحول؟ اللسان مادة . ارخ .

٤ الشقيقة أرض صلبة بين رملتين . أساس البلاغة . مادة شقق

٥ العزَّافُ: جبَل من جبال الدَّهْناء.ورمل لبني سعد صفة غالبة مشتق من ذلك ويسمى أَبْرَقَ العَزَّاف. اللسان . مادة عزف . والعَزِيفُ: صوت الرِّمال إذا هَبَّت بها الرِّياح. وعَزْفُ الرِّياح: أَصواتها. أَعزَفَ: سمع عَزِيفَ الرِّياح والرِّمال. وعَزِيفُ الرياحِ: ما يسمع من دوِيِّها. والعَزْفُ والعَزِيفُ: صوت في الرمل لا يُدْرَى ما هو، وقيل: هو وُقوعُ بعضِه على بعض. ورمل عازِف وعَزّاف: مُصوِّت،والعرب تجعل العَزِيف أَصوات الجِنّ؛ وفي ذلك يقول قائلهم: وإِني لأَجْتابُ الفَلاةَ، وبَينها   عَوازِفُ جِنّانٍ، وهامٌ صَواخِدُ
وقيل: هو صوت يسمع بالليل كالطبل، وقيل: هو صوت الرِّياح في الجوِّ فتَوهَّمَه أَهل البادية صوتَ الجنّ. المصدر السابق .

٦ الرملة المنفردة . ديوان جران العود شرح ابن حبيب ص. ٤٠ .

قالَت لَهُا النَفسُ كوني عِنـــدَ مَولِـــدِهِ ... إنَّ المُسَـــيكينَ إن جـــاوَزتِ مَـــأكولُ

فَالقَلـــبُ يُعـــنى بِروعـــاتٍ تُفَزِّعَـــهُ ... وَاللَحمُ مِن شِدَّةِ الإِشـــفاقِ مَخلـــولُ

تَعتـــادُهُ بِفُـــؤادٍ غَـــيرِ مُقتَســـمٍ ... وَدِرَّةٍ لَـــم تَخَوَّنَهـــا الأَحاليـــلُ[2]

حَتّى اِحتَوى بِكرَها بِـــالجَوِّ مُطَّـــرِدٌ ... سَمَعمَعٌ أَهرتُ الشِـــدقَينِ زُهلـــولُ[3]

شَدَّ المَماضِغَ مِنـــهُ كُـــلَّ مُنصَـــرَفٍ ... مِن جانِبَيـــهِ وَفي الخُرطـــومِ تَســـهيلُ[4]

لَم يَبقَ مِن زَغَبٍ طارَ النَســـيلُ بِـــهِ ... عَلـــى قَـــرا مَتنِـــهِ إِلّـــا شَـــماليلُ[5]

كَأَنَّمـــا بَـــينَ عَينَيـــهِ وَزُبرَتِـــهِ ... مِن صَبغِهِ في دِمـــاءِ القَـــومِ مِنـــديلُ[6]

كَالرُمحِ أَرقَلَ فِي الكَفَّينِ وَاِطَّـــرَدَت ... مِنـــهُ القَنـــاةُ وَفيهـــا لَهـــذَمٌ غـــولُ[7]

يَطـــوي المَفـــاوِزَ غيطانـــاً وَمَنهَلُـــهُ ... مِن قُلَّةِ الحَـــزنِ أَحـــواضٌ عَـــداميلُ[8]

لَمّا دَعـــا الـــدَعوَةَ الأولى فَأَسمَعَهـــا ... وَدونَـــهُ شُـــقَّةٌ مـــيلانِ أَو ميـــلُ[9]

كادَ اللُعاعُ مِنَ الحَـــوذانِ يَســـحَطُها ... وَرِجـــرِجٌ بَـــينَ لَحيَيهـــا خَناطيـــلُ[1]

---

١ العين : جمع عيناء وهي واسعة العين مع حسن والمطافيل جمع مطفل وهي ذات الطفل ديوان جران العود شـــرح ابن حبيب . ص ٤٠

٢ تعتاده أي تلم بولدها . غير مقتسم : أي لا هم لها غيره ، لم تخونها : لم تنقصها ؛ واحد الأحاليل : إحليل وهـــو مخرج اللبن ، يقول : لم تحلب و لم ترضعها و لم تنقص لبنها . ديوان جران العود شرح ابن حبيب . ص ٤٠ .

٣ احتوى : اختطف . والجو : ما اطمأن من الأرض . وسمعمع : خفيف . وأهرت الشدقين : واســـع الشـــدقين . وزهلول : خفيف . المصدر السابق ص ٤٠ .

٤ يقول : أخذ ولدها فشد مماضغه عليه. كل منصرف أي كل ناحية . وفي خرطوم الذئب تســـهيل : أي طـــول . المصدر السابق . ص ٤٠

٥ الزغب : أول ما يبدو من الشعر والريش . والنسيل : مايسقط من الريش ، والقرا: الظهر . والمتن : ما ظهـــر من كل شيء وهو هنا يصف الذئب . ديوان جران العود شرح ابن حبيب ص ٤٠ . بتصرف .

٦ الزبرة : الشعر المجتمع على الكتف ، من صبغه : من غمسه في الدماء بأكل أوبكر ع ، منديل : مما عليه من الدم . أي كأن عليه منيدل ملطخ بالدم . ديوان جران العود . ص ٤١ . بتصرف

٧ أرقل : اضطرب ، اطردت : تتابعت حركته ، اللهذم : السنان الحاد ، غول : يغتال كل من ظفر بـــه . ديـــوان جران العود . ص ٤١ بتصرف .

٨ المفاوز جمع مفازة وهي المهلكة . اللسان مادة فوز . غيطان : ما اطمأن من الأرض ، والمنهل : موضع الماء وقُلـــة الحزن : أعلى الحزن ، عداميل : الواحد عدملي وهو القديم . ديوان جران العود . ص ٤١ بتصرف .

٩ أي لما رفع صوته بالعواء وسمعته أنثى بقر الوحش وهو قريب ليس بينها وبينه إلا مسافة مـــيلان أو ميـــل . وقـــد يكون المقصود صغيرها لما دعاها بصوته وهو بعيد عنها .

تُذري الخُزامى بِأَظلافٍ مُخَذرَفَةٍ وَوَقعُهُنَّ إذا وَقَّعنَ تَحليلُ[2]
حَتّى أَتَت مَربِضَ المِسكينِ تَبحَثُهُ وَحَولَها قِطَعٌ مِنها رَعابيلُ[3]
بَحثَ الكَعابِ لِقُلبٍ في مَلاعِبِها وَفي اليَدَينِ مِنَ الحِنّاءِ تَفصيلُ[4]

إننا ونحن نقرأ هذه الأبيات ، نعيش جو الصراع الذي يدور في قلب تلك الحسناء المحبة ؛ التي تعلق قلبها بجران العود ، وهي في الوقت ذاته خائفة من الفضيحة .

إن حالها يشبه حال نعجة من بقر الوحش لها ولد صغير قد تركته في شقيقة بين كثبان الرمال العالية التي تصدر صوتاً كالعزف عندما ينهال رملها على بعضه حتى ظُن أن الجن تعزف فيه ، وهذا المكان أيضاً ناءٍ عن العيون لذا كان قلق هذه الأنثى على وليدها أكثر وأكثر .

فهي تتمنى اللحاق بصويحباتها ، ونفسها تصارعها في البقاء مع وليدها لئلا يأكله الذئب .

ثم يستمر جران العود ليزيد من بيان تلك المعاناة التي تعيشها عشيقته فيكمل الصورة التي بيَّن فيها أن تلك النعجة سمعت صوت عواء الذئب وصياح وليدها فرجعت فإذا الذئب قد أكله و لم تجد إلا أشلاء جسمه

---

١ اللعاع : بقل في أول ما يبدو رقيق ثم يغلظ ، يسحطها : يذبحها ويقتلها ، أي أنها كانت ترعى فلما علمت أن الذئب أصاب ولدها كادت تقضي بالحوذان من الحزن على ولدها ، والرجرج : اللعاب يترجرج أي يذهب ويجيء ، خناطيل : قطع متفرقة . المصدر السابق . ص ٤٢ بتصرف

٢ ...قال الأَزهري: وأَصل هذا كله من تحليل اليمين وهو أَن يحلف الرجل ثم يستثني استثناء متصلاً باليمين غير منفصل عنها، يقال: آلى فلان أَلِيَّة لم يَتَحَلَّل فيها أَي لم يَسْتَثْنِ ثم جعل ذلك مثلاً للتقليل؛ ومنه قول كعب بن زهير: تَخْدِي على يَسَراتٍ، وهي لاحقة بأَرْبَعٍ، وَقْعُهُنَّ الأَرضَ تَحْلِيل
وفي حواشي ابن بري: تَخْدِي على يَسَرات، وهي لاحقة ذَوَابل، وَقْعُهُنَّ الأَرضَ تَحْلِيل
أَي قليلكما يحلف الإِنسان على الشيء أَن يفعله فيفعل منه اليسير يُحَلِّل به يَمِينه؛ وقال الجوهري: يريد وَقْعَ مَناسِم الناقة على الأَرض من غير مبالغة... اللسان مادة حلل.

٣ قطع متناثرة . اللسان مادة رعبل .

٤ الكعاب التي كعب ثدياها والقُلب : السوار ، تفصيل أي خضبت مكانا وبقي آخر .

مبعثرة أخذت تبحث فيها بحثَ الكَعاب عن سوار ضاع منها في مواضع لعبها .

وشبه حوافر النعجة والدم قد خضبها بيد الكعاب التي تخضبت بالحناء .

لقد استعان جران العود بالمعادل الموضوعي(نعجة من بقر الوحش) الذي اختاره بعناية فائقة ليصور لنا معاناة حبيبته ، وتشوقها للقائه مع تخوفها من افتضاح أمرها .

فجعل من يقرأ هذه الأبيات يعيش معهما ، ويتعاطف معهما ، ويدرك معاناتهما .

وقد برز في هذه الصورة الجميلة اعتداد جران العود بنفسه ؛ إذ جعل حبيبته تتعلق به هذا التعلق الذي عاشت بسببه هذه المعاناة .

وننتقل إلى صورة أخرى وصف فيها شاعرنا المرأة المحبوبة بقوله[١] :

وَفي الحَيِّ الَّذينَ رَأَيتُ خَودٌ[٢] شَموسُ الأُنسِ آنِسَةٌ نَوارُ[٣]

بَرودُ[٤] العارِضَينِ[٥] كَأَنَّ فاها بُعَيدَ النَومِ عاتِقَةٌ عُقارُ[٦]

إِذا اِنخَضَدَ[٧] الوِسادُ بِها فَمالَت مَميلاً فَهوَ مَوتٌ أَو خِطارُ[٨]

تَرُدُّ بِفَترَةٍ عَضُدَيكَ عَنها إِذا اِعتَنَقَت وَمالَ بِها اِنهِصارُ[٩]

يَكادُ الزَوجُ يَشرَبُها[١٠] إِذا ما تَلَقّاها بِنَشوَتِها[١١] اِنبِهارُ[١]

---

١ ديوان جران العود . ص ٤٥ ، ٤٦ .

٢ الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً؛ وقيل: الجارية الناعمة . اللسان مادة خود .

٣ المرأَة النَّفُور من الريبة، والجمع نُورٌ. اللسان مادة نور .

٤ البَرودُ: البارِدُ. وقال الشاعر: (بَرودُ الثَنايا واضِحُ الثَغْرِ أَشْنَبُ) الصحاح مادة برد .

٥ ... أبو زيد : العوارض : ثمانية ، في كل شق أربعة ؛ والعرب تسمي الضواحك : العوارض . ديوان جران العود ص ٤٥

٦ عاتقة : عُتِّقت . ديوان جران العود ص ٤٥ .

٧ انثنى . أساس البلاغة مادة خضد .

٨ خطار : شبيه بالموت . ديوان جران العود ص ٤٥ وجاء في تاج العروس من جواهر القاموس : ...على خَطَرٍ عَظِيم، أَي إِشْراف على شَفَا هَلَكَةٍ. ورَكِبُوا الأَخْطَارَ. الخَطَرُ في الأَصل: السَّبَقُ يُتَرَاهَنُ عَلَيْهِ، ثم استُعِير للشَّرَف والمَزِيّة،وجمعه خِطَارٌ بالكَسْر، وجج، أَي جَمْع الجَمْع أَخْطَارٌ.

٩ فترة : سكون . انهصار : انثناء فهي ليست بيابسة . ديوان جران العود ص ٤٥ .

١٠ يدخلها في جوفه من حبها وهو تعبير مجازي .

١١ النشوة : الريح الطيبة . اللسان مادة نشا .

شَـــميماً تُنشَـــرُ الأَحشـــاءُ مِنـــهُ	وَحُبّـــاً لا يُبـــاعُ وَلا يُعـــارُ[2]
تَرى مِنها اِبنَ عَمِّكَ حـــينَ يُضـــحي	نَقِـــيَّ اللَـــونِ لَـــيسَ بِـــهِ غُبـــارُ
كَوَقفِ العاجِ مَـسَّ ذَكِـيَّ مِســكٍ	تَجيءُ بِـــهِ مِـــنَ الـــيَمَنِ التِجـــارُ[3]
إِذا نـــادى الُمنـــادي بـــاتَ يَبكـــي	حِذارَ الصُـــبحِ لَـــو نَفَـــعَ الحِـــذارُ
وَوَدَّ اللَيـــلُ زيـــدَ عَلَيـــهِ لَيـــلٌ	وَلَـــم يُخلَـــق لَـــهُ أَبَـــداً نَهـــارُ
يَـــرُدُّ تَـــنَفُّسَ الصُـــعَداءِ حَتّـــى	يَكـــونَ مَـــعَ الـــوَتينِ لَـــهُ قَـــرارُ[4]
كَـــأَنَّ سَـــبيكَةً صَـــفراءَ شـــيفَت	عَلَيهـــا ثُـــمَّ ليـــثَ بِهـــا الخِمـــارُ[5]
يَبيـــتُ ضَـــجيعُها بِمَكـــانِ دَلٍّ	وَمِلـــحٍ مالِدَرَّتِـــهِ غِـــرارُ[6]

وقد زين جران العود هذه الأبيات بتشبيهاته الدقيقة الجميلة المعبرة ؛ ففم هذه المرأة الجميلة التي أحبها له رائحة حلوة حتى بعيد النوم الوقت الذي تتغير فيه رائحة الأفواه .

وشبه رائحة فمها بالخمر الجيد الذي لازم إناءه مدة طويلة فهو خمر معتق طيب الرائحة .

وهي ذات جسم لين أبيض كوقف العاج في لينه .ووجهها يشبه الذهب المجلو .

---

١ البُهْرُ: الغلبة. وبَهَرَهُ يَبْهَرُهُ بَهْراً: قَهَرَهُ وعلاه وغلبه. وبَهَرَتْ فُلانةُ النساء: غلبتهن حُسْناً. اللسان مادة بهر ، فيكون المعنى أن زوجها يكاد يشربها حبا لها إذا اقبل عليها وقد انبعثت منها رائحتها الطيبة وغلبت وانتشرت في أرجاء المكان .

٢ شميماً : رائحة طيبة وقد يكون معنى البيت والذي قبله أن زوجها إذا أقبل عليها يكاد يشربها من حبه لها وهو يعبر عن ذلك بشمها وحبه الذي لا يباع ولا يعار .

٣ كوقف العاج في لينه ، والوقف : السوار . يقول : يظل ليِّن البدن طيب الريح . ديوان جران العود ص ٤٦ .

٤ الصعداء تنفس طويل من هم أو تعب . فهو يتنفس طويلا حتى يستقر نفسه في القلب ، والوتين عرق في القلب كأنه قصبة ، ويقال هو عرق مستبطن بالقلب يسقى كل عرق في الجسد . ديوان جران العود ص ٤٦ .

٥ وجهها يبرق كأنه الذهب ، لِيث : أدير ، والاسم اللوث ، شيفت : جليت . المرجع السابق ص ٤٦ .

٦ مكان دل وملح أي أنها ذات دلال وغنج ووجه وشكل مليح ، وغرار نقصان . أخذه من غرار الناقة ، يقال : غارت الناقة تغار غراراً إذا رفعت لبنها . المرجع السابق ص ٤٦ . بتصرف .

ومن طريف تشبيهات جران العود أنه شبه الظبية بمحبوبته على خـــلاف الغالب في تشبيهات شعراء الغزل وذلك في قوله :

أَيا شِبهَ لَيلى جادَكِ الغَيـــثُ وَانبَـــرى لَكِ الرُشدُ وَاخضَرَّت عَلَيكِ المَراتِـــعُ

ونجد أن قيس بن الملوح استعمل هذا الأسلوب كثيرا مثل قوله[1] :

أَلا يـــــا شِـــبهَ لَيلـــى لا تُراعـــي وَلا تَنسَـــــلَّ عَـــــن وَردِ الـــتِلاعِ

وقوله :

أَيا شِـــبهَ لَيلـــى إِنَّ لَيلـــى مَريضَـــةٌ وَأَنـــتَ صَـــحيحٌ إِنَّ ذا لَمُحـــالُ

وقوله :

أَيـــا شِـــبهَ لَيلـــى لا تُراعـــي فَـــإِنَّني لَكِ اليَومَ مِن بَينِ الوُحـــوشِ صَـــديقُ

وَيا شِبهَ لَيلى أَقصِـــرِ الخَطـــوَ إِنَّـــني بِقُربِــــكِ إِن ســـــاعَفتِني لَخَليـــقُ

وَيـــا شِـــبهَ لَيلـــى رُدَّ قَلـــبي فَإِنَّـــهُ لَـــهُ خَفَقـــانٌ دائِـــمٌ وَبُـــروقُ

وَيا شِبهَها أَذكَرتَ مَن لَـــيسَ ناسِـــياً وَأَشـــعَلتَ نيرانـــاً لَهُـــنَّ حَريـــقُ

وَيا شِبهَ لَيلـــى لَـــو تَلَبَّثـــتَ ســـاعَةً لَعَـــلَّ فُـــؤادي مِـــن جَـــواهُ يُفيـــقُ

وَيا شِبهَ لَيلـــى لَـــن تَـــزالَ بِرَوضَـــةٍ عَلَيـــكَ سَـــحابٌ دائِـــمٌ وَبُـــروقُ

ويصور جران العود المرأة المحبوبة في لوحة شعرية أخرى بقوله[2] :

سَقياً لَـــزَورِكَ مِـــن زَورٍ أَتـــاكَ بِـــهِ حَديثُ نَفسِكَ عَنهُ وَهـــوَ مَشـــغولُ[3]

يَختَصُّني دونَ أَصحابي وَقَـــد هَجَعـــوا وَاللَيـــلُ مُجفِلَـــةٌ أَعجـــازُهُ ميـــلُ[1]

---

١ جميع الأبيات التي ذكرت لقيس من ديوان قيس بن الملوح ، رواية أبي بكر الـــوالبي ، دراســـة وتعليـــق يســـري عبدالغني ، دار الكتب العلمية .بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٢ ديوان جران العود ص ٥٥ ، ٥٦ .

٣ الزور: الزائر. يقول : نمت وأنت تحدث نفسك بها ، فطرقك خيالها ؛ وإنما أرادها نفسها ، أي هي عنك في شغل ولا تعلم أن خيالها طرقك . المصدر السابق ص ٥٥ .

أَهالِكٌ أَنتَ إِن مَكتومَةُ اِغتَرَبَت | أَم أَنتَ مِن مُستَسَرِّ الحُبِّ مَخبولُ
بالنَفسِ مَن هُوَ يَأتينا وَنَذكُرُهُ | فَلا هَواهُ وَلا ذو الذِكرِ مَملولُ
وَمَن مُوَدَّتُهُ داءٌ وَنائِلُهُ | وَعدُ المُغَيَّبِ إِخلافٌ وَتَأميلُ
ما أَنسَ لا أَنسَ مِنها إِذ تُوَدِّعُنا | وَقَولَها لا تَزُرنا أَنتَ مَقتولُ
مِلءُ السِوارَينِ وَالحِجلَينِ مِئزَرُها | بِمَتنِ أَعفَرَ ذي دِعصَينِ مَكفولُ[2]
كَأَنَّما ناطَ سَلسَيها إِذا اِنصَرَفَت | مُطَوَّقٌ مِن ظِباءِ الأُدمِ مَكحولُ[3]
تُجرى السِواكَ عَلى عَذبٍ مُقَبَّلُهُ | كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ[4]

إن محبوبته امرأة متنعمة قد امتلأ سوارها وحجلاها وعجيزتها تشبه رابية الرمل ذات الدعصين ، وهي كذلك لها عنق طويلة تشبه عنق الظبي ، ولها فم جميل له رائحة جميلة تشبه رائحة الخمر.

---

١ يختصني : يعني الخيال يأتيني دون الناس وقد هجعوا . ومجفلة : منصرفة مولية ، والإجفال : الانقطاع،وأعجازه : أواخره ، ميل : مالت للمغيب . المصدر السابق ص ٥٥ .

٢ الحجل : الخلخال والجمع : الأحجال ، وأعفر : أراد الرمل أعفر في لونه ، فشبه اكتناز عجيزتها بالرمل . ذي دعصين ، يريد : الرمل، والدعص : الرابية من الرمل ، والجمع : أدعاص . وأراد : مئزرها مكفول بمتن أعفر أي مدار حواليه . أخذه من الكفل وهو الكساء يديره الرجل حول سنام بعيره ثم يركبه . وقال أبو عمرو : شبه متنها بمتن الأعفر في استوائه ؛ والأعفر الظبي ومكفول مترب. المصدر السابق ص ٥٦ .

٣ قال ابن الأعرابي : سلس – بالفتح – هو القرط ؛ شبه عنقها بعنق الظبي في طوله . المصدر السابق ص ٥٦ .

٤ مُنْهَل : مسقي اللسان مادة نهل . الراح : الخمر مختار الصاح مادة روح . معلول : مسقي مرة بعد أخرى ؛علل العَلُّ العَلَلُ: الشَّرْبةُ الثانية، وقيل: الشُّرْب بعد الشرب تِباعاً، يقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ.وعَلَّه يَعُلُّه ويَعِلُّه إذا سقاه السَّقْيَة الثانية. اللسان مادة علل .

ثانياً / الطلل[1] :

موضوع الأطلال من الموضوعات التي حفل بها كثير من الشعر الجاهلي والإسلامي ، فقد كان الشاعر يقف على الطلل لارتباطه بالمحبوب ، أو بذكرى جميلة يجد فيها سلوته وذهاب همه .

وقد علّل ابن قتيبة نقلاً عن بعض معاصريه أنّ "مُقصِّدَ القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار: فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها؛ إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن، على خلاف ما عليه نازلة المدر من انتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثمّ وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ...."[2]

وسواء كان هذا هو السبب في ذكر الأطلال أم سبب آخر فإننا نجد أن للأطلال شأناً عند بني الإنسان عموما ، والشعراء خصوصاً . لما لها من ذكريات ارتبطت بالنفوس ومعان تعلقت بالذاكرة .

والأطلال في نظر الباحث ليست فقط في بقايا الديار والآثار ! بل كل ما ذكَّر المرء بماضيه فهو طلل يقف عنده الشاعر ليعيش الذكريات.

وقد جاء الطلل في شعر جران العود النميري على طرائق عدة سأحاول أن أقف عندها وأستخلص الصور التشبيهية فيها.

فمرة يأتي الطلل عنده في ذكرى يتذكر الحبيب فيها واللحظات التي عاشها معه ، وربما أهاج هذه الذكرى صوتٌ جميلٌ سمعه فهو يتذكر وتنهل دموعه من عظيم أثر الذكرى عليه وذلك في قوله :

---

١ والطَّلل: ما شَخَص من آثار الديار، والرَّسْمُ ما كان لاصِقاً بالأرض، وقيل: طَلَلُ كل شيء شَخْصُه، وجمع كل ذلك أَطْلالٌ وطُلول. والطَّلالةُ: كالطَّلَل... اللسان مادة طلل .

٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة طبعة ١٤٢٣هـ ، ١/ ٧٥، ٧٦ .

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ ... وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كُنتَ تَعرِفُ

وَكانَ فُؤادي قَد صَحا ثُمَّ هاجَني ... حَمائِمُ وُرقٌ[1] بالَمدينَةِ هُتَّفُ

كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجلِ وَسطَها ... مِنَ البَغى شِرّيبٌ يُغَرِّدُ مُتَرَفُ[2]

يُذَكِّرنَنا أَيّامَنا بِعُوَيقَةٍ[3] ... وَهَضبِ قُساسٍ[4] وَالتَذَكُّرُ يَشعَفُ[5]

وَبيضاً يَصَلصِلنَ الحُجولَ كَأَنَّها ... رَبائِبُ أَبكارِ المَها المُتَأَلِّفُ[6]

فَبِتُّ كَأَنَّ العَينَ أَفنانُ سِدرَةٍ ... عَلَيها سَقيطٌ مِن نَدى اللَيلِ يَنطُفُ[7]

أُراقِبُ لَوحاً مِن سُهَيلٍ كَأَنَّهُ ... إِذا ما بَدا مِن آخِرِ اللَيلِ يَطرِفُ[8]

يصور جران العواد حالته يوم تذكر الصبا بسبب حمائم ورق أخذن يهتفن وينقل الموقف كله في صورة حية متحركة ؛ فالحمائم هتف على الأغصان ، والطيور الصغيرة تتفاعل مع تلك الأصوات ؛ فتتحرك بسرعة وكأنها حركة من أكثر من الشرب حتى سكر فصار يقفز في مشيته . وهذا الموقف كله بما فيه من حركة وجمال ذكره بأيامه الماضية .

ويبين أثر هذه الذكرى عليه بأنه بات باكياً وعينه تذرف الدموع وهي تشبه سدرة قد اجتمع عليها الجليد ثم بدأ في الذوبان فأخذت أغصانها تقطر الماء .

---

١ قال الأصمعي: إذا كان البعير أَسود يخالط سواده بياض كدخان الرِّمْثِ فتلك الوُرْقَةُ... ومن ذلك قيل للرماد أَوْرَقُ، وللحَمامة والذِّئْبة وَرْقاءُ . اللسان مادة ورق .

٢ الهديل هاهنا الفرخ يغمز من رجله ؛ يقول : من نشاطه كأنه ظالع لما هو فيه من الطرب . شريب : سكران . ديوان جران العود ص ١٣ .

٣ لم أجد لها ذكراً إلا في بيت للقطامي في قوله : ولم يَحِلّوا باحواسِ الغميسِ إلى ... شَطَّي عُويقةَ فالرَّوحاءِ من خِيمَا . ديوان القطامي ، وتروى (بسويقة) و (بعريضة) . ديوان جران العود ص ١٣ .

٤ جبل لبني أسد . اللسان مادة قسس . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٧٣ .

٥ يحرق القلب . الصحاح مادة شعف .

٦ مر ذكر معناه في ص ١٢ .

٧ أفنان : أغصان ، الواحد : فنن . والسقيط : الثلج الجليد ، ينطف : يقطر ؛ شبه سقوط الدمع وتحدره من عينه بأفنان سدرة عليها جليد فهي تنطف . ديوان جران العود ص ١٣ .

٨ أراقب : أنظر ، لوحاً من سهيل : أي بريقه ، وذلك أن سهيلاً يطلع آخر الليل فلا يمكث إلا قليلاً حتى يسقط فو يطرف كما تطرف العين ، والمعنى أن الليل طال عليه وهو ينتظر الصبح . المصدر السابق ص ١٤

وشبه نجم سهيل الذي بات يرقبه بالعين التي تطرف لأنه يطلع من آخر الليل فلا يمكث إلا قليلاً ثم يسقط . وهذا التشبيه في نظر أبي هلال العسكري أجود ما قيل في خفقان سهيل واضطرابه[1] .

وفي صورة أخرى نجد جران العود يقف على الطلل ليتأمل ؛ ويقوده التأمل والنظر إلى تلك الصورة التشبيهية التي رسمها في قوله[2] :

هَلَ انتُم واقِفونَ عَلى السُطورِ[3] فَنَنظُرَ ما لَقينَ مِنَ الدُهورِ

تُركنَ بِرِجلَةِ[4] الرَوحاءِ[5] حَتّى تَنَكَّرَتِ الدِيارُ عَلى البَصيرِ

كَوَحيٍ[6] بِالحِجارَةِ أَو وُشومٍ[7] بِأَيدي الرومِ باقِيَةِ النَؤورِ[8]

ففي هذه الأبيات وقف جران العود على الديار التي أحبها وأحب أهلها ، بل إن حبه لأهلها هو سبب حبه لها لأنه ذكر بعد هذه الأبيات أبياته التي يتذكر فيها معشوقته ومحبوبته :

وَخودٍ قَد رَأَيتُ بِها رَكولٍ بِرِجلَيها الدِمَقسَ مَعَ الحَريرِ[1]

---

١ ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

٢ ديوان جران العود ص ٢٤

٣ السَّطْرُ والسَّطَرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها.... وتجمع على سطور ... اللسان مادة سطر .

٤ ...الرِّجْلة: مَنْبِت العَرْفج الكثير في روضة واحدة. والرِّجْلة: مَسِيل الماء من الحَرَّة إلى السَّهلة. شمر: الرِّجَل مَسايِلُ الماء، واحدها رِجْلة... اللسان مادة رجل .

٥ الروحاء : جاء في اللسان : قصعة روحاء قريبة القعر فربما يكون المقصود أن الديار التي وقف عليها جران العود تقع على مسيل واد قريب القعر أي منبسط ، والروحاء أيضاً موضع قريب من المدينة وإذا نحن اعتبرنا أسماء الأماكن ، التي وردت في أشعار جران العود ، وجدنا أنه كان من أهل العالية في الشمال الغربي من نجد ، قريبا من الحجاز .فيكون هذا المكان الذي وقف عليه هو مكان يسيل فيه السيل وهو في الروحاء .

٦ الوَحْيُ: الإِشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك. .. اللسان مادة وحي .

٧ الوُسومُ والوُشومُ العلاماتُ. ابن سيده: الوَشْمُ ما تجعله المرأَة على ذراعِها بالإِبْرَةِ ثم تَحْشُوه بالنَّؤُور، وهو دُخان الشحم، والجمع وُشومٌ ووِشامٌ ... اللسان مادة وشم .

٨ دخان الشحم الذي يكتب به أو يحشى في الوشم . اللسان .

يقف جران العود ليشبه هذه الديار التي بقت آثارها بالكتابة على الحجر أو بالوشم على الذراع وأنها ليست كتابة حديثة العهد بل كتابة الروم ووشومهم .

ويقف شاعرنا متذكرا موضعاً يقال له (بُرَيْد[2]) قائلاً[3]:

نُبِّئتُ أَنَّ بُرَيــداً خَــفَّ حاضِـرُهُ[4] مِنــهُ وَزايَلَــهُ المَرعِــيُّ وَالهَمَــلُ[5]
وَقَد رَأَيتُ بِها الأَصــرامَ[6] يَجمَعُهُــم سَهلُ الأَباطِحِ لا ضِــيقٌ وَلا جَــرَلُ[7]

وفي موضع آخر نجد جران العود قد جعل طلله الطبيعة ذاتها ، فهو يقف على بعض ما يحدث فيها من مشاهد تثير شجنه وتبكيه! حتى إن قارئ الأبيات ربما بكى تفاعلا مع الشاعر مع أنه لم يبين ماالذي أبكاه؛ وذلك في قوله[8] :

وَذَكَّــرَني الصِبــا بَعــدَ التَنــاهي[9] حَمامَــةُ أَيكَــةٍ تَــدعو الحَمامــا
أَســيلاً خَــدُّهُ وَالجيــدُ مِنــهُ تَقَلَّــدَ زينَــةً خُلِقَــت لِزامــا

كَســاهُ اللَــهُ يَــومَ دَعــاهُ نــوحٌ نِظامــاً مــا يُريــدُ بِــهِ نِظامــا[1]

---

١ مر الوقوف على هذه الأبيات ص ١٠ .

٢ ماء لبني ضبينة ، وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . حاشية ديوان جران العود بتحقيق كارين صادر .ص ٧٨

٣ ديوان جران العود ص ٣١ .

٤ من كان يحضره من الناس . اللسان مادة حضر .

٥ المرعي :الإبل التي تُرعى من الرعاية والاهتمام اللسان والهمل : ما أهمل فترك بلا راع . اللسان .مادة رعى ومادة همل.

٦ جماعات الناس

٧ الكثير الحجارة . الصحاح مادة جرل .

٨ ديوان جران العود ص ٣٣ .

٩ التناهي الكف وهنا المقصود الكف عن تذكر الصبا . اللسان مادة نهي بتصرف .

أُتيحَ لَهُ ضُحىً لَمّا تَنَمّى	عَلى الأَغصانِ مُنصَلِتاً قَطاما[2]
فَقَدَّ حِجابَهُ بِمُذَرَّباتٍ	يُرينَ الحائِناتِ بِهِ الحِماما[3]
تَرى الطَيرَ الرَوائِدَ مُعصِماتٍ	حِذاراً مِنهُ بالغيلِ اِعتِصاما[4]
دَعَتهُ فَلَم يُجِب فَبَكَتهُ شَجواً[5]	فَهَيَّجَ شَوقُها وُرقا تُؤاما
كَأَنَّ الأَيكَ[6] حينَ صَدَحنَ فيهِ	نَوائِحُ يَلتَدِمنَ بِهِ التِداما[7]
فَهَيَّجَ ذاكَ مِنّي الشَوقَ حَتّى	بَكَيتُ وَما فَهِمتُ لَها كَلاما

إنها صورة مؤثرة ينقلها الشاعر بشعره حتى كأننا أمام مشهد مرئي مؤثر لتلك الحمامة اللطيفة التي زينها الله بذلك الطوق الذي يستدير على رقبتها ، وكانت تهتف بصوتها الجميل ، فإذا بصقر قوي حاد المخالب ينقض عليها ، ويأخذها بعيدا عن ذلك المكان ، وعبثا تحاول الطيور نداءها فهي لا تجيب ، مما جعل الطيور تبكي بكاء حزينا هيج الورق التؤام . فكانت الأشجار وهذه الطيور تصدح بصوتها الحزين كأنها نساء نوائح يضربن صدورهن حزنا ؛ مما جعل الشاعر يبكي مع أنه لم يفهم أصوات الطيور .

صورة جميلة أبدعها جران العود عندما شبه الأشجار بالنساء وشبه أصوات الطيور بالنواح وشبه حركة الأشجار والرياح والطيور تحركها بضرب النائحات لصدورهن وهن يبكين ويصرخن في حزن عميق حمله على البكاء .

---

١ جاء في الحيوان للجاحظ : قال صاحب الحَمام: أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعَراء، فقد أطبقوا على أنّ الحَمَامَة هي التي كانت دليلَ نوحٍ ورائده، وهي التي استجعَلَتْ عليه الطَّوْقَ الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها اللّه تعالى تلك الحِلْية؛ ومنَحَها تلك الزِّينة، بدعاء نوحٍ عليه السلام، حينَ رجعتْ إليه ومعها من الكرْم ما مَعها، وفي رجليها من الطِّين والحَمْأة ما برجليها، فعوِّضتْ من ذلك الطِّين خِضابَ الرِّجلين، ومن حُسن الدَّلاَلَةِ والطَّاعةِ طَوْقَ العنق.

٢ اتيح له : قدر له ، تنمى : ارتفع ، منصلتاً : ماضياً يطلب ، قطاما : صقر . ديوان جران العود ص ٣٣ .

٣ قدَّ : قطع ، مذربات :محددات ، أراد المخالب ، الحائنات : الهالكات .المصدر السابق ص ٣٣ .

٤ الروائد:التي ترود أي تذهب وتجيء ، معصمات :مستمسكات ، والغيل:الشجر؛حذراً من الصقر.المصدر السابق ص٣٤.

٥ الشجو الحزن . اللسان مادة شجو .

٦ جمع أيكة وهي الشجر الكثير الملتف . اللسان مادة ايك .

٧ اللدم ضرب المرأة صدرها . اللسان مادة لدم .

ثالثاً / الحيوان والطير :

جران العود شاعر امتزج بالطبيعة بكل مافيها من حيوان وطير وأشجار وأمطار وظواهر طبيعية كثيرة .

وعندما نقف عند الصور التشبيهية للحيوان والطير في شعره نجد أنه شبه الحيوان والطير أو شبه به حسب المقام ؛ وكأنه قسم الحيوانات والطيور إلى قسمين ! قسم يأتي في التشبيهات الجميلة والمقترنة بالمواقف العاطفية المؤثرة ، وقسم اقترن بالمواقف الصعبة والمخيفة .

أ- الحيوانات والطيور التي جاءت في شعر جران العود مقترنة بالتشبيهات الجميلة والمواقف العاطفية المؤثرة :

١ – الناقة :

أكثر جران العود من ذكر الناقة ووصفها في الرحلة خصوصا .ومن ذلك قوله :

فَلا وَجدَ إِلّا مِثلَ يَومِ تَلاحَقَت ... بنا العيسُ[١] وَالحادي يشُلُّ وَيَعنُفُ

لَحِقنا وَقَد كانَ اللُغامُ[٢] كَأَنَّهُ ... بِأَلحي[٣] المَهارى[٤] وَالخَراطيمِ[٥] كُرسُفُ[٦]

---

١ العيسُ بالكسر: الإبل البيضُ يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعْيَسُ، والأنثى عَيْساءُ بيِّنة العَيَسِ. قال الشاعر:

أقولُ لخارِبَيْ هَمْدانَ لَمّا ... أثارا صِرْمَةً حُمْراً وعيسا أي بيضاً. ويقال هي كرائم الإبل. الصحاح مادة عيس

٢ زبد البعير . اللسان مادة لغم

٣ قال الليث: اللحيانِ العظمان اللذان فيهما الاسنان من كل ذى لَحْيٍ. والجميع الألحِى. تهذيب اللغة مادة لحى .

٤ مَهْرَةُ بن حَيْدان: أَبو قبيلة، وهم حيّ عظيم، وإِبل مَهْرِيَّة منسوبة إِليهم، والجمع مَهارِيُّ ومَهارٍ ومَهارَى... اللسان مادة مهر

٥ جمع خرطوم وهو الأنف . تهذيب اللغة مادة خرطم

٦ القطن . الصحاح مادة كرسف

فَما لِحِقَتنا العيسُ حَتّى تَناضَلَت[1] بِنا وَقَلانا الآخِرُ المُتَخَلِّفُ
وَكانَ الهِجانُ[2] الأَرحَبِيُّ[3] كَأَنَّهُ بِراكِبِهِ جَونٌ[4] مِنَ اللَيلِ أَكلُفُ[5]

فهو في هذه الصورة التشبيهية ؛ يصور لنا النوق وهن منطلقات في الرحلة، والحادي يسوقها بقوة لتسير .وزبدها وهو يسيل ببياضه الواضح على لحاها وأنوافها يشبه القطن .

وحتى صار البعير الأبيض من شدة عرقه أسود[6] اللون فهو يشبه سواد الليل الذي تعلوه الحمرة .

وفي صورة أخرى يصور الإبل وهن مصغيات إلى الأرض من شدة جذب البرى لهن وكأن البُرى[7] تحولن إلى ثمر العلَّف[8] وهن يأكلن منه :

وَهُنَّ جُنوحٌ مُصغِياتٌ كَأَنَّما بُراهُنَّ مِن جَذبِ الأَزِمَّةِ عَلَّفُ

فقد شبه هيئة الإبل وهن مائلات بسبب جذب البُرى بهيئة الإبل وهي ترعى العُلَّف .

وكما مر معنا في موضوع المرأة نجد أن جران العود شبه إقبال محبوبته عليه عندما يريد تقبيلها بإقبال العسجدية على الغدير:

إِذا اِستَقبَلتَها كَرَعَت بِفيها كُروعَ العَسجَدِيَّةِ في الغَديرِ

---

١ انْتِضالُ الإبل: رَمْيُها بأَيْديها في السَيْرِ. الصحاح مادة نضل

٢ الهجان من الإبل الأبيض . الصحاح مادة هجن

٣ بنُو أَرْحَبَ: بَطْنٌ من هَمْدانَ، إِليهم تُنْسَبُ النَّجائبُ الأَرْحَبِيَّةُ...الليث: أَرْحَبُ حَيٌّ، أَو موضع يُنْسَبُ إِليه النَّجائبُ الأَرْحَبِيَّةُ؛ قال الأَزهري: ويحتمل أَن يكون أَرْحَبُ فَحْلاً تُنْسَبُ إِليه النجائب، لأَنها من نَسْلِه. اللسان مادة رحب

٤ الجَوْنُ: الأبيض... والجَوْنُ: الأسود، وهو من الأضداد. الصحاح مادة جون

٥ قال الأصمعيّ: إذا كان البعير شديد الحُمرة يخلط حمرته سوادٌ ليس بخالص فتلك الكُلْفَةُ، والبعيرُ أَكْلَفُ والناقةُ كَلْفاءُ. الصحاح مادة كلف

٦ عرق الإبل مادام سائلاً فهو أسود فإذ اجف اصفر . ديوان جران العود ص ١٥.

٧ تقدم معناها ص ٨

٨ العُلَّفُ: ثمر الطَلْح، وهو مثل الباقِلَّى الغَضِّ، يخرج فترعاه الإبل، الواحدة عُلَّفَةٌ. وقد أَعْلَفَ الطلح، أي خرج عُلَّفُهُ. الصحاح مادة علف

فهو يشبه تقبيلها له إذا قبَّلها بكروع العسجدية – وهي نوع من الإبل – في الغدير. ويذهب الباحث إلى أن الشاعر لا يقصد طريقة الشرب ولكن إقبال العسجدية على الغدير فمحبوبته تقبل عليه بشوق كما تقبل الإبل على الماء بشوق .[1]

وفي موطن آخر شبه الحب الشديد بينه وبين محبوته بحالة النوق الخامسة الضامئة التي وجدت ماء قليلاً في حفرة في هضبة من الأرض والشمس قد ألهبت المكان بحرارتها فأخذت ترشف منه بلهفة:

وَلَكِنّا يُمَوِّتُنا رَسيسٌ   تَمَكَّنَ بِالمَوَدَّةِ في الصُدورِ
رَشيفَ الخامِساتِ وَقيطَ هَضبٍ   قَليلَ الماءِ في لَهَبِ الحَرورِ[2]

ومن الصور الجميلة للناقة عند جران العود تشبيه ظلها بالنعل وهي في طريق الرحلة قد سارت في الهاجرة والشمس في كبد السماء :

فَقُلتُ ما لِحُمولِ الحَيِّ قَد خَفِيَت   أَكَلَّ طَرفِيَ أَم غالَتهُمُ الغولُ
يَخفَونَ طَوراً فَأَبكي ثُمَّ يَرفَعُها   آلُ الضُحى وَالهِبِلّاتُ[3] المَراسيلُ[4]
تَخدي[5] بِهِم رُجُفُ الأَلحي[6] مُلَيَّثَةٌ   أَظلالُهُنَّ لِأَيديهِنَّ تَنعيلُ

وتشبيه صورة الرحل وهم ممسكون به على ظهور الإبل بالأطفال الصغار الذين يلاعبونهم :

كَأَنَّ أَواسِطَ الأَكوارِ فينا   بَنونَ لَنا نُلاعِبُهُم صِغارُ

وتشبيه الناقة الطويلة الظهر وضخامة جسمها بالجبل واكتناز لحمها بالرمل المتعقد وسرعة يدها وهي تمشي بالزحلوقة:

إِنّي وَرَبِّ رِجالٍ شَعبُهُم شُعَبٌ   شَتّى يَطوفونَ حَولَ البَيتِ وَالحَجَرِ

---

١ يراجع ص٣٦،٣٧ من هذا البحث .

٢ يراجع ص٣٦،٣٧ من هذا البحث.

٣ الضخام .

٤ السراع .

٥ من الوخد وهو ضرب من السير .

٦ ترتجف لحاها أثناء سيرها من سرعتها .

جاءَت بِهِم قُلُــصٌ[1] فُتــلٌ[2] مَرافِقُهــا قُبٌّ[3] البُطونِ مِــنَ الإِدلاجِ وَالبُكَــرِ
مِن كُــلِّ قَــراوَءَ مَعقــودٍ فَقارَتُهــا عَلى مُنيفٍ كَرُكنِ الطَــودِ وَالضَــفَرِ[4]
يُمِــرُّ مِرفَقُهــا بِالــدَفِّ مُعتَرِضــاً مَرَّ الوَليدِ عَلــى الزُحلوفَــةِ الأَشِــرِ[5]

٢ – الظباء:

في قصيدته الرائية[6] التي يتذكر فيها محبوبته جاء تشبيه الجوزاء[7] بالظباء المتفرقة خوف خوف الذئب الذي هجم عليها فنفرت :

فَقَد كانَتِ الجَــوزاءُ وَهنــاً كَأَنَّهــا ظِباءٌ أَمــامَ الــذِئبِ طَرَّدَهــا النَفــرُ

وفي قصيدة أخرى[8] شبه الظبية بمحبوبته التي رمز لها باسم (ليلى) :

أَيا شِبهَ لَيلى جادَكِ الغَيــثُ وَاِنبَــرى لَكِ الرُشدُ وَاِخضَرَّت عَلَيكِ المَراتِــعُ

ويشبه عنق محبوبته في موضع آخر بعنق الظبية[9] :

كَأَنَّما نــاطَ سَلسَــيها إِذا اِنصَــرَفَت مُطَوَّقٌ مِــن ظِبــاءِ الأُدمِ مَكحــولُ

---

١ جمع قلوص وهي الشابة من النوق . الصحاح مادة قلص .

٢ بائنة المرافق عن الآباط . الصحاح مادة فتل .

٣ ضامرات البطون . الصحاح مادة قبب .

٤ القرواء الطويلة الظهر ، معقود فقارتها : شديدة فتل الفقارة ، وجمعها فقار وهو مابين كل مفصــلين ، وقولــه : على منيف : أي على خلق مشرف كركن الطود ، أي كناصية الجبل في عظم خلقها . والضفر : ما تعقــد مــن الرمل . ديوان جران العود ص ٤٧ .

٥ الدف : الجنب . الأشر : النشيط . معترضاً : مائلاً ، يقول لا يمس مرفقها جنبــها ، والزحلوفــة والزحلوقــة : موضع يتزلج فيه الصبيان إلى الأسفل ، والجمع الزحاليف ، والزحاليق ، فأراد أنها سريعة رجع اليدين كمــر الصــبي على الزحلوفة . المصدر السابق ص ٤٧ بتصرف

٦ ديوان جران العود . ص ٣١ .

٧ الجَوْزاءُ: نَجْم يقال إِنه يعترض في جَوْز السماء. والجَوْزاءُ: من بُرُوج السماء . اللسان مادة جوز . وجوز السماء وسطها أساس البلاغة.

٨ ديوان جران العود . ص ٥٠ .

٩ ديوان جران العود ص ٥٥ ، ٥٦ .

٣- المها[1] :

جاء ذكر المها في شعر جران العود في ذكر النساء اللاتي أحبهن وأحب ذكرهن؛ ومن ذلك قوله :

وَبيضاً يَصَلصِلنَ الحُجــولَ كَأَنَّهــا رَبائِــبُ أَبكــارِ المَهــا المُتَــأَلِّفُ[2]

فهن نساء جميلات قد لبسن الخلاخيل فكان لها صوت مميز ؛ ولجمال عيونهن وبهـــاء طلعتهن شبههن بأبكار المها الأليفة .

"قال الأصمعي : إذا ذكر الشاعر البقر فإنما يريد حسن الأعين ،وإذا ذكر الظباء فإنما يريد حسن الأعناق". غير أن هذا التحديد في نظر الباحث فيه تحجر واسع فلماذا يكون التشبيه بالبقر فقط في حسن الأعين في الوقت الذي نستطيع أن نستجلي معاني أخـــرى يحددها السياق .

ثم أعاد جران العود تشبيه إحدى محبوباته بالمها في القصيدة نفسها في صورة تشبيهية جميلة عندما قال :

وَفي الحَيِّ مَــيلاءُ الخِمــارَ كَأَنَّهــا مَهــاةٌ بِهَجــلٍ مِــن أَدَيمٍ تَعَطَّــفُ[3]

وفي قصيدة أخرى رسم جران العود صورة تشبيهية قصصية جعلنا نعيش معه جـــو الصراع الذي يدور في قلب تلك الحسناء المحبة ؛ التي تعلق قلبها به، وهي في الوقت ذاته خائفة من الفضيحة .

إن حالها يشبه حال نعجة من بقر الوحش لها ولد صغير قد تركته في شقيقة بين كثبان الرمال العالية التي تصدر صوتاً كالعزف عندما ينهال رملها على بعضه حتى ظُن أن الجن تعزف فيه ، وهذا المكان أيضاً ناءٍ عن العيون لذا كان قلق هذه الأنثى على وليدها أكثر وأكثر .

---

١ بقر الوحش . اللسان .

٢ مر شرح هذا البيت ص ٢٨ .

٣ مر شرح هذا البيت ص ٢٩ .

فهي تتمنى اللحاق بصويحباتها ، ونفسها تصارعها في البقاء مع وليدها لـئلا يأكلـه الذئب .

ثم يستمر جران العود ليزيد من بيان تلك المعاناة التي تعيشها عشيقته فيكمل الصورة التي بيَّن فيها أن تلك النعجة سمعت صوت عواء الذئب وصياح وليدها فرجعت فـإذا الذئب قد أكله و لم تجد إلا أشلاء جسمه مبعثرة أخذت تبحث فيها بحثَ الكَعاب عـن سوار ضاع منها في مواضع لعبها .

وشبه حوافر النعجة والدم قد خضبها بيد الكعاب التي تخضبت بالحناء .

وهذه الأبيات هي :

أَو نَعجَةٌ مِن إِراخِ الرَمـلِ أَخـذَلَها ... عَن إِلفِها واضِحُ الخَـدَّينِ مَكحـولُ[1]

بشُقَّةِ مِن نَقـا العَـزّافِ يَسـكُنُها ... جـِنٌّ الصَـريمَةِ وَالعَـينُ المَطافيـلُ

قالَت لَهُا النَفسُ كوني عِنـدَ مَولِـدِهِ ... إِنَّ المُسَـيكينَ إِن جـاوَزتِ مَـأكولُ

فَالقَلـبُ يُعـنى بِرَوعـاتٍ تُفَزِّعَـهُ ... وَاللَحمُ مِن شِدَّةِ الإِشـفاقِ مَخلـولُ

تَعتـادُهُ بِفُـؤادٍ غَـيرِ مُقتَسَـمٍ ... وَدِرَّةٍ لَـم تَخَوَّنَهـا الأَحاليـلُ

حَتّى اِحتَوى بِكرَها بِـالجَوِّ مُطَّـرِدٌ ... سَمَعمَعٌ أَهـرَتُ الشِـدقَينِ زُهلـولُ

شَدَّ المَماضِغَ مِنـهُ كُـلَّ مُنصَـرَفٍ ... مِن جانِبَيـهِ وَفي الخُرطـومِ تَسـهيلُ

لَم يَبقَ مِن زَغَبٍ طارَ النَسـيلُ بِـهِ ... عَلـى قَـرا مَتنِـهِ إِلّـا شَـماليلُ

كَأَنَّمـا بَـينَ عَينَيـهِ وَزُبرَتِـهِ ... مِن صَبغِهِ في دِمـاءِ القَـومِ مِنـديلُ

كَالرُمحِ أَرقَلَ في الكَفَّينِ وَاِطَّـرَدَت ... مِنـهُ القَنـاةُ وَفيهـا لَهـذَمٌ غـولُ

يَطـوي المَفـاوِزَ غيطانـاً وَمَنهَلُـهُ ... مِن قُلَّةِ الحَـزنِ أَحـواضٌ عَـداميلُ

لَمّا دَعـا الـدَعوَةَ الأولى فَأَسمَعَهـا ... وَدونَـهُ شُـقَّةٌ مـيلانِ أَو ميـلُ

كادَ اللُعاعُ مِنَ الحَـوذانِ يَسـحَطُها ... وَرِجـرِجٌ بَـينَ لَحيَيهـا خَناطيـلُ

تُذري الخُزامى بِـأَظلافٍ مُخَذرَفَـةٍ ... وَوَقعُهُـنَّ إِذا وَقَّعـنَ تَحليـلُ

حَتّى أَتَت مَربِضَ المِسـكينِ تَبحَثُـهُ ... وَحَولَهـا قِطَـعٌ مِنـها رَعابيـلُ

بَحثَ الكَعابِ لِقُلـبٍ في مَلاعِبِهـا ... وَفي اليَـدَينِ مِـنَ الحِنّـاءِ تَفصـيلُ

---

١ مر شرح الأبيات ص ١٥ ، ١٦

٤- الحمام والقطا[1] :

مع أن القطا نوع من الحمام كما جاء في معاجم اللغة العربية إلا أننا نجد أن جران العود قد ارتبط ذكر الحمام عنده في أكثر من موضع بالتذكر والتأمل والحزن فمن ذلك قوله[2]:

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ[3]

وَكانَ فُؤادي قَد صَحا ثُمَّ هاجَني حَمائِمُ وُرقٌ بِالمَدينَةِ هُتَّفُ

كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجلِ وَسطَها مِنَ البَغيِ شِرّيبٌ يُغَرِّدُ مُتَرَفُ

فقد شبه فرخ الحمام هنا- وطريقة مشيته التي تبين نشاطه –بمن شرب الخمر فأكثر

فهويقفز في مشيته .

وفي صورة تشبيهية مؤثرة جاء تشبيه الحمام مع غيره من الطيور وهن يصدحن على الأشجار بالنساء النائحات :

وَذَكَّرَني الصِبا بَعدَ التَناهي حَمامَةُ أَيكَةٍ تَدعو الحَماما

أَسيلاً خَدُّهُ وَالجيدُ مِنهُ تَقَلَّدَ زينَةً خُلِقَت لِزاما

كَساهُ اللَهُ يَومَ دَعاهُ نوحٌ نِظاماً ما يُريدُ بِهِ نِظاما

أُتيحَ لَهُ ضُحيً لَمّا تَنَمّى عَلى الأَغصانِ مُنصَلِتاً قَطاما

فَقَدَّ حِجابَهُ بِمُذَرَّباتٍ يُرينَ الحائِناتِ بِهِ الحِماما

تَرى الطَيرَ الرَوائِدَ مُعصِماتٍ حِذاراً مِنهُ بِالغيلِ اِعتِصاما

دَعَتهُ فَلَم يُجِب فَبَكَتهُ شَجوا فَهَيَّجَ شَوقُها وُرقاً تُؤاما

كَأَنَّ الأَيكَ حينَ صَدَحنَ فيهِ نَوائِحُ يَلتَدِمنَ بِهِ التِداما

---

١ الحمامُ عند العرب: ذوات الأطواق، من نحو الفَواختِ، والقَماريّ، وساقِ حُرٍّ، والقَطا، والوارشين وأشباه ذلك، يقع على الذكر والأنثى. الواحدة حَمامَةٌ... الصحاح مادة حمم .

٢ ديوان جران العود ص ١٣ .

٣ مر شرح الأبيات ص ٤٧

فَهَـــيَّجَ ذاكَ مِنّـــي الشَـــوقَ حَتّـــى		بَكَيتُ وَمـــا فَهِمـــتُ لَهـــا كَلامـــا

صورة جميلة أبدعها جران العود عندما شبه الأشجار بالنساء وشبه أصوات الطيور بالنواح وشبه حركة الأشجار والرياح والطيور تحركها بضرب النائحات لصدورهن وهن يبكين ويصرخن في حزن عميق حمله على البكاء .[1]

وفي صورة تشبيهية أخرى شبه صوت الحمام بنوح أنباط[2] مثاكيل[3]:

وَاِستَقبَلوا وادِياً جَرسُ الحَمـــامِ بِـــهِ		كَأَنَّـــــهُ نَـــــوحُ أَنبـــــاطٍ مَثاكيـــــلُ

وأما القطا فقد جاء ذكره في صور تشبيهية أخرى ؛ فمن ذلك قوله :

فَبِتنـــا قُعـــوداً وَالقُلـــوبُ كَأَنَّهـــا		قَطاً شُرَّعُ الأَشـــراكِ مِمّـــا تَخَـــوَّفُ

فقد وصف اضطراب قلبه وقلوب محبوبات عند اللقاء الخفي ، وقد امتزجت مشاعر الحب والشوق بمشاعر الخوف من افتضاح أمرهم؛ وشبه قلوبهم وهي مضطربة خائفة من الفضيحة بالقطا شرع نحو الأشراك .

وفي موضع آخر من القصيدة نفسها شبه النساء بالقطا وشبه نفسه بالصقر :

فَتى الحَيِّ وَالأَضيافِ إِن نَزَلـــوا بِـــهِ		حَذورُ الضُـــحى تِلعابَـــةٌ مُتَغَطـــرِفُ
يَرى اللَيـــلَ في حاجـــاتِهِنَّ غَنيمَـــةً		إِذا قـــامَ عَنـــهُنَّ الهِـــدانُ الُمزَيَّـــفُ
يُلِـــمُّ كَإِلمـــامِ القُطـــامى بِالقَطـــا		وَأَسرَعُ مِنهُ لَمَّـــةً حـــينَ يَخطَـــفُ[4]

ب – الحيوانات والطيور التي جاء ذكرها في المواقف الصعبة والمخيفة :

١– الذئب :

١ مر شرح الأبيات ص ٤٩،٥٠.

٢ النَبَط والنَبيطُ: قومٌ يَنزلون بالبطائح بين العراقَين، والجمع أنْباطٌ. ... الصحاح مادة نبط

٣ الثَّكُولُ: المرأَة الفاقد، والرجل ثاكِلٌ وثَكْلان. وأَثْكَلَت المرأَةُ ولدَها وهي مُثْكَلة بولدها وهي مُثْكِل، بغير هاء، من نسوة مثاكِيل... اللسان مادة ثكل .

٤ مر شرحه ص ٩ .

جاء ذكر الذئب في ذكر زوجته رزينة وسوء عشرها التي زادت من قبح صورها فيشبه غدوها بغدو الذئب[1] الذي يهجم على الغنم أول الصبح لعلمه بأن كلاب الحراسة قد أجهدها السهر وهي مع هذه الصورة المرعبة تغدو مع ضباح البوم فياله من نذير شؤم وشقاء؛ وذلك في قوله[2]:

تُصَبِّرُ[3] عَينَيها وَتَعصِبُ رَأسَها وَتَغدو غُدُوَّ الذِئبِ وَالبومُ يَضبَحُ[4]

وجاء ذكر الذئب أيضاً في تلك الصورة التشبيهية الجميلة التي شبه فيها حيرة محبوبته بين حبه وخوفها من افتضاح أمرها بنعجة من بقر الوحش تتمنى المسير مع القطيع وتتذكر صغيرها الذي تخشى عليه الذئب ؛ وقد وصف الذئب في هذه القصيدة بصفات كثيرة .

حَتّى اِحتَوى بِكرَها بِالجَوِّ مُطَّرِدٌ سَمَعمَعٌ أَهرَتُ الشِدقَينِ زُهلولُ
شَدَّ المَماضِغَ مِنهُ كُلَّ مُنصَرَفٍ مِن جانِبَيهِ وَفي الخُرطومِ تَسهيلُ
لَم يَبقَ مِن زَغَبٍ طارَ النَسيلُ بِهِ عَلى قَرا مَتنِهِ إِلّا شَماليلُ
كَأَنَّما بَينَ عَينَيهِ وَزُبرَتِهِ مِن صَبغِهِ في دِماءِ القَومِ مِنديلُ
كَالرُمحِ أَرقَلَ في الكَفَّينِ وَاِطَّرَدَت مِنهُ القَناةُ وَفيها لَهذَمٌ غولُ
يَطوي المَفاوِزَ غيطاناً وَمَنهَلُهُ مِن قُلَّةِ الحَزنِ أَحواضٌ عَداميلُ
لَمّا دَعا الدَعوَةَ الأولى فَأَسمَعَها وَدونَهُ شُقَّةٌ ميلانِ أَو ميلُ

٢– الثعلب :

شبه جران العود إحدى زوجتيه بالثعالب :

عُقابٌ عَقَنباةٌ تُرى مِن حِذارِها ثَعالِبَ أَهوى أَو أَشاقِرَ تَضبَحُ

٣– العقاب :

---

١ جاء في كتاب الحيوان للجاحظ :"أنَّ أكثرَ ما يعرِض الذّئبُ للغنم مع الصُّبْح، وإنَّما رقَب فتْرةَ الكلب وكلالَه، لأنّه باتَ ليلتَه دائباً يحرس... "

٢ ديوان جران العود ص ٥ .

٣ تجعل حاوليهما الصبر .

٤ ضبح البوم صوَّت . اللسان مادة ضبح.

شبه جران العود إحدى زوجتيه بالعقاب في أكثر من بيت[1] :

جَرَت يَومَ رُحنا بِالرِكـــابِ نَزُفُّهـــا   عُقابٌ وَشَحّاجٌ مِـــنَ الطَـــيرِ مِتـــيَحُ

عُقابٌ عَقَنباةٌ تَـــرى مِـــن حِـــذارِها   ثَعالِـــبُ أَهـــوى أَو أَشـــاقِرَ تَضـــبَحُ

عُقـــابٌ عَقَنبـــاةٌ كَـــأَنَّ وَظيفَهـــا   وَخُرطومَهـــا الأَعلـــى بِنـــارٍ مُلَـــوَّحُ

لَها مِثـــلُ أَظفارِ العُقـــابِ وَمَنسِـــمٌ   أَزُجُّ كَظُنـــــوبِ النَعامَـــــةِ أَروَحُ

٤ – الصقر :

شبه جران العود قلبه وهو مشتاق لمن يحبهم وأنه يكاد يطير بالصقر الذي أمسكه الإسار :

يَكادُ القَلبُ مِـــن طَـــرَبٍ[2] إِلَـــيهِم   وَمِـــن طـــولِ الصَـــبابَةِ يُســـتَطارُ

يَظَـــلُّ مُجَنَّـــبَ الكَـــنَفَينِ يَهفـــو[3]   هُفَـــوَّ الصَـــقرِ أَمسَـــكَهُ الإِســـارُ

وشبه شاعرنا نفسه وهو ينزل بالنساء الحسناوات اللاتي أسرهن بحبه ؛ بالصـــقر وهو ينزل بالقطا :

يُلِـــمُّ كَإِلمـــامِ القُطـــامى بِالقَطـــا   وَأَسرَعُ مِنـــهُ لَمَّـــةً حـــينَ يَخطَـــفُ

٥ – ذكر النعام (الظليم) :

شبه إحدى زوجتيه بذكر النعام وهو قد نفر من طرد الناس له وذلك أقـــبح مـــا يكون:

إِذا اِبتُزَّ[4] عَنها الدِرعُ قيـــلَ مُطَـــرَّدٌ[5]   أَحَـــصُّ[6] الـــذُنابى[1] وَالـــذِراعَينِ أَرسَـــحُ[2]

---

١ مر شرح هذه الأبيات ص ٣، ٤ .

٢ الطَرَبُ: خِفَّة تصيب الإنسانَ لشدةِ حزنٍ أو سرور. .. الصحاح مادة طرب .

٣ يطير . اللسان مادة هفا .

٤ نزع عنها . اللسان ٣٩٨/١

٥ المطرد : يعني الظليم طرده الناس فنفر وهو أسمج ما يكون إذا نفر . من شرح أبي جعفر بن حبيب لديوان جـــران العود.

٦ لاريش عليه . اللسان ٢٦٩/٣

وجاء ذكره ايضاً في الصورة التشبيهية التي شبه فيها جران العود محبوبته بالبيضة :

يُشَـــبِّهُها الرائـــي المُشَـــبِّهُ بَيضَـــةً غَدا في النَدى عَنها الظَليمُ الهَجَنَّـــفُ[3]

وجاء أيضاً في صورة مقاربة لهذه الصورة :

أَو بَيضَـــةٌ بَـــينَ أَجمـــادٍ يُقَلِّبُهـــا بِـــالمَنكِبَينِ سُـــخامُ الـــزِفِّ إِجفيـــلُ[4]

يَخشـــى النَـــدى فَيُوَلّيهـــا مَقَاتِلَـــهُ حَتّى يُوافيَ قَـــرنَ الشَـــمسِ تَرجيـــلُ[5]

رابعاً / جران العود وحديثه عن نفسه[6] :

نفس الشاعر تتجلى في عواطفه وميوله وغرائزه ، ومن الموضوعات التي دار حولها جران العود حديثه عن نفسه ، تلك النفس التي صورها لنا شعره أجمل تصوير.

وعندما نتحدث عن الصور التشبيهية في شعر جران العـــود الـــذي تحدث فيه عن نفسه ؛ نجد أن الشاعر تكلم عن نفسه في ثلاثة مواطن :

١-المواقف الصعبة والمؤثرة في حياته .

٢-غزلياته وحبه للنساء .

٣-امتداحه لنفسه .

---

١ الذنب . اللسان ٦٢/٥

٢ الرَّسَحُ: خِفَّةُ الأَلْيَتَين ولصوقهما. اللسان ٢٠٨/٥ .

٣ الجافي . اللسان مادة هجنف .

٤ قال الأصمعي : الجَمَد من الصَّمَد ، والجميع : أجماد وجِماد ، والصمد : المكان الغليظ فيه صـــخور لا يبلـــغ أن يكون جبلاً ؛ وجمع الصمد : صماد . وسُخام : لين ، وهو من السواد ... وإجفيل : يجفل إذا ذعر أي يســـرع – يعني الظليم – . شرح ابن حبيب لديوان جران العود ص ٣٩ .

٥ ترجيل : ارتفاع ، يجعل صدره يليها وبطنه لئلا يصيبها مطر . شرح ابن حبيب لديوان جـــران العـــود ص ٣٩ . والمقاتل المواضع التي إذا أصيبت منه قتلته ... اللسان مادة قتل .

٦ قال أَبوإِسحق: النَّفْس في كلام العرب يجري على ضربين: أَحدهما قولك خَرَجَتْ نَفْس فـــلان أَي رُوحُـــه، وفي نفس فلان أَن يفعل كذا وكذا أَي في رُوعِه، والضَّرْب الآخر مَعْنى النَّفْس فيه مَعْنى جُمْلَةِ الشيء وحقيقته، تقـــول: قَتَل فلانٌ نَفْسَه وأَهلك نفسه أَي أَوْقَع الإِهْلاك بذاته كلِّها وحقيقتِه، والجمع من كل ذلك أَنْفُس ونُفُوس... اللسان مادة نفس .

١ – المواقف الصعبة والمؤثرة في حياته :

وصف جران العود موقفاً من مواقفه القاسية مع إحدى زوجتيه وهي قد ضــربته بالعصا فخر مغشياً عليه ممتداً على الأرض وشبه نفسه في هذا المنظر بذكر الضــباع وهو قد سقط ولونه قد اشتدت زرقته حتى قرب إلى البياض .

وَقالَت تَبَصَّر بِالعَصا أَصــلَ أُذنــِهِ لَقَد كُنتُ أَعفو عَن جِرانٍ وَأَصــفَحُ

فَخَــرَّ وَقيــذاً مُســلَحِبّاً كَأَنَّــهُ عَلى الكِسرِ[1] ضِبعانٌ تَقَعَّــرَ[2] أَملَــحُ

وقد شبه شاعرنا نفسه بذكر الضباع في موطن آخر وهو يحكي موقفاً من مواقفه المؤثرة بعد أن كبرت سنه :

أَصبَحتُ قَد جَمَّحتُ[3] في كِسرِ بَيتِكُم كَما جَمَّحَ الضِبعانُ بَينَ السَــخابِرِ[4]

بِعَينَينِ مَلحاوَينِ[5] أَخــنى[6] عَلَيهِمــا مُرورُ اللَيالي كــابِراً بَعــدَ كــابِرِ

فهو يشبه حاله وهو في أسفل شقة البيت عاجز ضعيف قد كبرت سنه قد أحــدَّ النظر بعينيه بالضِبعان بين أشجار السخبر قد أحدَّ النظرعينيه .

---

١ الكِسْرُ، بالكسر: أسفل شُقَّةِ البيت التي تلي الأرض من حيثُ يكسر جانباه من عن يمينك ويسارك ... الصحاح مادة كسر

٢ انقلع وسقط .

٣ جاء في ديوان جران العود ص ٢٩ التجميح : شدة النظر وفتح العين . و لم أجد ذكر هذا المعنى إلا في اللسان وقــد اســتدرك صاحب اللسان على هذا المعنى حيث قال: وفي حديث عمر ابن عبد العزيز: فَطَفِقَ يُجَمِّحُ إلى الشاهد النَّظَرَ أي يديمه مــع فــتح العين، قال: هكذا جاء في كتاب أبي موسى وكأنه، والله أعلم، سهو، فإن الأزهري والجوهري وغيرهما ذكروه في حرف الحــاء قبل الجيم، وفسروه بهذا التفسير وهو مذكور في موضعه؛ قال: و لم يذكره أبو موسى في حرف الحاء. .. وجــاء في اللســان في مادة حمج : التَّحْمِيجُ: فتح العين وتحديد النظر كأَنه مَبْهُوتٌ؛ ... وقيل: تَحْمِيجُ العينين غُؤُورُهُما؛ وقيــل: تصــغيرهما لــتمكين النظر. الجوهري: حَمَّجَ الرجلُ عينه يَسْتَشِفُّ النظرَ إذا صَغَّرَها...

٤ السَّخْبَرُ: شجر إذا طال تدلت رؤُوسه وانحنت، واحدته سَخْبَرَة... اللسان مادة سخبر

٥ الزُرقةُ إذا اشتدَّتْ حتَّى تضرب إلى البياض قيل: هو أَمْلَحُ العينِ... الصحاح مادة ملح .

٦ أفسد عليهما . الصحاح مادة خنا .

وفي موطن مؤثر آخر شبه شاعرنا دموعه وقد تذكر من يحب بقطـرات النـدى اللاتي تتساقط من سدرة .

فَبِتُّ كَـأَنَّ العَـينَ أَفنـانُ سِـدرَةٍ　　عَلَيها سَقيطٌ مِن نَدى اللَيلِ يَنطُـفُ[1]

وتحدث عن نفسه بطريقة غير مباشرة ، وشبه نفسه وهو واقع تحت تأثير حـب تلك الحسناء بالمريض الذي يئست منه العوائد .

تُهينُ جَليـدَ القَـومِ حَتّـى كَأَنَّـهُ　　دَوٍ[2] يَئِسَت مِنـهُ العَوائِـدُ مُـدنَفُ

وفي التشبيه بالمرض أيضاً شبه نفسه بمن أصيب بالطاعون حتى أسقطه يوم نادى المناديان لسفر الحبيبة :

كَأَنِّي يَومَ حَـثَّ الحادِيـانِ بِهـا　　نَحوَ الإِوانَـةِ[3] بِالطـاعونِ مَتلـولُ

وقد شبه الشاعر قلبه المشتاق إلى من يحب بالصقر المأسور وهو يهفو للهروب من أسره :

يَكادُ القَلبُ مِـن طَـرَبٍ إِلَـيهِم　　وَمِـن طـولِ الصَـبابَةِ يُسـتَطارُ
يَظَـلُّ مُجَنَّـبَ الكَـنَفَينِ يَهفـو　　هُفَـوَّ الصَـقرِ أَمسَـكَهُ الإِسـارُ

وهذا البيت يذكرنا بقول المجنون :

كَأَنَّ القَلـبَ لَيلَـةَ قيـلَ يُغـدى　　بِلَيلـى العامِرِيَّـةِ أَو يُـراحُ
قَطـاةٌ عَزَّهـا شَـرَكٌ فَباتَـت　　تُجاذِبُـهُ وَقَـد عَلِـقَ الجَنـاحُ
لَهـا فَرخـانِ قَـد تُرِكـا بِقَفـرٍ　　وَعُشُّـهُما تُصَـفِّقُهُ الرِيـاحُ
إِذا سَـمِعا هُبـوبَ الـريحِ هَبّـا　　وَقـالا أُمَّنـا تَـأتي الـرَواحُ
فَلابِالليـلِ نالَـت مـا تُرَجّـي　　وَلا في الصُبحِ كـانَ لَهـا بَـراحُ

وفي موضع آخر شبه نفسه وقد أتى على السبعين سنة وقد تحنى جسمه بانحنـاء القوس المصنوع من شجر النبع[4] :

---

١ مر شرحه ص ٦٣ .

٢ مريض . اللسان مادة دوا .

٣ الإوانة في مياه بني عقيل بنجد . ديوان جران العود ص ٣٥

٤ الأبيات الثلاثة لم ترد في ديوانه برواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ولكنها وردت في حماسة البحتري ص ٢٠٧ .

لما أتيتُ على السبعين قلتُ له — يا ابن المسَحَّجِ هل تلوي من الكبرِ
شيخ تحنّى وأروى لحمُ أعظمِهِ — تحنّيَ النبعة[1] العوجاء في الوتَرِ
كأن لِمَّتَهُ[2] الشَّعْرَاءَ[3] إذا طلعت — من آخر الليل تتلو دارة العمرِ

٢- غزلياته وحبه للنساء :

شبه نفسه وهو متجه للقاء محبوباته ليلاً بالكسير الأحنف وذلك في قوله[4] :

كَأَنَّ النُمَيرِيَّ الَّذي يَتَّبِعنَهُ — بدارَةِ رُمحٍ[5] ظالِعُ الرِجلِ أَحنَفُ[6]

فإما أن يكون المقصود أنه بسبب تعلقه بهن كأنه كسير أو أنه من فرحه واستمتاعه يمشي ويغمز كالكسير .

وفي موطن آخر تحدث عن نفسه وعن تلك المشاعر التي ملأت قلبه وهو في لقائه بمحبوباته فقال[7] :

فَبِتنا قُعوداً وَالقُلوبُ كَأَنَّها — قَطاً شُرَّعُ الأَشراكِ مِمّا تَخَوَّفُ
عَلَينا النَدى طَوراً وَطَوارً يَرُشُّنا — رَذاذٌ سَرى مِن آخِرِ اللَيلِ أَوطَفُ
وَبِتنا كَأَنّا بَيَّتَتنا لَطيمَةٌ — مِنَ المِسكِ أَو خَوارَةُ الريحِ قَرقَفُ
يُنازِعنَنا لَذّاً رَخيماً كَأَنَّهُ — عَوائِرُ مِن قَطرٍ حَداهُنَّ صَيِّفُ
رَقيقُ الحَواشي لَو تَسَمَّعَ راهِبٌ — بِبُطنانَ قَولاً مِثلَهُ ظَلَّ يَرجُفُ
حَديثٌ لَو اِنَّ البَقلَ يولي بِنَفضِهِ — نَما البُقلُ وَاِخضَرّ العِضاهُ المُصَنِّفُ
هُوَالخُلدُ في الدُنيا لِمَن يَستَطيعُهُ — وَقَتلٌ لِأَصحابِ الصَبابَةِ مُذعِفُ

ووصف حبه لمحبوبته بأنه قتل[1] :

---

١ النَبْعُ: شجرٌ تُتَّخَذُ منه القسيّ.الواحدة: نَبْعَةٌ، وتُتَّخَذُ من أغصانها السهام. الصحاح مادة نبع .

٢ اللِمَّةُ بالكسر: الشعرُ يجاوز شَحمة الأذن، والجمع لِمَمٌ ولِمامٌ. الصحاح مادة لمم .

٣ كثيرة الشعر . الصحاح مادة شعر

٤ ديوان جران العود ص ١٩ .

٥ دارة رُمح: لعمرو بن ربيعة بن عبد الله ورمح أبرق أبيض يحل به "وادي بثيلة". وبثيلة ماء لهم رواء ببطن السُرّة وهي الى جنب بتيل، وبتيل جبل احمر ينادح دمخاً من ورائه ودمخ جبل لبني عمرو بن كلاب فيه اوشال كثيرة . الأمكنة والمياه والجبال (الموسوعة الشعرية)

٦ الحَنَفُ: الاعوجاجُ في الرِجل، وهو أن تُقْبِلَ إحدى إبهاميْ رجليه على الأخرى. والرجل أَحْنَفُ. وقال ابن الأعرابي: هو الذي يمشي على ظهر قَدَمه من شِقِّهَا الذي يلي خِنْصرَها. الصحاح مادة حنف

٧ مر الحديث حول هذه الأبيات ص ٤٣ .

كِلانــــا نَســـتَميتُ إِذا اِلتَقَينـــا وَأَبـــدى الحُـــبُّ خافِيَـــةَ الضَـــميرِ
فَتَقــــتُلُني وَأَقتُلُهــــا وَنَحيــــا وَنَخلِـــطُ مـــا يُمَـــوِّتُ بِالنُشـــورِ
وَلَكِنّــــا يُمَوِّتُنــــا رَســــيسٌ تَمَكَّـــنَ بِـــالمَوَدَّةِ في الصُـــدورِ

٣- امتداحه لنفسه :

جران العود فيه زهو بنفسه ، وإعجاب بطريقته في أسر قلوب النساء ، وهذا ظاهر في شعره.وهو عندما يريد أن يذكر ذلك يجعله أحياناً على لسان إحـــدى محبوباتـــه كقوله[٢] :

وَقالَت لَنا وَالعيسُ صُعرٌ مِنَ البُـــرى وَأَخفافُها بِالجَندَلِ الصُـــمِّ تَقـــذِفُ
وَهُـــنَّ جُنـــوحٌ مُصـــغِياتٌ كَأَنَّمـــا بُراهُنَّ مِن جَـــذبِ الأَزِمَّـــةِ عَلَّـــفُ
حُمِدتَ لَنا حَتّـــى تَمَنّـــاكَ بَعضُـــنا وَأَنتَ اِمرُؤٌ يَعروكَ حَمـــدٌ فَتُعـــرَفُ
رَفيعُ العُلا في كُلِّ شَـــرقٍ وَمَغـــرِبٍ وَقَولُـــكَ ذاكَ الآبِـــدُ المُتَلَقَّـــفُ
وَفيـــكَ إِذا لاقَيتَنـــا عَجـــرَفِيَّـــةٌ مِراراً وَما نَســـتيعُ مَـــن يَتَعَجـــرَفُ
تَميلُ بِكَ الـــدُنيا وَيَغلِبُـــكَ الهَـــوى كَما مالَ خَـــوّارُ النَقـــا المُتَقَصِّـــفُ
وَنُلقى كَأَنّـــا مَغـــنَمٌ قَـــد حَوَيتَـــهُ وَتَرغَبُ عَن جَزلِ العَطاءِ وَتُســـرِفُ

وفي موطن آخر لم يفت جران العود أن يصف كيف كان يسرع للقاء حبيبات قلبه اللاتي استحق حبهن لما كان به من صفات ؛ إذ يشبّه إلمامه بهن بإلمام القطامي بالقطا وأنه أسرع منه حين يخطف صيدته فيقول[٣] :

يُلِمُّ[٤] كَإِلمامِ القُطـــامي[٥] بِـــا لقَطـــا وَأَسرَعُ مِنهُ لَمَّـــةً حـــينَ يَخطَـــفُ

---

١ مر الحديث حول هذه الأبيات ص ٤٧ .

٢ مر الحديث حول هذه الأبيات ص ٤٢.

٣ ديوان جران العود . ص٢٤ .

٤ ينزل . اللسان مادة لمم .

٥ القُطامِيُّ: الصِّقْر، ويفتح. وصَقر قَطام وقَطامِيٌّ وقُطامِيٌّ: لَحِمٌ، قيس يفتحون وسائرالعرب يضمون وقـــد غلـــب عليه اسماً، وهو مأْخوذ من القَطِم وهو المشتهي اللحْم وغيره. اللسان مادة قطم .

الفصل الثالث
المجاز في شعر جران العود

المجاز في اللغة العربية:

جُزْتُ الموضع أجوزُهُ جَوازاً: سلكته وسرت فيه. وأَجَزْتُهُ: خَلَّفْتُهُ وقطعتُهُ.... وجاوَزْتُ الشيءَ إلى غيره وتَجاوَزْتُهُ بمعنًى، أي جُزْتُهُ...وتَجَوَّزَ في صلاته، أي خَفَّفَ. وتَجَوَّزَ في كلامه، أي تكلَّمَ بالمجاز. وقولهم: جعلَ فلانٌ ذلك الأمر مَجازاً إلى حاجته، أي طريقاً ومسلكاً...[1]

فالمجاز مصدر جزت مجازاً ، ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه ، وجزت تعديت .

المجاز في اصطلاح بعض كبار البلاغيين[2]:

من أوائل من تحدث عن الحقيقة والمجاز الجاحظ؛ وهو عنده مقابل للحقيقة ؛ فالحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له أصلاً ، كما أن المجاز عنده هو " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي "[3]

ومن معاصري الجاحظ الذين عرضوا لموضوع المجاز وكان لهم رؤية خاصة له بن قتيبة الدينوري[4] (٢٧٦هـ) الذي اهتم بالرد على من أنكروا المجاز .

---

[1] الصحاح مادة جوز.

[2] أخذت الترتيب التاريخي لآراء البلاغيين في المجاز من كتاب علم البيان . الدكتور عبدالعزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت ١٤٠٥هـ . ص ١٣٥هـ بتصرف ورجوع إلى المصادر الأصلية .

[3] علم البيان . الدكتور عبدالعزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت ١٤٠٥هـ . ص ١٣٥،١٣٦هـ

[4] أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي. عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، موسوعيٌّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة. ولد بالكوفة سنة٢١٣هـ، ثم انتقل إلى بغداد، عاصر قوة الدولة العباسية، وصراع الثقافات العربية والفارسية والأجناس العربية وغير العربية، اختير قاضيًا لمدينة الدينور، ومن ثم لقب بالدينوري. وفي عهد الخليفة المتوكل العباسي، الذي أزال هيمنة فكر المعتزلة، عاد ابن قتيبة إلى بغداد، وشهر قلمه وسخره لإعلاء السنة وتفنيد حجج خصومها، وبذلك استحق أن يقال: إنه في أهل السنة بمنزلة الجاحظ عند المعتزلة.مؤلفاته متعددة، توفي سنة ٢٧٦هـ نقلا عن تقدمة الأستاذ أحمد محمد شاكر لكتاب الشعر والشعراء ص ٤٩-٥٥ والموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia ، http://www.mawsoah.net بتصرف .

وفي ذلك يقول : "لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ، لأنا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ورخص السعر ..."[1]

أما أبو الحسين أحمد بن فارس[2] (٣٩٦هـ) فعرَّف الحقيقة والمجاز بقوله :" الحقيقة هي الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير ... وقد يكون غيره ويجوز جوازه لقربه منه إلا أن فيه تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول كقولك : عطاء فلان مزن واكف ، فهذا تشبيه . وقد جاز مجاز قوله : عطاؤه كثير واف"[3]

ويقول ابن رشيق القيرواني[4] (٤٥٦هـ) : "المجاز أبلغ من الحقيقة في كثير من الكلام ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز ، لاحتماله وجوه التأويل ، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا بالمجاز ، باباً بعينه ، وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب ، كما قال جرير بن عطية :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

---

[1] تأويل مشكل القرآن.لابن قتيبة الدينوري،تحقيق إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،٢٠٠٧/٠٥/٣١.ص ٨٥ .

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة ٣٩٥هـ، وإليها نسبته. (الأعلام ١ / ١٩٣) .

[3] الصاحبي .لابن فارس تعليق أحمد حسين بسبح .منشورات دارالكتب العلمية ط الأولى١٤١٨هـ ص ١٤٩،١٥٠

[4] الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، ناقد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة (بالمغرب) سنة ٣٩٠هـ وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيرواون سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر((Mazzara)) إحدى مدنها، إلى أن توفي سنة ٤٦٣هـ. من كتبه العمدة في صناعة الشعر ونقده (الأعلام ١٩١/٢)

أراد المطر لقربه من السماء ، ويجوز أن يكون أن تريد بالسماء السحاب ، لأن كل ما أظلك سماء ، وقال: سقط يريد سقوط المطر الذي فيه ، وقال: رعيناه والمطر لا يرعى ، ولكنه أراد النبت الذي يكون عنه فهذا كله مجاز "[1]

وقال الإمام عبدالقاهر[2] (٤٧١هـ) : " كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها ، لملاحظة بين الثاني والأول ، فهي مجاز "[3]

أما السكاكي[4] (٦٢٦ هـ) فقد عرض للحقيقة والمجاز وعرفهما بقوله : " الحقيقة اللغوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له ، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع "[5]

وذكر ابن الأثير (٦٣٧هـ) المجاز في كتابه المثل السائر فقال : " وأما المجاز فهو ما أريد به غير الموضوع له في أصل اللغة ، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه "[6]

أقسام المجاز :

من أشهر تقسيمات المجاز تقسيمه إلى : لغوي ، وعقلي .

واللغوي نوعان : مجاز مرسل ، واستعارة .

والاستعارة بحسب طرفيها (المشبه) و(المشبه به) نوعان : تصريحية ، ومكنية .

---

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ، قدم له وشرحه وفهرسه الدكتور صلاح الهواري والأستاذة هدى عودة . دار ومكتبة الهلال ط الأولى ١٤١٦هـ . ٤٢٢/١.

[2] تقدم التعريف به ص ٢٥.

[3] أسرار البلاغة ٣٥١

[4] يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده سنة ٥٥٥هـ ووفاته سنة ٦٢٦هـ بخوارزم. من كتبه " مفتاح العلوم " (الأعلام ٢٢٢/٨)

[5] تلخيص المفتاح ، القزويني ، ص ١٤٩

[6] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرلأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن الأثير الموصلي ، المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٧٤/١

فالمجاز اللغوي : "هو نقل الكلمة من معناها الحقيقي (المعجمي) الذي وضع لها في الأصل ، إلى معنى جديد، لوجود علاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني ، ووجود قرينة تمنع المعنى الأول ، وتدل على المعنى الثاني"[1] .

والمجاز العقلي : هو المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب ، ويسمى كـــذلك : المجاز الإسنادي ، والمجاز الحكمي ، والمجاز المركب ، وفي هذا النوع تكـــون الألفـــاظ مستعملة في معناها الحقيقي الأصلي ، ويكون المجاز عن طريق إسناد كلمة إلى أخـــرى ، بحيث يقضي العقل باستحالة هذا الإسناد على وجه الحقيقة ، فنتوجه إلى المجاز العقلي .

عرفه القزويني[2] في الإيضاح بقوله: " هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعل غـــير فاعله الحقيقي لعلاقة بينهما "[3]

والمجاز المرسل :هو " مجاز لغوي مفرد علاقته غير المشابهة "

وذلك مثل لفظة (اليد) إذا استعملت في معنى (النعمة) ، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها ، وقد سماه البلاغيون مجازاً مرسلاً لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة .[4]

والاستعارة : في اللغة من العارية ، وهي ما يتداوله الناس بينهم ، أو هي نقل الشيء من شخص إلى آخر ، واستعار الشيء : طلب منه أن يعيره إياه .[5]

---

[1] البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات . د عيســـى بـــا طـــاهر . دار الكتـــاب الجديـــد . ط الأولى ٢٠٠٨م . ص ٢٤٩،٢٥٠.

[2] محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق.من أحفـــاد أبي دلف العجلي: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده سنة ٦٦٦هـــ بالموصـــل.ولي القضـــاء في ناحيـــة بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـــ فقضاء القضاة بمصر (سنة ٧٢٧) ونفاه السلطان الملك الناصـــر إلى دمشـــق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي سنة ٧٣٩هـــ من كتبه (تلخيص المفتاح – ط) في المعاني والبيان، و (الايضاح – ط) في شرح التلخيص، و (السور المرجاني من شعر الارجاني). وكان حلو العبارة، أديبـــا بالعربيـــة والتركيةوالفارسية، سمحا، كثير الفضائل (الأعلام ١٩٢/٦) .

[3] الإيضاح . ص ٩٨.

[4] علم البيان ، ص ١٥٧.

[5] اللسان . مادة عور .

ولعلنا نلحظ من ذلك صلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة ومعناها الاصطلاحي .

فالاستعارة في اصطلاح البلاغيين :

نقل اللفظ من معناه الذي عُرف به ووُضع له إلى معنى آخر لم يُعرف به من قبل ، لوجود علاقة تشبيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، ووجود قرينة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، وتوجب المعنى المجازي .

ومن أوائل من التفت إليها وتحدث عنها الجاحظ[1] ؛ فالاستعارة عنده " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه " حيث قال معلقاً على قول الشاعر[2] :

يادارُ قدْ غيَّرها بِلاها	كأنما بقلمٍ محاها
أَخربها عُمرانُ مَن بناها	وكرُّ مُمساها على مغناها
وطَفِقتْ سحابةٌ تغشاها	تبكي على عِراصِها عيناها

فقد علق على البيت الثالث بقوله : "...جعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه..."[3]

أما ابن المعتز[4] (٢٩٦هـ) فتحدث عن الاستعارة وعدها أول باب كتابه (البديع) وأورد لها أمثلة من الكلام البديع من نحو قوله تعالى :{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}[1]وقوله تعالى : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}[2].

---

[1] علم البيان ، ص ١٦٨.

[2] لم أقف على قائلها .

[3] البيان والتبيين،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مكتبة الرياض الحديثة . ١٥٢/١.

[4] عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، سنة ٢٤٧هـ وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.وصنف كتبا، منهاالبديع ، وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد

وعلق على هذا الكلام بقوله :"وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب ، ومثل جناح الذل ..."[3]

وعقد قدامة بن جعفر[4] في كتابه (نقد النثر) باباً للاستعارة بين فيها الحاجة للاستعارة في كلام العرب ومفهومها عندهم ؛ حيث يقول :"وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم ، وليس هذا في لسان غير لسانهم ، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره ، وربما استعاروا بعض ذلك بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز ..."[5]

وعرفها القاضي الجرجاني[6] بقوله :"فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يُتوصل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر "[7]

وعرفها الإمام عبدالقاهر بقوله :" اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله

فخلعوه، وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه " المرتضي بالله " وبايعوه بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه. وعاد المقتدر، فقتله سنة ٢٩٦هت. وللشعراء مراث كثيرة فيه.

[1] سورة الزخرف (٤) .

[2] سورة الإسراء (٢٤) .

[3] البديع لابن المعتز . ص ٢ .

[4] قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وتوفي ببغدادسنة ٣٣٧هـ. يضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها نقد النثر (الأعلام ١٩١/٥) .

[5] نقد النثر لقدامة بن جعفر . ص ٦٤.

[6] علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن: قاض من العلماء بالأدب. كثير الرحلات، له شعر حسن. ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الري، فقضاء القضاة. وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٢هـ، وهو دون السبعين، فحمل تابوته إلى جرجان.من كتبه " الوساطة بين المتنبي وخصومه (الأعلام ٣٠٠/٤) .

[7] الوساطة بين المتنبي وخصومه .لأبي الحسن علي بن عبدالعزيز الشهير بالقاضي الجرجاني ،عناية أحمد عارف الزين مطبعة العرفان ، صيدا ، ص ٣١٩.

الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل،وينقله إليه نقلاً غـيرَ لازمٍ، فيكـون هنـاك كالعارِيَّة"[1].

وعرفها السكاكي بقوله : " الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخـر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به "[2]

ويتبين لنا بعد هذه الجولة في ما قاله بعض علماء البلاغة الكبار الأمور التالية[3] :

١- الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً .

٢- وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه .

٣- تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه ، فيسمى المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً .

٤- قرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية .

والاستعارة بحسب طرفيها (المشبه) و(المشبه به) نوعان : تصريحية ، ومكنية .

فالتصريحية: تشبيه حُذف المشبه فيه وصُرِّح بالمشبه به .

والمكنية : تشبيه حذف المشبه به وذُكر المشبه .ودُل على المشبه بشيء من صـفاته ولوازمه .

المجاز في شعر جران العود

عندما نتأمل في شعر جران العود النميري ؛ نجده مليئاً بالصور البيانية الجميلة ؛ غير أن الصور المجازية في شعره ليست بكثرة الصور التشبيهية ؛ ولكنها مع قلتها صور تسـتحق الوقوف.

وقد وردت هذه الصور في الموضوعات نفسها التي جاءت في الصور التشبيهية مـع اختلاف يسير، وحظيت المرأة بأكثرها :

- المرأة

---

[1] أسرار البلاغة ، ص ٣٠ .

[2] الإيضاح ، ص ٢٢٦.

[3] علم البيان ، ص ١٧٧ ، بتصرف .

- الطلل
- الطير
- جران العود وحديثه عن نفسه.
- مظاهر الطبيعة والحياة.

أولاً / المرأة :

لم يأت وصف جران العود بأنه كان تبعَ نساء عبثاً! فقد حظيت المرأة بأكثر الصور البيانية في شعره .

وكما بين الباحث سابقاً أن ذكر المرأة في شعره من جانبين ؛ جانب الذم وجانب المدح .

فأما جانب الذم فقد جاءت فيه صور مجازية غاية في الطرافة ، سأتناولها بشيء من التحليل :

يقول جران العود[1] :

أَلالا يَغُرَّنَ اِمرَأً نَوفَلِيَّةٌ عَلى الرَأسِ بَعدي أَو تَرائِبُ وُضَّحُ
وَلا فاحِمٌ يُسقى الدِهانَ كَأَنَّهُ أَساوِدُ يَزهاها لِعَينَيكَ أَبطَحُ
وَأَذنابُ خَيلٍ عُلِّقَت في عَقيصَةٍ تَرى قُرطَها مِن تَحتِها يَتَطَوَّحُ[2]

عندما نقرأ هذه الأبيات في ذم زوجته يتبين لنا أن جران العود وظف المجاز لينال منها ويقبحها !فهاهو يسند الخداع إلى النوفلية وهي طريقة زوجته في مشاط شعرها وتسريحه ، فهو يريد أن يخلي زوجته من كل حُسن ؛ فهي لا تمتلك صفات تجذب ولكنها تفعل طرائق تخدع وهاهي تجعل نوفليتها فوق شعرها لتخدع الرجال .

---

[1] الديوان ص ١ .

[2] مر شرحها ص ٣٠، ٣١ .

هنا صورة مجازية طريفة إذ أسند الخداع إلى النوفلية بعلاقة السببية ، فالنوفلية سبب الانخداع .

فهو مجاز عقلي حيث أسند الخداع والتغرير إلى النوفلية ، والنوفلية ماهي إلا امتشاط جامد لا يملك إرادة الخداع والتغرير ؛ ولكنه سبب تتخذه زوجته لتخدع به .

لقد استفاد شاعرنا من المجاز العقلي واختار الكلمة المناسبة لإجرائه فيها . فالشعر جمال المرأة وهو الصفة التي تفتن الرجال فيها .

ولكن زوجته لا تمتلك ذلك الشعر الفاتن فذهبت لتمشطه وتصله بشعر مستعار (نوفلية) لتخدع به الرجال .

"والمجاز العقلي شأنه شأن المجاز بعامة، يحيي التعبير ، ويمنحه طاقة مؤثرة"[1]، ولا ولا شك أن إسناد الخداع هنا للنوفلية أوصل المعنى ، ونقل مشاعر الشاعر النفسية وإحساسه تجاه زوجته التي آذته وأقلقته .

وهناك مجاز عقلي آخر في البيت نفسه ، وهو إسناد الخداع والتغرير للترائب الوضح ،وهي الصدور البيضاء .

وكأنه يومئ للمثل العربي المشهور (ماكل بيضاء شحمة)[2] فما كل امرأة صدرها أبيض اللون تستحق أن يميل لها الرجل ويعشقها .

---

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي .مثال ونقد . ص ١٥٥.

[2] ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة وحديثه، أنه كانت هند بنت عوف بن عامر بن نزار بن بجيلة تحت ذهل ابن ثعلبة بن عكابة، فولدت له ذهل بن مالك فكان عامر وشيبان مع أمهما في بني ضبة. فلما هلك مالك بن بكر انصرفا إلى قومهما، وكان لهما مال عند عمهما قيس بن ثعلبة فوجداه قد أتواه، فوثب عامر بن ذهل فجعل يخنقه، فقال قيس: يا ابن أخي، دعني فإن الشيخ متأوه، فذهب قوله مثلاً. ثم قال: ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة. يعني أنه، وإن أشبه أباه خلقاً، فلم يشبه خلقاً. فذهب قوله مثلاً. يضرب في موضع التهمة. مجمع الأمثال – أبو الفضل النيسابوري دار المعرفة – بيروت تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٨١/٢ و مجمع الأمثال للميداني المستقصى من أمثال العرب للزمخشري .

وشاعرنا عندما يجري هذا المجاز العقلي ويحيي في نفوسنا هذا المثل العربي الذي يُضرب في موضع التهمة ، كأنه يريد أن يوقظ ويحذر لئلا يقع الاغترار بهذا الصنف من النساء . ويتهم زوجته بأنها غرته وخدعته .

ثم يثلث بمجاز عقلي آخر في ذم زوجته والتحذير منها ومن شبيهاتها ، فيسند الخديعة والتغرير لشعرها الفاحم . حيث إن هذا الشعر عند العرب مغرٍ وجاذبٌ ، وقد تغنى به الشعراء فهذا امرئ القيس يقول[1] :

وَفَرعٍ يَزينُ المَتنَ أَسوَدَ فاحِمٍ أَثيثٍ كَقِنوِ النَخلَةِ المُتَعَثكِلِ[2]

غَدائِرُها مُستَشزِراتٌ إِلى العُلا تَضِلُّ العِقاصَ في مُثَنّىً وَمُرسَلِ[3]

ويقول دوقلة المنبجي[4] :

وَيَزينُ فَودَيها إِذا حَسَرَت ضافي الغَدائِرِ فاحِمٌ جَعدُ

وأما جانب مدح المرأة والثناء عليها :

فقد جاءت صور مجازية جميلة في شعر جران العود ، فمن ذلك قوله واصفا حديث حبيباته[5] :

حَديثٌ لَوَانَّ البَقلَ يُولَى[1] بِنَفضِهِ نَما البُقلُ وَاخضَرّ العِضاةُ[2] المُصَنِّفُ[3]

---

[1] شرح القصائد العشر للإمام الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، دار الجيل ، بيروت ، ص ٣٠،٣١.

[2] الفرع : الشعر ، المتن : الظهر ، أثيث : كثيف ، القنو : العذق الجاف الذي جُرّد من تمره ، المتعثكل: الذي يبرز منه أشياء كأنّها تتحرّك في الهواء.

[3] الغدائر الذوائب واحدها غديرة ، ومستشزرات مرفوعات وأصل الشزر الفتل وقد ضربوا هذه الكلمة مثلاً للألفاظ غير الفصيحة لما فيها من تنافر الحروف (شرح القصائد العشر ص ٣١)

[4] الحسين بن محمد المنبجي، المعروف بدوقلة.شاعر مغمور، تنسب إليه القصيدة المشهورة باليتيمة، ووقعت نسبتها إليه في فهرست ابن خير الأندلسي وهي القصيدة التي حلف أربعون من الشعراء على انتحالها ثم غلب عليها اثنان هما أبو الشيص والعكوك العباسيان، وتنسب في بعض المصادر إلى ذي الرمة، وشذ الآلوسي في بلوغ الأرب فجعلها = من الشعر الجاهلي، وتابعه جرجي زيدان في مجلة الهلال (١٤-١٧٤)، وخلاصة القول أن القصيدة كانت معروفة منذ القرن الثالث الهجري عند علماء الشعر، وأول من ذهب أنها لدوقلة هو ثعلب المتوفى سنة291 هـ (الموسوعة العالمية للشعر العربي http://www.adab.com/index.php)

[5] الديوان ص ٢١ .

فقد شبه حديثهن بالمطر وحذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو النفض في استعارة مكنية جميلة جداً . تجعل السامع لهذا الوصف يتمنى لو استمتع بهـــذا الحديث العذب الذي ينمي البقل ويجعل العضاة يخضر .

ويصف محبوبته في قصيدته اللامية[4] :

تَشفي مِنَ السَلِّ وَالبِرســامِ[5] ريقَتُهــا   سُقمٌ لِمَــن أَســقَمَت داءٌ عَقابيــلُ[6]

تَشفي الصَدى[7] أَينَما مالَ الضَجيعُ بِها   بَعدَ الكَــرى ريقَــةٌ مِنــها وَتَقبيــلُ

يَصبو إِلَيها وَلَو كانوا عَلــى عَجَــلٍ   بِالشَعبِ مِن مَكَّةَ الشــيبُ المَثاكيــلُ

تَسبي القُلوبَ فَمِن زُوّارِهــا دَنِــفٌ   يَعتَـــدُّ آخِـــرَ دُنيـــاهُ وَمَقتـــولُ

لقد وظف جران العود المجاز العقلي ليزين صورة محبوبته كما وظفه سابقاً ليقبح صورة زوجته .فقد أسند الفعل إلى السبب .

وفي قوله :

تَشفي الصَدى أَينَما مالَ الضَجيعُ بِها   بَعدَ الكَــرى ريقَــةٌ مِنــها وَتَقبيــلُ

نجد مجازاً عقلياً آخر إذ أسند الفعل تشفي للسبب وهو الريق.

وفي قوله (تَسبي القُلوبَ فَمِن زُوّارِها دَنِفٌ) هنا مجاز عقلي إذ أسند سبي القلوب لمحبوبته ، والقلوب في محلها لم تأخذها هذي المحبوبة ولكنه المجاز الذي يضفي على الصورة البيانية هذه المبالغة اللطيفة .

---

[1] يولي : يصيبه المطر مرة بعد مرة من الولي وهو المطر الثاني . ويقال لأول مطر الوسمي . اللسان مادة :ولي .

[2] العِضاةُ: كلُّ شجرٍ يعظم وله شوكٌ. وواحدة العِضاةِ عِضاهَةٌ، وعِضَهَةٌ، وعِضَةٌ . الصحاح مادة عضه .

[3] الذي قد جف بعضه وبقي بعضه . اللسان مادة صنف .

[4] الديوان ص ٣٨.

[5] يقول الجوهري: البِرْسامُ علَّة معروفة، وقد بُرْسِمَ الرجل، فهو مُبَرْسَمٌ. اللسان . مادة برسم . وجــاء في حاشــية ديوان جران العود البرسام : التهاب الصدر .

[6] العَقَابيلُ: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وقيل: هو الذي يخرج على الشَّفَتَيْنِ غِبَّ الحُمَّى، الواحدة منــهما جميعــاً عُقْبُولة وعُقْبُول، والجمع العَقَابِيل... اللسان مادة عقبل .

[7] العطش ، الصحاح مادة صدى .

وفي قوله[1] :

سَقياً لَـزَورِكَ مِـن زَورٍ أَتـاكَ بِـهِ   حَديثُ نَفسِكَ عَنهُ وَهـوَ مَشـغولُ

يَختَصُّني دونَ أَصحابي وَقَـد هَجَعـوا   وَاللَيـلُ مُجفِلَـةٌ أَعجـازُهُ ميـلُ

هنا استعارة تصريحية جميلة حيث شبه خيال محبوبته بالزائر وحذف المشبه وأبقى المشبه به في صورة جميلة تنقل لنا مشاعره وأحاسيسه بكل دقة .

ثانياً / الطلل :

كما بين الباحث في الفصل السابق الأطلال ليست فقط في بقايا الديار والآثار ! بل كل ما ذكَّر المرء بماضيه فهو طلل يقف عنده الشاعر ليعيش الذكريات.

وقد أبدع جران العود في صوره التشبيهية التي صور فيها الأطلال ، وكانت تلك الصور ميداناً جميلاً قرأنا فيه شخصيته ووقفنا على جوانب من حياته .

وعند مقارنة صوره التشبيهيه بصوره المجازية للأطلال ؛ نجد أن الصور التشبيهية أكثر من المجازية .

فمن ذلك قوله[2] :

هَلَ اِنـتُم واقِفـونَ عَلـى السُـطورِ   فَنَنظُـرَ مـا لَقـينَ مِـنَ الـدُهورِ

تُـرِكنَ بِرِحلَـةِ الرَوحـاءِ حَتّـى   تَنَكَّـرَتِ الـدِيارُ عَلـى البَصـيرِ

هنا نجد كيف جعل جران العود المجاز يبعث الحياة في الديار ! فالديار ليست جامدة لا تتفاعل مع الناس ، بل هي لها مشاعرها وأحاسيسها فلقد تنكر على كل من جاء يبصرها وكأنها تعاتبهم على تركهم لها .

استعارة مكنية كانت الديار فيها لها أحاسيس الإنسان العاقل المرهف الذي عتب على من تركه وجفاه .

---

[1] الديوان . ص ٥٥ .

[2] الديوان ، ص ٢٤ .وقد تقدم شرح كلمات البيتين ص ٦٠.

ويقول في موضع[1] آخر :

نُبِّئـــتُ أَنَّ بُرَيـــداً خَـــفَّ حاضِـــرُهُ   مِنـــهُ وَزايَلَـــهُ المَرعِـــيُّ وَالهَمَـــلُ
وَقَد رَأَيـــتُ بِهـــا الأَصـــرامَ يَجمَعُهُـــم   سَهلُ الأَباطِحِ لا ضـــيقٌ وَلا جَـــرَلُ

هنا مجاز مرسل في قوله (يجمعهم سهل الأباطح) فالسهل لا يجمع بل ساكن السهل . ونرى كيف أن المجاز جعل هناك علاقة حميمية بين المكان وساكنه .

ثالثاً/ الطير :

أورد جران العود صور مجازية قليلة للطير ، ولكنها صور جميلة تستحق التأمل . يقول[2] :

فَمَوعِدُكَ الشَطُّ الَّـــذي بَـــينَ أَهلِنـــا   وَأَهلِكَ حَتّى تَسمَعَ الديكَ يَهتِـــفُ

هنا نجد استعارة مكنية ؛ حيث شبه الديك بالإنسان الذي يهتف وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وصفاته وهو الهتاف .

لقد أضفت هذه الاستعارة على هذه الصورة التي صورها لنا جران العود الحياة والحراك! فالديك الصائح قبيل الفجر صار إنساناً متعاطفاً مع جران العود ومحبوباته فهو يهتف لينبههم فيكفيهم عيون الناس .

ويقول شاعرنا[3] :

وَذَكَّـــرَني الصِـــبا بَعـــدَ التَنـــاهي   حَمامَـــةُ أَيكَـــةٍ تَـــدعو الحَمامـــا

لقد أضفت الاستعارة المكنية هنا على هذه الصورة المؤثرة بعداً آخر من التأثير ؛ فقد شبه الحمامة بالإنسان القريب إلى نفسه ، فقد قامت تذكره الصبا وتدعو صويحباتها.

ثم قال في القصيدة نفسها:

كَســـاهُ اللَـــهُ يَـــومَ دَعـــاهُ نـــوحٌ   نِظامـــاً مـــا يُريـــدُ بِـــهِ نِظامـــا

---

[1] الديوان ، ص ٣١ . وقد تقدم شرح البيتين ص ٦١.
[2] الديوان ، ص ١٧ .
[3] الديوان ، ص ٣٣ . ومر شرح البيت ص ٦٤ .

أُتِيحَ لَهُ ضُحىً لَمّا تَنَمّى	عَلى الأَغصانِ مُنصَلِتاً قَطاما
فَقَدَّ حِجابَهُ بِمُذَرَّباتٍ	يُرِينَ الحائِناتِ بِهِ الحِماما
تَرى الطَيرَ الرَوائِدَ مُعصِماتٍ	حِذاراً مِنهُ بالغيلِ اعتِصاما
دَعَتهُ فَلَم يُجِب فَبَكَتهُ شَجواً	فَهَيَّجَ شَوقُها وُرقاً تُؤاما

لقد وظف الاستعارة المكنية توظيفاً جميلاً ، جعل الصورة البيانية هنا تنطق بالحزن والبكاء . فقد شبه الطيور التي كانت لاتصدر صوتا ثم صاحت بعد أن تأكدت من ابتعاد الصقر بالإنسان الذي ينادي صاحبه المفقود ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو مناداة الصديق .

وأيضاً شبهها بالإنسان الذي بكى لما فقد صاحبه وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو البكاء .

رابعاً/ جران العود وحديثه عن نفسه:

ديوان جران العود كله بيان لمشاعره وأحاسيسه ، وقد جاءت صور بيانية جميلة في حديثه المباشر عن نفسه ومشاعرها ، أو امتداحه لنفسه .

فهاهو يذكر مشاعره في لحظات تذكر الصبا[1] :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ	وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ

فقد رسم صورة بيانية مجازية لحزنه وبكائه في لحظات تذكره للصبا فقال : (فانهلت العين) وهل العين تنهل أم دمعها ؟ لاشك إنه دمعها ولكنه مجاز مرسل إذ عبر بالمحل وهو العين وأراد الحال فالعلاقة المحلية .

ثم جاء بصورة مجازية أخرى (وراجعك الشوق) وهل الشوق يراجع ويحاور ويجادل ؟! لقد جاء باستعارة مكنية إذ شبه الشوق بالإنسان اللحوح وحذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه ، وهو المراجعة والمعاودة . ليبالغ في بيان شوقه وتكراره .

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن مشاعره وهو يفارق حبيبته[1] :

---

[1] الديوان ص ١٣ .

كَأَنَّني يَــومَ حَــثَّ الحادِيــانِ بِهــا   نَحوَ الإِوانَــةِ بِالطــاعونِ مَتلــولُ
يَومَ اِرتَحَلتُ بِرَحلــي دونَ بِــرذَعَتي   وَالقَلبُ مُستَوهِلٌ بِــالبَينِ مَشــغولُ
ثُمَّ اِغتَــرَزتُ عَلــى نِضــوي لِأَبعَثَــهُ   إِثرَ الحُمولِ الغَوادي وَهــوَ مَعقــولُ
فَاِستَعجَلَت عَــبرَةٌ شَــعواءُ قَحَّمَهــا   ماءٌ وَمالَ بِها في جَفنِهــا الجــولُ[2]

إذ جاء باستعارة مكنية جميلة في وصفه لعبراته حيث شبه العبرة بالإنسان المســتعجل وحذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو العجلة .

فنحن عندما نقرأ هذا البيت ترتسم في مخيلتنا دموعه وهي تتقاطر مسرعة وكأن كل قطرة لها إرادتها وتصرفها الخاص الذي يجعلها تستعجل النزول .

إن جران العود يتفنن في أساليبه المجازية ليرسم هذه اللوحات الجميلة الــتي تــؤثر في القلوب .

ويمتدح نفسه قائلاً[3] :

أَلا يــــا رُبَّ ذي شَــــرَفٍ وَمَجــــدٍ   سَيُنسَــــبُ إِن هَلَكــــتُ إِلى القُبــــورِ
وَمَشــــبوحِ الأَشــــاجِعِ أَرَيحِــــيٍّ   بَعيــــدِ الــــذِكرِ كَــــالقَمَرِ المُــــنيرِ
رَفيــــعُ النــــاظِرَينِ إِلى المَعــــالي   عَلــى العِلّــاتِ ذي خُلُــقٍ يَســيرِ
يَكــادُ المَجــدُ يَنضَــحُ مِــن يَدَيــهِ   إِذا دُفِــعَ اليَتــيمُ عَــنِ الجَــزورِ

يمتدح جران العود نفسه بهذه الأبيات الجميلة ، ويأتي فيها بهذا المجاز المرســل الجميل ، إذ أسند النضح إلى المجد وجعله يخرج من اليد لعلاقة الآلية ؛ فاليد آلــة العطاء والكرم .

"وامتداح جران العود لنفسه أو الفخر ، كما يسميه القدماء قليل في شعره ، فهو لا يأتي إلا عرضاً بين أبيات قصيدة غزلية ، وكأنها إشارة سريعة"[4] .

---

[1] الديوان ص ٣٥.

[2] عبرة : دمعة ، شعواء : متفرقة ، قحمها : أسرع بها ، أي دفع بعضها بعضاً ، الجول : جانب العين . شرح ابن حبيب لديوان جران العود ص٣٥ .

[3] الديوان ص ٢٦.

[4] الشاعر المحسن ص ٣٧ بتصرف.

خامساً / مظاهر الطبيعة والحياة :

"قامت حياة العربي على الرحلة والانتقال سعياً وراء الكلأ ، وبحثاً عن الماء ، يقيم حيث يرى الرزق ، فيحل بخيمته وينصب أثافيه ويوقد النار ويعيش حتى ينضب هذا المورد فينتقل إلى غيره ، ويعيش بذلك في مساس مع الطبيعة وتجاور مستمر ، يرعى النجوم في أفلاكها ، وينظر إلى السماء وكوكبها ، ويراقب السحب والغيوم والرعد والبرق ،يعبر الصحراء ويمر بالوهاد والتلول والنجاد والسواقي والمياه ، ..."[1]

وجران العود شأنه شأن العربي الذي يعيش متأملاً في الطبيعة حوله ، وقد ورد ذكرها في شعره كثيراً كما مر في حديثنا عن الصور التشبيهية في شعره .

والصور المجازية التي ذكرتْ الطبيعة ومظاهر الحياة أقل بكثير من تلك الصور التشبيهية التي أوردها .

فهاهو يقول[2] في صورة جميلة مر ذكرها في الصور التشبيهية ، ونقف مع الصور المجازية فيها :

ذَكَرتَ الصِبا فَانهَلَّتِ العَينُ تَذرِفُ ... وَراجَعَكَ الشَوقُ الَّذي كَنتَ تَعرِفُ

وَكانَ فُؤادي قَد صَحا ثُمَّ هاجَني ... حَمائِمُ وُرقٌ بالمَدينَةِ هُتَّفُ

كَأَنَّ الهَديلَ الظالِعَ الرِجلِ وَسطَها ... مِنَ البَغى شِرّيبٌ يُغَرِّدُ مُترَفُ

يُذَكِّرنَنا أَيّامَنا بِعُوَيقَةٍ ... وَهَضبِ قُساسٍ وَالتَذَكُّرُ يَشعَفُ

وَبيضاً يُصَلصِلنَ الحُجولَ كَأَنَّها ... رَبائِبُ أَبكارِ المَها المُتَأَلِّفُ

فَبِتُّ كَأَنَّ العَينَ أَفنانُ سِدرَةٍ ... عَلَيها سَقيطٌ مِن نَدى اللَيلِ يَنطُفُ

أُراقِبُ لَوحاً مِن سُهَيلٍ كَأَنَّهُ ... إِذا ما بَدا مِن آخِرِ اللَيلِ يَطرِفُ

يُعارِضُ عَن مَجرى النُجومِ وَيَنتَحي ... كَما عارَضَ الشَوكَ البَعيرَ المُؤَلَّفُ

بَدا لِجِرّانِ العَودِ وَالبَحرُ دونَهُ ... وَذو حَدَبٍ مِن سَروِ حِميَرَ مُشرِفُ

---

[1] وصف الطبيعة في الشعر الأموي ، إسماعيل أحمد شحاده العالم .مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٠٧هـ،ص ١٣ .

[2] الديوان ص ١٣ ، وقد مر شرحها.

هنا صورة مجازية استعارية في قوله : (وَذو حَدَبٍ مِن سَروِ حِمِيَرَ مُشرِفُ[1]) حيث شبه سروحمير بالإنسان وحذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو الإشراف في استعارة مكنية جميلة أضفت على المعنى أثراً نفسياً حزيناً ؛ فسرو حمير كأنه أطل يودعهم ويبدي حزنه لفراقهم .

وفي موضع آخر يذكر الليل وكيف شمل بظلامه الكون فجاء جران العود مستغلاً ذلك الظلام للقاء حبيباته :

فَلَمّا عَلانا اللَيلُ أَقبَلتُ خُفيَةً لِمَوعِدِها أَعلو الإِكامَ وَأَظلِفُ[2]

لقد أسند الليل لفعل علا ، ومن المعلوم أن الليل جزء من الزمن وإسناده لفعل علا هنا مجاز عقلي ليبالغ في وصف ظلام الليل وكأنه علاهم وسترهم .

وفي قوله[3] واصفاً شدة البرد :

وَأَلجَأَتِ الكِلابَ صَباً[4] بَليلٌ فَآلَ نُباحُهُنَّ إِلى الهَريرِ[5]

لقد شبه الصبا بالإنسان الذي يظهر قوته بإرادته التي منحه الله . ثم حذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو الإلجاء في استعارة مكنية جميلة أوصلت ما يريد بيانه من وصف شدة البرد .

---

[1] الحدب : ما ارتفع من الأرض ،الصحاح مادة حدب ، وسرو حمير : السرو: المشرف والسرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل ، ومنازل حمير بأرض اليمن وهي عدة مواضع . معجم البلدان ٣ / ٢١٧ .

[2] يقال: ظَلَفْتُ أثري وأَظْلَفْتُهُ، إذا مشيت في الحُزونةِ لئلاّ يتبيَّن أثرُك فيها. الصحاح مادة ظلف .

[3] الديوان ص ٢٧ .

[4] الصَّبا: ريحٌ معروفة تُقابل الدَّبُور. الصحاح: الصَّبا ريحٌ ومَهَبُّها المُسْتَوِي أَن تَهُبَّ من موضع مطلع الشمس إذا اسْتَوى الليلُ والنهارُ ونِيِّحتُها الدَّبُور. اللسان مادة صبو .

[5] ألجأت : أجحرت من شدة البرد (ألجأها أن تدخل جحورها) ، والبليل : الريح الباردة التي كأنها يقطر منها الماء البارد ، فآل : أي رجع وصار ، يقال : نَبح الكلب يَنبح نَبحاً ونُباحا ونُبوحاً ، فإذا كان صوته في صدره لا يُفصح به فهو الهرير . من شرح أبي جعفر بن حبيب لديوان جران العود.

فالقارئ والسامع لهذا البيت يعيش المعنى الذي أراده الشاعر بكل تفاصيله وكأنك تبصر الريح وهي تطارد الكلاب وهم يهربون منها في مشهد تملؤه الحركة وسماع صوت الريح الباردة .

الفصل الرابع
الكناية في شعر جران العود

- حول الكناية باختصار
- الكناية في شعر جران العود :

١. المرأة

٢. جران العود وحديثه عن نفسه.

٣. مظاهر الطبيعة والحياة .

حول الكناية باختصار

الكناية في اللغة١ :

هي مصدر كالهداية والعناية ، وهي : أن تتكلم بالشيء وتريد به غيره ، وتكـــني : تستر ، ومنه الكُنية ، وهي التي تقوم مقام الاسم أو اللقب .

الكناية عند بعض علماء البلاغة :

من أوائل من تحدث عن الكناية أبوعبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن[٢] وقـــد استعملها استعمال اللغويين والنحاة ؛ فالكناية عنده هي كل ما فهم من سياق الكلام من غير ذكر اسمه الصريح .

أما الجاحظ فإن الكناية قد وردت عنده بمعناها العام وهو التعبير بالمعنى تلميحـــاً لا تصريحاً وإفصاحاً ؛ حيث يقول في البيان والتبيين : " ورب قليل يغني عن الكثير كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل بل رب كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة بل رب كناية تربى على إفصاح ولحظ يدل على ضمير وان كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع ..."[٣]

والذي يتتبع الجاحظ فيما قاله عن الكناية وفيما أورده من أمثلة لها يرى انه استعملها استعمالاً عاماً يشمل جميع أضرب المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض دون تفريق بينها وبين هذه الأساليب .[٤]

ويعرفها الإمام عبدالقاهر الجرجاني بقوله :" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه "[١]

---

[١] اللسان مادة كني .
[٢] مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن مثنى ، خدمة الدكتور محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، ص ١٨.
[٣] البيان والتبيين ٢١٦/١.
[٤] علم البيان ص ٢٠٥.

ويعرفها السكاكي بقوله :" هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه "[2]

ولخص القزويني تعريف السكاكي بقوله :"لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه معه أيضاً "[3]

الكناية في شعر جران العود

وردت صور كنائية جميلة في شعر جران العود النميري ، ولكنها ليست بكثرة الصور التشبيهية التي وردت . فالصور التشبيهية أكثر من الصور المجازية والكنائية مجتمعة .

---

[1] دلائل الإعجاز ص ٦٦ .
[2] مفتاح العلوم .أبو يعقوب السكاكي ، تحقيق عبدالحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ط١ ص ٥١٢ .
[3] تلخيص المفتاح ص١٦٦ .

وقد رسم شاعرنا صورة الكنائية في ثلاثة موضوعات ، حظيت المرأة بأكثرها :

- المرأة
- جران العود وحديثه عن نفسه.
- مظاهر الطبيعة والحياة .

أولاً / المرأة :

وقد أورد صوراً كنائية سواء كان مادحاً لها متغزلاً بها ، أم كان ذاماً هاجياً ، وقد كانت الصور الكنائية التي ذم فيها المرأة قليلة .

- جانب الذم وقد جاءت فيه صور كنائية طريفة :

يقول جران العود في وصف شعر زوجته[1] :

وَلا فاحِمٌ يُسقى الدِهانَ كَأَنَّهُ   أَساوِدُ يَزهاها لِعَينَيكَ أَبطَحُ

الكناية في كلمة (يسقى الدهان) وهي كناية عن صفة عبر بها ليومئ إلى حرصها على شعرها فهي تكثر الدهان وتسرحه . وقد استغنى عن ذكر هذا الكلام كله بقوله (يسقى الدهان) وأضاف معنى لما أراد .

وقد برزت هنا مشاعره النفسية الكارهة لامرأته والمقبحة لها ؛ فهي تسقي شعرها بالدهان ومع ذلك فقد بقي قبيحاً مخيفاً ، كالحيات السود .

ويقول في وصف امرأته[2] :

وَأَذنابُ خَيلٍ عُلِّقَت في عَقيصَةٍ   تَرى قُرطَها مِن تَحتِها يَتَطَوَّحُ

فقد أراد أن يبين قبح طول عنق زوجته فلم يصرح بذلك ، بل جاء بهذه الكناية عن صفة ؛ زيادة في التقبيح حيث قال (ترى قرطها من تحتها يتطوح)

وهو يذكرنا بقول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدةُ مَهوى القُرطِ إما لنوفلٍ   أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشمِ[1]

---

[1] الديوان ص ١ وقد مر شرح البيت ص ٦ .

[2] الديوان ص ١.

لكننا ندرك الفرق الكبير بين الصورتين ! فابن أبي ربيعة يتغزل وصاحبنا يقبح ويهجو،وابن أبي ربيعة يتشوق ، وشاعرنا يتمنى الفراق .

- <u>جانب مدح المرأة والثناء عليها :</u>

وقد استطاع هنا أن يرسم صوراً بيانية كنائية ، تأخذ الألباب وتأسر العقول .

فهاهو يصف محبوبات قلبه اللاتي تذكرهن وتذكر أيامه بعويقة وهو يسمع صوت حمائم ورق في المدينة تهتف فقال[٢]:

يُذَكِّرنَنا أَيّامَنا بِعُوَيقَةٍ[١]   وَهَضبِ قُساسٍ[٢] وَالتَذَكُّرُ يَشعَفُ[٣]

---

[١] ديوان عمر بن أبي ربيعة ، وقف على طبعه وتصحيحه بشير يموت ، الطبعة الأولى بالمطبعة الوطنية في بيروت ١٣٥٣هـ.ص ٢٤٠.

[٢] الديوان ص ١٣ .

وَبيضاً يُصَلصِلنَ الحُجولَ[4] كَأَنَّها   رَبائِبُ أَبكارِ المَها المُتَأَلِّفُ[5]

هنا نجد كناية جميلة في قوله (يصلصن الحجول) وهي كناية عن موصوف حيث كنى عن النساء الجميلات وزينتهن وحليهن بالخلاخيل في أرجلهن ، فهن نساء متنعمات متزينات قد لبسن الخلاخيل في أرجلهن .

ويقول أيضاً في القصيدة نفسها ، ذاكراً إحدى محبوباته[6] :

وَفي الحَيِّ مَيلاءُ الخِمارِ كَأَنَّها   مَهاةٌ بِهَجلٍ مِن أَديمٍ تَعَطَّفُ

شَموسُ الصِبا وَالأُنسِ مَخطوفَةُ الحَشا   قَتولُ الهَوى لَو كانَتِ الدارُ تُسعِفُ

كَأَنَّ ثَناياها العِذابَ وَريقَها   وَنشوَةَ فيها خالَطَتهُنَّ قَرْقَفُ

تُهينُ جَليدَ القَومِ حَتّى كَأَنَّهُ   دَوٍ يَئِسَت مِنهُ العَوائِدُ مُدنَفُ

هنا نجد صوراً كنائية جميلة لهذه المحبوبة وقد سبق الحديث عن الصور التشبيهية .

ففي قوله : (مَيلاءُ الخِمارِ) هنا نجد كناية لطيفة عن الصفة تبين أن محبوبته تلبس الخمار بطريقة تميل الرجال وتغريهم بطريقة لبسها لخمارها ، وكأنه يستعذب هذه الحركة منها .

وهنا نجد مشاعره المرهفة تطل علينا في ذكر الخمار! فالخمار نفسه ولكنه ذكره في شأن زوجته ذكراً قبيحاً في أبشع صورة[7] :

إِذا ما اِنتَصَينا فَاِنتَزَعتُ خِمارَها   بَدا كاهِلٌ مِنها وَرَأسٌ صَمَحمَحُ

وهنا يذكره بصورة لطيفة تأسر قلوب الرجال .

---

[1] لم أجد لها ذكراً إلا في بيت للقطامي في قوله ولم يَحلِّ ولحوأس الغميس إلى شَطَّي عُوَيقلرَّ وحاء من خريمَا ، ديوان القطامي ، وتروى (بسويقة) و (بعريضة) . ديوان جران العود ص ١٣ .

[2] جبل لبني أسد . اللسان مادة قسس . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٧٣ .

[3] يحرق القلب . الصحاح مادة شعف .

[4] الخلاخيل .أساس البلاغة مادة حجل .

[5] مر ذكر معناه ص ١٢ .

[6] الديوان ص ١٥، ١٦.وقد مر شرح هذه الأبيات ص ٣٦.

[7] الديوان ص ٤ .

وفي قوله (تمين جليد القوم) كناية عن صفة وهي شدة حسنها وتمنعها مما يجعل جليد القوم يقف عاجزاً ذليلاً أمامها .

وفي وصفه للقاء محبوباته وعفتهن :

وَأَحرَزنَ[1] مِنّي كُلَّ حُجــزَةِ[2] مِئــزَرٍ لَهُــنَّ وَطــاحَ النَــوفَلِيُّ[3] المُزخَــرَفُ

كناية جميلة عن عفة محبوباته ، حيث "أحرزن حجز مآزرهن بالعفة ، يقول : لم يكن بيننا وبينهن ريبة ولا حرام إلا الحديث واللعب "[4]

وكنايته عن حسن حديث محبوباته :

رَقيقُ الحَواشــي لَــو تَسَــمَّعَ راهِــبٌ بِبُطنانَ[5] قَولاً مِثلَــهُ ظَــلَّ يَرجُــفُ

حَديثٌ لَــوَانَّ البَقــلَ يُــولى بِنَفضِــهِ نَما البُقلُ وَاِخضَرّ العِضاةُ المُصَــنِّفُ

فهنا نجد كنايته عن صفة حديث محبوباته (لَو تَسَمَّعَ راهِبٌ بِبُطنانَ قَولاً مِثلَــهُ ظَــلَّ يَرجُفُ) فهو حديث جميل مؤثر يأخذ بالألباب ، فحتى من انقطع للعبادة وابتعد عـــن الناس سوف يتأثر به ويدنو منه مضطرباً في مشيته .

إن جران العود ماهر في التصوير ورسم الصور المؤثرة التي تنقل الحدث وتجعل السامع يعيشه بكل أحداثه ، وكأنه مع جران العود في مجلسه .

فقد جعل كنايته مليئة بالحركة ؛ فالراهب يأتي دانياً لمصدر الصوت ، والبقل ينمو ، والعضاة تخضر .

ونجد كناية أخرى عن صفة ما حدث بينه وين محبوباته[6] :

وَأَصــبَحَ في حَيــثُ اِلتَقَينــا غُدَيَّــةً سِــوارٌ وَخَلخــالٌ وَبُــردٌ مُفَــوَّفُ[7]

وَمُنقَطِعــاتٌ مِــن عُقــودٍ تَرَكنَهــا كَجَمرِ الغَضا في بَعضِ ما يُتَخَطــرَفُ[8]

[1] أحرزن صُنَّ . المعجم الوسيط مادة حرز .
[2] موضع شد الإزار من الوسط . المعجم الوسيط مادة حجز .
[3] النوفلي : شيء يدرنه على رؤوسهن تحت الخمار . ديوان جران العود ص ٢٠هـ .
[4] تعليق السكري على البيت .ص ٢٠ .
[5] وادٍ بين منبج وحلب فيه أنهار جارية وقرى متصلة . من تعليقات كرين صادر على ديوان جران العود ص ٦١ .
[6] الديوان ص ٢٤ .
[7] رقيق فيه خيوط بيض . الصحاح مادة فوف .
[8] الخُطْرُوفُ المُسْتَديرُ وعُنُقٌ خِطْرِيفٌ وسيفٌ وخَطْرَفَ في مَشْيِه وتَخَطْرَفَ تَوَسَّعَ . هكذا جاء في اللسان مادة خطرف فلعل مقصود الشاعر تشبيه الخرز في العقود وفي بعض ما يتخطرف أي يدار على العنق من زينة النساء .

فقد كنى عن صفة ما حدث بينهم بما تركن من أدوات وزينة (سِوارٌ وَخَلخالٌ وَبُردٌ مُفَوَّفُ ، وَمُنقَطِعاتٌ مِن عُقودٍ تَرَكنَها) وهي كناية أيضا عن صفة استعجالهن لَمّا بـــرق الفجر وهن معه .

ويكني عن ترف محبوبته وتنعمها بقوله[1]:

وَخودٍ[2] قَـــد رَأَيـــتُ بِهـــا رَكـــولٍ بِرِجلَيهـــا الـــدِمَقسَ[3] مَـــعَ الحَريـــرِ

حيث كنى عن تنعمها وترفها بكلمة (ركول) فهي لا تشمر بثوبها لتعمل بل تجره فهناك من يكفيها .

وهذا المعنى ذكره في صورة جميلة أخرى لمحبوته[4] :

مِن كُلِّ بَدّاءَ[5] في البُـــردَينِ يَشـــغَلُها عَن حاجَةِ الحَـــيِّ عُلّـــامٌ وَتَحجيـــلُ

مِمّا يَجولُ وِشـــاحاها إِذا اِنصَـــرَفَت وَلا تَجـــولُ بِســـاقَيها الخَلاخيـــلُ

فهي متنعمة مترفة مخدومة ، قد انشغلت عن حاجة الحي بزينتها (يشغلها عَن حاجَةِ الحَيِّ عُلّامٌ وَتَحجيلُ)

وكنى عن ضخامة جسمها وامتلائه بـــ (وَلا تَجولُ بِساقَيها الخَلاخيلُ) .

والبيت يذكرنا بقول كعب بن المخبل[6] :

منعمـــةٌ لا يَخـــرُقُ البُـــردَ طولُهـــا ولا قصـــرٌ في أم عمـــرو يَعيبُهـــا

تَدُق الخلاخيـــلَ المُلاحـــمَ صـــوغُها بِرُعبوبَـــةِ الســـاقينِ دُرمٍ كُعوبُهـــا

وقول عروة بن حزام[7] :

مُنَعَّمَـــةٌ لم يـــأْتِ بـــين شَـــبابِها ولا عَهْـــدِها بالثَّـــدْيِ غـــيرُ ثَمـــانِ

تـــرى بُرَتَـــيْ سِـــتَّاً وســـتّين وافيـــاً تَهابـــانِ ســـاقَيْها فَتَنْفَصِـــمانِ

---

[1] الديوان ص ٢٥ .

٢ مر بيان معناه ص ٤٤ .

[3] الحرير . الصحاح مادة دمقس .

[4] الديوان ص٣٦ ، ٣٧ .

[5] عظيمة الخلق . اللسان مادة بدد

[6] كعب بن المخبل القيني: من شعراء العصر الأموي.من أهل الحجاز.كان ممن اشتهروا بالعشق. (الأعلام ٢٢٩/٥)

[7] مر التعريف به ص ٤٣.

وكنى عن شدة حبه لها وحبها له بقوله :

كِلانـــــا نَســــتَميتُ إِذا اِلتَقَينــــــا ... وَأَبـــدى الحُـــبُّ خافِيَـــةَ الضَــمير

فَتَقــــــتُلُني وَأَقتُلُهــــــا وَنَحيــــــا ... وَنَخلِــطُ مـــا يُمَــوِّتُ بِالنُشـــورِ

فقد بلغ الحب بينهما أنهما كأنهما يقتلان بعضهما .

وفي كناية جميلة ، بالغ جران العود في تصوير جمال معشوقته[1] :

يَصبو إِلَيها وَلَو كانوا عَلـــى عَجَـــلٍ ... بِالشَعبِ مِن مَكَّةَ الشـــيبُ المَثاكيـــلُ[2]

فقد كنى عن صفة جمالها الذي يسبي القلوب بذكر أن الشيب المثاكيل يصبون لهـــا وإن كانوا على عجل .

وهي صورة كنائية تذكرنا بقول مزرد بن ضرار الغطفاني[3] في محبوبته سلمى :

ولو بـــذلتْ أدنى الحـــديثِ لعاقـــلٍ ... خذولٍ إذا ما أفضت العصـــمُ يجلـــسُ

برأسِ ابنِ طمـــرٍ أو شمنصـــير ينتمـــي ... إلى حلـــــبٍ أســـــنامهن مــــــودسُ

لأفضى إلى سلمى لحســـنِ حـــديثها ... من الطود حتى ظل في الحبل يحـــدسُ

ولـــو أن شـــيخا ذا بـــنين كأنمـــا ... على رأسه من شاملِ الشيب قُـــونَّسُ

وقد فنيـــت أضراســـه غـــيرَ واحـــدٍ ... رميمٍ إذا ما مُـــسَّ يَـــدمي ويضـــرسُ

تُبَيِّـــتُ فيـــه العنكبـــوتُ بناتِهـــا ... نواشِءَ حتى شـــبنَ أو هُـــنّ عُـــنَّسُ

لظـــــلَّ النَّهـــــار رانيـــاً وكأنـــه ... إذا كش ثورٌ مـــن كـــريص مـــنمّسُ

وتذكرنا كذلك بقول الأعشى[1] في معشوقته قُتيلة :

---

[1] الديوان ص ٣٨ .

[2] الثُّكْل والثَّكَل، بالتحريك فِقْدان الحبيب وأَكثر ما يستعمل فُقْدان المرأَة زَوْجَها، وفي المحكم: أَكثر ما يستعمل في فُقْدان الرجل والمرأَة وَلَدَهما . اللسان مادة ثكل .

[3] مزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: فارس شاعر جاهلي. أدرك الإسلام في كبره وأسلم. ويقال: اسمـــه (يزيد) غلب عليه لقبه (مزرد). وهو الأخ الأكبر للشماخ ،كان هجاء في الجاهلية، خبيث اللسان: حلف لا ينزل به ضـــيف إلا هجاه، ولا يتنكب بيته إلا هجاه. وهو القائل في وصف أشعاره في الهجاء، من أبيات: (ومن نرمه منها ببيت يلـــح بـــه كشـــامة وجه، ليس للشام غاسل) له ديوان شعر مطبوع من رواية ابن السكيت . مات سنة ١٠هـــ .(الأعلام ٧/ ٢١٠، ٢١١)

إذا لَبِسَت شَيدارَةً ثُمَّ أَبرَقَت … بِمِعصَمِها وَالشَمسُ لَمّا تَرَجَّلِ
وَأَلوَت بِكَفٍّ في سِوارٍ يَزينُها … بَنانٌ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ
رَأَيتَ الكَريمَ ذا الجَلالَةِ رانِياً … وَقَد طارَ قَلبُ المُستَخِفِّ المُعَذَّلِ

ثانياً / جران العود وحديثه عن نفسه :

حديث جران العود عن نفسه أغلب في بيان مشاعره وحبه ، فهو شاعر رقيق ، يحب الجمال ويتغزل به ، ويقف على الأطلال ويبكيها ، فحديثه عن نفسه إما أن يكون عن مشاعره وما يحسه من حب وشوق أو ألم وحزن

وهناك نوع آخر من ذكره لنفسه وهو والافتخار بها وبإنجازها وهوقليل في شعره ، لكن قلته جعلته يبدو في قصائده كالدرر المضيئة ، أو النجوم المشرقة .

فهاهو يأتي بكناية جميلة في حديثه عن لقائه بمحبوباته :

وَقُلنَ تَمَتَّع لَيلَةَ اليَأسِ هَذِهِ … فَإِنَّكَ مَرجومٌ غَداً أَو مُسَيَّفُ

فهو يكني عن صفة الخطأ الذي فعله بلقاء محبوباته بقوله (فإنك مرجوم غداً أو مسيف) وفي الكلمة معانٍ جميلة أخرى . فهو يتحاشى ذكر خطئه وفيه بيان شدة حبها لها فهي تريد أن تسعده وتتألم لما ينتظره من العقاب لو عرف أمره .

وفي كناية جميلة أخرى :

فَتى الحَيِّ وَالأَضيافِ إِن نَزَلوا بِهِ … حَذورُ الضُحى تِلعابَةٌ مُتَغَطرِفُ

---

[1] الأعشى : ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صناجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام و لم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته سنة ٧هـ في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. أخباره كثيرة، (الأعلام ٧/ ٣٤٠،٣٤١)

كنى عن نشاطه وشهامته وكرمه وعدم نومه الضحى بقوله (حَذورُ الضُحى) ، فهو دائماً مستعد لخدمة الآخرين ، ومستعد لاستقبال الأضياف .

ونجد كناية جميلة عن صفة كرم جران العود ورحمته بالفقراء :

يَكـــادُ المَجــدُ يَنضَــحُ مِـــن يَدَيـــهِ   إِذا دُفِـــعَ اليَتـــيمُ عَـــنِ الجَـــزورِ

وقد مر الحديث عن هذه الصور المجازية[1] ، وهي كذلك صورة كنائية عـــن كرمـــه وجوده ، وبذله للمال في أوقات الشدة .

ونجد صورة كنائية مؤثرة تبين شدة حزنه وذهوله في قوله[2] :

أَيا كِبَـــداً كـــادَت عَشِـــيَّةَ غُـــرَّبٍ[3]   مِنَ البَينِ إِثـــرَ الظـــاعِنينَ تَصَـــدَّعُ

عَشِـــيَّةَ مـــالي حيلَـــةٌ غَـــيرَ أَنَّـــني   بِلَقطِ الحَصى وَالخَطِّ في الأَرضِ مولَعُ

أَخُـــطُّ وَأَمحـــو الخَـــطَّ ثُـــمَّ أُعيـــدُهُ   بِكَفِّـــيَ وَالغِـــزلانُ حَـــولِيَ وُقَّـــعُ

عَشِـــيَّةَ مـــا في مَـــن أَقـــامَ بِغُـــرَّبٍ   مُقامٌ وَلا في مَـــن مَضـــى مُتَسَـــرَّعُ

فقد كنى عن حزنه وذهوله من الفراق بقوله : (بِلَقطِ الحَصى وَالخَطِّ في الأَرضِ مولَعُ) فهو يبين شدة حزنه بذكر هذه الكلمات أو هذه الصفات .

وفي كناية أخرى يبين شدة حزنه وذهوله بقوله[4] :

كَأَنَّني يَـــومَ حَـــثَّ الحادِيـــانِ بِهـــا   نَحوَ الإِوانَـــةِ[5] بالطـــاعونِ مَتلـــولُ

يَومَ اِرتَحَلتُ بِرَحلـــي دونَ بِـــرذَعَتي   وَالقَلبُ مُستَوهِلٌ بِـــالبَينِ مَشـــغولُ

فقد كنى عن صفته وهو حزين فزع من الرحيل والفراق بقوله (يَومَ اِرتَحَلتُ بِرَحلي دونَ بِرذَعَتي)

---

[1] ص ١٢٦ .
[2] الديوان ص ٣١ .
[3] ماء بنجد من مياه بني نمير . (معجم البلدان ٤/١٩٢) .
[4] الديوان ص ٣٥ .
[5] من مياه بني عقيل بنجد (معجم البلدان ١/ ٢٧٥)

ثالثاً/ مظاهر الطبيعة والحياة :

هنا صور كنائية متفرقة ، أوردها جران العود في ثنايا قصائده وقد أفردها الباحث هنا لأنها لا تندرج تحت الموضوعات السابقة بشكل مباشر وإن كانت بعض هذه الصور وردت في ثنايا حديثه عن الصور السابقة .

يقول شاعرنا في حديثه عن لقائه بمحبوباته[1] :

فَمَوعِدُكَ الشَطُّ الَّذي بَينَ أَهلِنا ... وَأَهلِكَ حَتّى تَسمَعَ الديكَ يَهتِفُ

هنا كناية جميلة عن موعد بزوغ الفجر (حَتّى تَسمَعَ الديكَ يَهتِفُ) فإن هتاف الديكة مؤذن ببزوغ الفجر وقيام الناس من النوم .

وفي هذه الصورة الكنائية تحذير له من هذه اللحظة لأن صياح الديك سيوقظ الناس وهي تريد أن تنبهه وتحذره من عيون الناس .

ونجد كناية أخرى في الموضوع نفسه ولكن هذه المرة كنى بصلاة العابد المتحنف[2] :

وَلَمّا رَأَينَ الصُبحَ بادَرَ ضَوءَهُ ... دَبيبُ قَطا البَطحاءِ أَو هُنَّ أَقطَفُ

وَأَدرَكنَ أَعجازاً مِنَ اللَيلِ بَعدَ ما ... أَقامَ الصَلاةَ العابِدُ المُتَحَنِّفُ

---

[1] الديوان ص ١٧ .
[2] الديوان ص ٢٢ .

الخَاْتِمَة

الخاتمة

وهانحن نضع عصا الترحال بعد رحلة جميلة مثيرة مع جران العــود الــنميري .مليئــة بالأحداث والصور البيانية الجميلة .

تعرفناه فتعرفنا شاعراً مجيداً ، يرسم الصور الشعرية كما يرسم الرسام البــارع لوحاتــه الآخذة بالقلوب ، ويبنيها كما يبني البنَّاء الماهر البناء القوي العالي ، ويحفرها في ذاكرتنا صورة باقية تدهشنا وتمتعنا كما يحفر النحات الفنان لوحاته وتماثيله .

وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج التالية :

١- جران العود اسمه عامر بن الحارث بن كُلْفة أو ابن كَلَدَة من بني ضبة بن نمير بن عامر بن صعصعة،وهو أموي بدوي،وشاعر مبدع مغمور في الدراسات البحثية رغم كثرة أبياته التي تناقلتها كتب الأدب . ولعل قوة لغته ، وأصالة أسلوبه أوهم الباحثين عنــدما عدوه في الجاهليين .

٢- اختلفت تعريفات الصورة في النقد العربي الحديث وتناقضت أحياناً بناء علــى اختلافات أصحابها واجتهاداتهم ومصادرهم التي استقوا منها .غير أن كل من تحدث منهم عن الصورة أقر بأهميتها الجمالية المؤثرة ومكانتها العالية في الشعر العربي .

فالصورة هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر ؛ فالإبداع في الشعر ناتج من إبــداع الصورة على مدى تطور مفاهيم الشعر منذ القدم وحتى الوقت الحاضر.

٣- المصادر المؤثرة في جران العود متداخلة ، وبينها ارتباط وثيق ، والمرأة أكثرهــا تأثيراً فيه . فالباحث بعد التأمل في تجربة جران العود مع المرأة يجد أن جران العود يحــب المرأة ويرى فيها عالم الجمال والأنس والمتعة والسكينة ، وما وصفه لزوجتيه وزوجــات

أبنائه إلا موقف مفجوع ؛ " حيث اقترن هجاؤه للمرأة بفجيعته في زواجه من امرأة تمثل القبح وامرأة أخرى تمثل الشر "

٤ – أكثر الصور البيانية التي رسمها الشاعر هي صور تشبيهية ، وكانت الصور المجازية والكنائية مع جمالها أقل بكثير من الصور التشبيهية أيضاً ، والوصف العام للصور في شعر جران العود أنها صور جميلة مؤثرة تخالط النفس ، وتحرك الوجدان .رسمها بشاعريته المرهفة وثقافته البدوية الأصيلة ولغته العربية القوية ، وله صور تفرد بها و لم يُسبق إليها .

والتوصية هنا أن تدرس شخصية جران العود النميري من زوايا أخرى لم يقف عليها البحث ، فهو كنز مخبوء حاول الباحث أن يبين شيئاً من جمالياته في هذا البحث .

هذا ولا أصف ما قمت به من جهد في هذا البحث بالكمال ، بل هو جهد يشـــوبه النقص والقصور ، ولكن حسبي أن قرعت باب جران العود ففتح لي وإن كنت لا أزال عند عتبة بابه .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / الكتب :

١. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، عبدالقادر القط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٦م

٢. الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، للخالديين ،تحقيق السيد يوسف ، القاهرة، الطبعة الأولى١٩٥٨م

٣. الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٤. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب للأمير الحافظ ابن ماكولا دار الكتاب الإسلامي

٥. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ،الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٦. الإيناس بعلم الأنساب ، الحسين بن علي بن الحسين بن محمد المعروف بابن المغربي أو الوزير المغربي ،موقع الوراق http://www.alwarraq.com

٧. البديع ،لعبدالله ابن المعتز ،اعتنى به اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسبورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣م.

٨. البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات . د عيسى با طاهر . دار الكتاب الجديد . ط الأولى ٢٠٠٨م

٩. البيان والتبيين،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مكتبة الرياض الحديثة

١٠. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، للدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
١١. الخيال مفهوماته ووظائفه ، د عاطف جودة نصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٨٤م
١٢. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المشهور بابن هشام ،تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ،دار الجيل سنة ١٤١١هـ بيروت
١٣. الشاعر المحسن ، إبراهيم أمين فوده ، مطبوعات نادي مكة الثقافي والأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
١٤. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٩٨١م ،
١٥. الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ
١٦. الشعر والموقف الانفعالي ، الدكتور عبدالله باقازي ، من مؤلفات النادي الأدبي بمكة .
١٧. الصاحبي .لابن فارس تعليق أحمد حسين بسبح .منشورات دارالكتب العلمية ط الأولى١٤١٨هـ
١٨. الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ
١٩. الصورة البلاغية عند عبدالقاهر ، أحمد علي دهمان ، دار طلاس ، دمشق،١٩٨٦
٢٠. الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري ، فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٢٤هـ
٢١. الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، الدكتور علي البطل ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م
٢٢. الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، ساسين سيمون عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م

٢٣. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور جـــابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م
٢٤. الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد .د إبراهيم بن عبدالرحمن الغنيم ، الشركة العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ
٢٥. الصورة الفنية في شعر الشماخ ، محمد علي ذياب ، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة بالمملكة الأردنية الهاشمية .٢٠٠٣
٢٦. العمدة لابن رشيق القيرواني ، قدم له وشرحه وفهرسه الدكتور صلاح الهواري والأستاذة هدى عودة . دار ومكتبة الهلال ط الأولى ١٤١٦هـــ
٢٧. المؤتلف والمختلف للدارقطني تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبـــد القادر ، دار الغرب الإسلامي
٢٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرلأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن الأثير الموصلي ، المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد
٢٩. المرأة عند شعراء صدر الإسلام الوجه والوجه الآخر ، د حسني عبدالجليل
٣٠. المزهر في علوم اللغة العربية للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي مكتبة دار التراث ، الطبعة الثالثة
٣١. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القـــادر ،محمد النجار، دار الدعوة،تحقيق / مجمع اللغة العربية
٣٢. المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، من سلسة ديوان العرب مجموعات من عيون الشعر ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالســـلام محمـــد هارون ، دار المعارف الطبعة العاشرة ١٩٩٤م
٣٣. أساس البلاغة ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت لبنـــان ،الطبعـــة الأولى ١٤١٩هـــ١٩٩٨م .
٣٤. أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبه الخانجى، الطبعة الأولى تاريخ ١٩٩١م .

٣٥. أمالي المرزوقي ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري ، دار العرب الإسلامي ، الطبعة الأولى

٣٦. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٣٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ،دار الهداية

٣٨. تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد نرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي ، طبعة المطبعة الخيرية ، مصر ١٨٨٨م

٣٩. تاج اللغة وصحاح العربية ،لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين – بيروت لبنان الطبعة :الرابعة– يناير ١٩٩٠.

٤٠. تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ، نقله للعربية الدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور السيد يعقوب بكر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف

٤١. تاريخ التراث العربي ، الدكتور فؤاد سزكين ، نقله للعربية الدكتور محمود فهمي حجازي ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ

٤٢. تأويل مشكل القرآن.لابن قتيبة الدينوري،تحقيق إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،٢٠٠٧.

٤٣. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حَجَر العسقلاني تحقيق محمد علي النجار – مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية – بيروت — لبنان .

٤٤. تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ،تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي– بيروت —الطبعة الأولى ٢٠٠١م

٤٥. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٣م الطبعة : الأولى

٤٦. جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، د فايز الداية ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م

٤٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبدالقادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٩م

٤٨. خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ،منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م

٤٩. دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة الطبعة الثالثة

٥٠. ديوان الحماسة ، لأبي عبادة البحتري . تحقيق لويس شيخو ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧

٥١. ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ،شرحه وضبط نصه أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

٥٢. ديوان جران العود النميري / رواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ

٥٣. ديوان جران العود النميري ، تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي

٥٤. ديوان جران العود النميري وضمنه شعر عروة الرحال ، شرح وتحقيق كارين صادر

٥٥. ديوان طفيل الغنوي ،شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، دار صادر بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٩٧م

٥٦. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، وقف على طبعه وتصحيحه بشير يموت ، الطبعة الأولى بالمطبعة الوطنية في بيروت ١٣٥٣هـ

٥٧. ديوان قيس بن الملوح ، رواية أبي بكر الوالبي ، دراسة وتعليق يسري عبدالغني ، دار الكتب العلمية .بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ١٩٩٠م

٥٨. ذو الرمة شاعر الحب والصحراء / د يوسف خليف ، مكتبة غريب

٥٩. رسالة الغفران أبي العلاء المعري تحقيق: د. عائشة بنت عبدالرحمن دار المعارف الطبعة التاسعة .

٦٠. زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي ، تحقيق الدكتور محمد الحجي والدكتور محمد الأخضر، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م

٦١. شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العربي الطبعة الثانية

٦٢. شعر جران العود القصصي / د زكريا صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

٦٣. ضعيف الجامع الصغير وزيادته ،محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي

٦٤. ظواهر حداثية في شعر جران العود النميري محمد الهرفي دار المعالم الثقافية ١٤١٧هـ

٦٥. علم البيان . الدكتور عبدالعزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت ١٤٠٥هـ

٦٦. في النقد الأدبي الحديث مدارسه ومناهجه وقضاياه ، الدكتور محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

٦٧. كتاب الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦م

٦٨. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى

٦٩. مجمع الأمثال – أبو الفضل النيسابوري دار المعرفة – بيروت تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد

٧٠. مجمع الأمثال للميداني المستقصى من أمثال العرب للزمخشري .

٧١. مسرحية مجنون ليلى ، أحمد شوقي بك ، مطبعة مصر ١٩١٦م

٧٢. معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت

٧٣. معجم الشعراء الجاهليين و المخضرمين،تأليف حاكم حبيب الكريطي،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان مكتبة لبنان،٢٠٠١

٧٤. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، الدكتور عفيف عبدالرحمن ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٧٥. معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، الدكتورة عزيزة فوال بابتي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م

٧٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد تحقيق : مصطفى السقا عالم الكتب - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣

٧٧. مفتاح العلوم .أبو يعقوب السكاكي ، تحقيق عبدالحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ط١

٧٨. منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، تحقيق: د.محمد نبيل طريفي ،دار صادر. الطبعة الأولى ١٩٩٩م

٧٩. نزهة الألباب في الألقاب لأحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد بالرياض طبعة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٨٠. وصف الطبيعة في الشعر الأموي ، إسماعيل أحمد شحاده العالم .مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٠٧هـ

ثانياً/ الرسائل العلمية :

١- الرؤية الجمالية في شعر الجاهلية والإسلام ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلب ، ١٩٨٩

٢- التصوير البياني في شعر القطامي دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، مرزوقة عبدالله السفياني ، إشراف الدكتور عوض بن معيوض الجميعي جامعة أم القرى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٣- التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رسالة ماجستير ، مريم بنت عواض الحارثي ، إشراف الدكتور يوسف بن عبدالله الأنصاري ، جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ثالثاً / الشبكة العنكبوتية :

١- موقع الوراق http://www.alwarraq.com

٢- الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia ، http://www.mawsoah.net

٣- موسوعة الحديث الشريف على شبكة إسلام ويب

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات